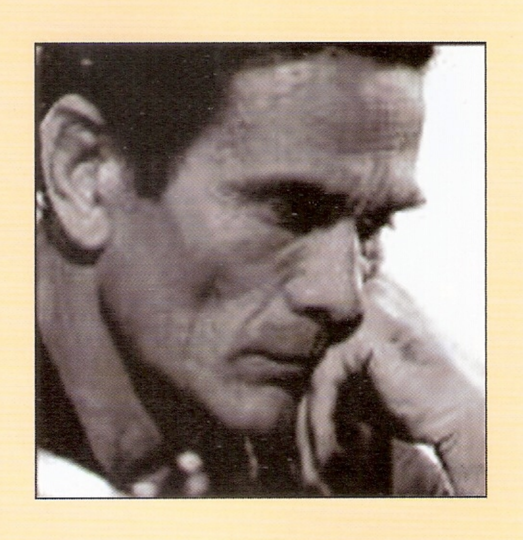
بير باولو بازوليني

زريبة الخنازير



مختارات شعرية

ترجمة: محمّد بن صالح

بير باولو بازوليني

زريبة الخنازير

بير باولو بازوليني

زريبة الخنازير

مختارات شعرية

ترجمة: محمّد بن صالح

منشورات الجمل

كلمة KALIMA

محمد بن صالح: شاعر ومترجم من تونس. أكمل دراساته العليا في تونس وروما. مارس التدريس لسنوات واهتم بإنجاز مختارات شعرية شاملة وترجمتها إلى العربية لمجموعة من الشعراء العالميين، منها: **الصوت والحجر** لـ إيف بونفوا؛ **ديوان نيتشه** لفريدريش نيتشه. ومن أعماله الشعرية: **المواسم**؛ **أنت كالزهر لا تبصرين**؛ **الهوى قرطاج ومدينة الشعراء**.

بير باولو بازوليني، **زريبة الخنازير منتخبات شعرية**،
ترجمة: محمد بن صالح، الطبعة الأولى، جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر
KALIMA كلمة ومنشورات الجمل، ٢٠٠٩
كلمة، ص.ب ٢٣٨٠ أبوظبي، أ ع م ـ هاتف: ٦٣١٤٤٨٥ ٢ ٩٧١ +
فاكس: ٦٣١٤٤٦٢ ٢ ٩٧١ +
منشورات الجمل، ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣، بيروت ـ لبنان
تلفاكس: ٦٦٨١١٨ ٠١ (٠٠٩٦١)

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a.N . Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: info@al-kamel.de

حُزنٌ علَى عيسَى ومَاركِس

كانت إيطاليا، في بدايات القرن العشرين، تعيش تحت وطأة الواقعية، والطّبيعية، والوضعية الفرنسية... عندما ظهرت الحقائقية (بريادة لويدجي كابوانا)[1] مذكّرة إيطاليي الشّمال بما يقاسيه أهل الجنوب، في واقع اجتماعيّ مريع، من فاقة اقتصادية وبؤس نفساني. «هذا الجنوب، أرض الأساطير والخرافات، أرض الطّقوس والتّقاليد الشّعبية، الذي ولدت فيها الوحدة الإيطالية فكرة ونمت حركة كلّلها النّصر بقيادة غاربالدي...».

كتابات عديدة ظهرت تتحدّث عن الواقع المحلّي الخاصّ في حنين أليم إلى التّقاليد المتلفة. ولم تقف الحقائقية عند هذا الحدّ، بل تجاوزته إلى البحث عمّا يشرّع لمطلبها: أن يكون الإبداع في البدء تنبّها للواقع كشرط في قراءة الذّات... ثمّ تأتي ضرورة إبداع الصّور: في تلك السّنوات، قام أنطونيو لابريولا بترجمة أعمال كارل ماركس، كما قام إرّيكو مالاتستا بالتّنظير للفوضوية.

* * *

---

(١) بالنّسبة إلى الأسماء الواردة في كامل هذا العمل: انظر آخر الكتاب.

في بدايات القرن العشرين:

يُصدر بينيديتو كروتشي، مع جيوفانّي جنتيلي، مجلّة/ النّقد/ (١٩٠٣)، ويكرّسها لمناهضة الوضعيّة والماركسيّة، وللمناداة بالعودة إلى الفلسفة الألمانية وأساسا إلى مثالية هيغل. وينشر كتابه: «علم الجمال كعلم إبانة وألسنية عامّة». ويتوفّر به على حضور في المشهد الثّقافي الإيطالي متميّز جدّا طيلة الرّبع الأوّل من القرن العشرين: يصبح منظّرا لتيّار فكري أدبي يقوم على رفض اللائكية الدّيمقراطية (لفقرها المدقع) والمناداة بمثاليّة «فاعلة» تهتمّ بالمتطلّبات الحقيقية للحياة وبمنجزاتها وتنأى عن الغرق في المبادئ النّظريّة، تحت غطاء «العصرنة».

في بدايات القرن العشرين:

يتعرّف جيل قلق، مستاء من فشل الطّموحات الاستعمارية، على ذاته في روايتين رمزيتين («رجل منته» لجيوفانّي بابيني (١٩١٢)، و«الشّيوخ والشّباب» للويدجي برنديللو (١٩١٣)) كانتا قادرتين، أكثر من غيرهما، ربّما، على الكشف عمّا تخبّئه تلك المرحلة من أوهام في حيازة مواقع ريادية في التّاريخ ومن خيبات أمل...

ينشر غابريلي دانّوتزيو، شاعر الفاشية القادم ونجمها السّاطع، كتابه «انتصار الموت» (١٨٨٩) وكلّه تعظيم للسّوبرمان النّيتشوي، ثمّ كتابه «النّار» (١٩٠٠): غنائية «بعربة الإمبراطور» التي تجرّها أربعة أحصنة هي: الإرادة، والكبرياء، والشّبقية، والغريزة. «ولقد كانت بلاغته المتفاصحة، ومواقفه المتصنّعة، ومداخلاته القومية الفرجوية قد جعلت منه رسول الفاشية الحقيقي».

كان فيليبّو توماسّو مارينيتّي لا ينقطع عن هجاء الدّيمقراطية والنّظام البرلماني. وفي كتابه «البيان» (١٩٠٩)، الذي يستند في ولادته إلى المذهب

المستقبلي، أو الاستقبالي، والمنادي بضرورة تأصيل الانتباه إلى ما في الرّاهن من طاقة دينامية ترهص بالمستقبل، كان يتغنّى بالسّرعة، حتّى إذا أدّت إلى «الرّأس تجاه الحيطان»، وإلى العنف وإلى الحرب. كما كان كتابه، «الحرب بما هي الحال الصحّي الوحيد في العالم» (١٩١٥)، «ضربة البداية» لكلّ الكتابات التي ستحتويها عبارة «يحيا الموت» التي سترفعها الأنظم الفاشية في القول والحركة.

ينشر الشّعراء الغُروبيون (أو الغسقيون، أو الشّفقيون) غنائياتهم التي جاءت تقول خيبتهم أو زوال غرورهم من مكتسبات التّاريخ والسّياسة...

في بدايات القرن العشرين:

تصبّ كلّ الجداول في النّهر الذي لا يعرف غير البحر منتجعا: الحقائقية، والكروتشية، والمستقبلية، والغروبية... كانت كلّها تفتح الطّريق للآتي من الماضي السّحيق واعدا باستعادة الماضي السّحيق: أيّام كانت الطّرقات جميعها تركض نحوك يا روما!

* * *

الفاشية: حركة سياسية ظهرت في إيطاليا (١٩١٩) قادها بينيتو موسلليني ووصل بها إلى السّلطة (١٩٢٢ ـ ١٩٤٥)، تُناصر الحكم الكلّياني وتناهض الدّيمقراطية والاشتراكية. ثمّ اتّسعت اللفظة وأخذت معنى شاملا؛ صارت صفة للنّازية في ألمانيا وللفرانكية في إسبانيا، ثمّ صارت تعني كلّ نظام سياسي يستند إلى سلطة قويّة ويعظّم الدّولة الأمني»ة، والصّناعات المنظّمة في اتّحادات، ويمجّد الشّعور القومي.

* * *

عام ١٩٢٠ يؤسّس أنطونيو غرامشي مجلّة ـ النّظام الجديد ـ ويشارك في

تأسيس الحزب الشّيوعي الإيطالي، ويدخل الانتخابات التّشريعية ويصبح نائبا في البرلمان... وتحتلّ كتاباته حضورا في وجدان النّاس... ويُقدَّمُ إلى «المحاكمة» ويُرمى به في السّجن ويموت هناك (١٩٣٧) تاركا «رسائل السّجن» و«دفاتر»... تلك التي سيكون لنشرها تأثير حاسم على الحياة الفكرية لما بعد الحرب العالمية الثانية داخل إيطاليا وخارجها.

عام ١٩٢٤، يبتعد بينيديتو كروتشي عن مريديه (ومن بينهم جيوفانّي جنتيلي، الذي صار وزيرا في حكومة موسلليني).

عام ١٩٢٥ ينضمّ لويدجي بيرنديللو إلى الحزب الفاشي الإيطالي.

بعد إنجاز موسلليني للمعاهدة البابوية مع الفاتيكان، وصعود النّازية إلى الحكم تتجذّر ديكتاتورية الحكم في إيطاليا: رقابة على الكتابة قاسية، محاكمات للآراء متواصلة، أحكام عديدة بالإبعاد إلى الجنوب أجبرت الكتّاب المعارضين على الهجرة وعلى المقاومة السرّية وعلى اعتماد الإبهام في الكتابة.

في هذه الفترة:

علت أصوات تنادي «بعودة النّظام» ضدّ الفوضى المستقبلية، وتبجّل الأدب المتحرّر، وتسعى إلى ترسيخ «النّثر الفنّي»، وتضع الأسس «لعبادة الكلمة» (خاصّية المدرسة الهرمسية، أو الإبهامية) وكذلك بالانفتاح على الثّقافة الأوروبية وخاصّة على الانطباعية والسّوريالية.

تظهر كتابات أوجينيو منتالي، المناهض للفاشية والمنخرط في حركة المقاومة ضدّها... «كانت قصائده رائعة في وصف العزلة».

يجهد لويدجي بيرانديللو في تثوير المسرح المعاصر في كتابات كانت على الغاية في الجدّة («لكلّ حقيقته»، «ستّ شخصيّات تبحث عن مؤلّف») حيث ينصرف إلى «لعبة المسرح داخل المسرح مؤسّسا بذلك موضوعا

دراميا من الخيال المسرحي... وسيبقى هذا المسرح، مسرح ضياع الهويّة واغتصاب الذّات، دائم التّأثير في الثّقافة الأوروبية ؛ كانت المسافة بين أعماله والبلاغة الفاشية الجوفاء والكافية ذاتها، حقيقة، مسافة تتعيّن بانفصام الشّخصية».

* * *

على إثر الانقلاب على موسلليني يشرع جيل ثان من أنصار التيّار الهرمسي، المتأثّر بجروح الحرب، في العمل: «يجذّر ألفونسو غاتّو آثاره في الأساطير الإغريقية والمتوسّطية، ثمّ في تجربته كمقاوم... ويحتفل ماريو لوتزي بإباء الإنسان المسيحي، وإن كان ذلك في مرارة...».

في عام ١٩٤٥ ولدت الواقعيّة الجديدة مع فلم «روما مدينة مفتوحة» لروبرتو روسلليني الذي سيؤسّس، في السّينما كما في الأدب، شكلا فنّيا مهمّا في إيطاليا، «منذ غليان سنوات ما بعد الحرب العالمية الثّانية حتّى الثّمانينات».

في البداية، ظهرت الواقعية الجديدة كنقد للآداب الإيطالية ولموقف المثقّفين أيّام الحكم الفاشي، وتميّزت برفضها «للنّثر الفنّي».

كان الحضور السّياسي للمقاومين والحزب الشّيوعي، حاسما، ثقافيّا مع أنّ الحكم كان بيد الدّيمقراطية المسيحية.

من أشهر الأعمال التي ظهرت في تلك الفترة: «النّاس والآخرون» لإيليو فيتّوريني (١٩٤٥)، و«في إيبولي توقّف المسيح» لكارلو ليفي (١٩٤٥) و«العالم سجن» لغوليلمو بيتروني، وكلّها تلتقي في موضوع واحد هو: مقاومة الفاشية.

* * *

في السّينما: يرتبط ظهور الواقعية الجديدة بالسّياق الاجتماعي والتّاريخي لعصرها. «في هذا الوضع المحدّد تنتج جماليته دوما عن أعراض ما بعد الحرب»: تنتهي الحرب، فيحين وقت البناء المادّي والاجتماعي والقيمي.

* * *

الواقعية الجديدة: هاجس يجمع بين مجموعة من السينمائيّين (روبرتو روسّلليني، فيديريكو فيلليني فيتّوريو دي سيكا، لوكّينو فيسكونتي)... دون أن يكونوا على التقاء حول جمالية مشتركة، والهاجس: إحساس بالمسؤولية تجاه المجتمع، وبحث مضن عن دور الإنسان فيه... «إنّ صدمة الحرب العالمية الثّانية هي التي قرّبت بين نشاطاتهم الإبداعية، والالتزام الأخلاقي بقول الحقيقة هو الذي جمع بينهم... وممّا لا شكّ فيه أنّ الالتقاء حول المواضيع المطروحة وأدوات التّعبير قد ساعد هؤلاء على إعطاء فهم عميق للحرّية بما هي شرط وجود...».

* * *

في بداية الخمسينات، يقبل على الإبداع جيل جديد:

تستكشف إلسا مورانتي واقعية الحلم: «جزيرة مورنتي» (١٩٥٧)، وتكشف عن خبايا روما الشّعبية: «الحكاية» (١٩٧٤).

تواصل نتاليا جنسبورغ أبحاثها في اللغة: «كلمات القبيلة» (١٩٦٣)، وتكتب السّيرة الذّاتية: «أكتب إليك حتّى أقولك».

يبتدع ليوناردو شياسكا شكل «الرّواية ـ التّحقيق» للتّنديد بسلطة المافيا في جزيرة صقلّية: «يوم البومة» (١٩٦١)...

* * *

يجدّد المسرح، المنتعش بأعمال برترولت بريخت، المشهد الثّقافي

العام: تتعدّد «المسارح الصّغيرة» في أكثر من حيّ بالمدينة الواحدة... كان الطّموح أن تستعاد العلاقة بالجمهور الشّعبي، وذلك بالذّهاب إليه عبر القضايا التي تشغله واللغة التي ينفعل بها أفضل.

في عام ١٩٥٥، أسّس بير باولو بازوليني مجلّة «ورشة» بمدينة بولونيا «تحت إلهام غرامشي»، كان الطّموح فيها: البحث عن حالة تجاوزية للتّناقض بين الهرمسية والواقعية الجديدة.

«كان بازوليني، الشّاعر، والمسرحي، والسّينمائي، والصّحافي ذو الجدالات الصّاخبة، كان نجم تلك المرحلة... إنّ كلّ أعماله موزعة إلى ثلاث خاصّيات رئيسية هي: الماركسية، والجنس، والدّين. ولقد تناولها في هاجس دائم من الحداثة الشّعرية جعلت منه، منذ الخمسينات، شاعرا متفرّدا».

* * *

وُلد بير باولو بازوليني يوم ٥ آذار ١٩٢٢ في مدينة بولونيا بالشّمال الإيطالي.

قضّى طفولته متنقّلا من حامية إلى أخرى في مدن مختلفة من الشّمال الإيطالي (كان والده ضابطا في الجيش) دون أن ينقطع عن الإقامات القصيرة في بلدة كازرسا بمنطقة الفريولي (مسقط رأس أمّه).

بدأ كتابة القصيدة في سنّ السّابعة بترغيب من أمّه.

في سنّ الخامسة عشرة اكتشف أشعار رامبو...

* * *

في فترة من الوقت قصيرة/ ١٩٦٤ ـ ١٩٦٩/ استطاع بير باولو بازوليني أن يحتلّ مكانة في المشهد السّينمائي العالمي جعلته مرحلة ضرورية في كلّ

قراءة لتاريخ هذا الفنّ، وذلك في موازاة واضحة للمكانة التي يحتلّها في المشهد الشّعري الإيطالي: منذ أعوام قليلة، أصدرت إحدى دور النّشر الإيطالية (معروفة بجدّية إنتاجها وانتشارها الواسع) أنطولوجيا الشّعر الإيطالي مُقسَّمةً إلى أربع مراحل كبرى، وعنونت لكلّ واحدة منها بشاعر: دانتي بالنّسبة إلى العصر الوسيط، لاريوست بالنّسبة إلى عصر الانبعاث والمرحلة الاتّباعية، وليوباردي بالنّسبة إلى المرحلة الرّومانسية، وبازوليني بالنّسبة إلى القرن العشرين. وحتّى إذا كان هذا التّقسيم قابلا لأن يكون موضوع احتراز من قبل بعض التّناولات الأكاديمية التي قد ترتّبه بعد مونتالي، أو كوازيمودو، أو سابا، يقول بعضهم، فإنّ الإجماع ماثل على أنّ دور الشّاعر قد استأثر به بازوليني قبل غيره من شعراء مرحلته في إيطاليا؛ فإنّ الاجماع ماثل (نكرّر) على أنّه «الشّاعر المدني»، أي شاعر التورّط في السّياسي واليومي: لقد أطلق بازوليني، في الفترة التي طغى فيها إنتاجه السّينمائي على باقي نشاطاته تعبير «سينما الشّعر»؛ من هذا التّعبير نحتفظ بأنّ الشّعر عنده ما كان نشاطا منفصلا، بل كان حالة، أو طبعا، أو طبيعة نجد تمظهراتها في كلّ أثر أبدعه: «كان ينشر مقالاته الصّحفية في شكل شعري».

* * *

يقول بازوليني متحدّثا عن علاقته بالشّعر على مستوى الإلهام وعلى مستوى الدّور: «لقد سلكتُ الطّريقين اللذين وحدهما يوصلان إلى مناهضة الفاشية: طريق الهرمسية (أو الإبهامية)، أعني طريق اكتشاف الشّعر الهرمسي وما قبل الرّمزي، أو شعر الذّوق السّليم (ما كان يمكن للمرء أن يكون فاشيا لأسباب ذوقية). والثّانية، تلك التي كانت تضعني في علاقة مع نمط الحياة الوضيع والمسيحي للرّيفيين، في بلدة كازرسا، مسقط رأس

أمّي: نمط من الحياة كان يعبّر عن ذهنية مغايرة بالكامل للأسلوب الفاشي. كانت أشعاري الأولى إذن تعكس من جهة خاصّية منطقة فريولي بما هي «لغة»، ومن جهة أخرى كانت تعكس هالة وجدانية واشتراكية بمعنى شاسع جدّا من نوع المسيحية الرّومانسية: الرّيفيون وصلوات العصر والنّواقيس...».

كانت أشعاره في هذه المرحلة (بداية الخمسينات) تعبيرا من قِبله عن تخلّ أو عدول. كانت الحياة الشّعرية عنده رفضا للحياة، قال: «الآن أرى أنّ على حياتي أن تتخلّى عمّا يسمّيه النّاس «عيشا»، وأن تفرغ بالكامل إلى الرّؤيا الشّعرية للأحداث، وأن تستمتع بالأشياء الصّغرى، وأن تحوّل ما ينتج عن العادي إلى كائن عجائبي وبالطّريقة الأكثر ابتذالا».

* * *

بين عامي ١٩٥٠ و١٩٥٢ يتحصّل على ثلاث جوائز شعرية، ويُطلب منه إنجاز أنطولوجيا عن الشّعر المكتوب باللهجة الفريولية.

في منتصف الخمسينات تحوز أعماله (الرّوائية أساسا، وخاصّة منها «أطفال الحياة») «شهرة فضائحية» درامية يمكن إيجازها في حركتين على غاية التّعبير: الجوائز الأدبية الكبرى والمحاكمات القضائية الصّاخبة. ومذّاك، وحتّى مقتله، يظلّ بازوليني موضوع حروب كلامية ومجادلات لا تكفّ برهة إلاّ لتضطرم أكثر، سبّبتها سيرته وإبداعاته ومواقفه من اليمين واليسار والكنيسة.

* * *

في بداية الستّينات يشرع في السّفر ويكتشف العالم الثّالث و«المعادلات السّياسية والشّعرية للشّعوب الرّيفية والقروية التي عاش في ما يشابهها أيّام

طفولته في منطقة الفريول، تلك التي ألهمته قصائده ورواياته الأولى، ويصبح الهنود والعرب والأفارقة جزءا من المشهد الدّاخلي والجمالي عنده». ولكنّ ذلك لم يقلّل من انشغاله بمساءلة إيطاليا ثقافيا وسياسيا وإبداعيا وعقائديا.

* * *

في شعره، لا شيء يمثل في وضوح كما الغضب الشّديد والهدّام.

غضب من الأفكار التي رسخت في الوعي الجمعي وصارت «بداهات» فكفّت عن أن تكون موضوع تساؤل قد ينجب معرفة: «أفكار بالإمكان اعتبارها ارتدادا حقيقيا وصريحا، لكنّه ارتداد تتوجّب قراءته كما نقرأ قصيدة».

هذا الغضب الشّديد، وإن كان ميزة للعديد من الشّعراء يوفّرها التّاريخ في كلّ مراحله، يتّخذ عند بازوليني حضورا في طبع المأساة كواقع وصورة: في شعره تناقض يستعصي على كلّ تعيين له باعتماد المنطق ؛ فمن ناحية نراه يمجّد العنف و«يجرّم كلّ حياد برئ أو مغلوط، ومن ناحية أخرى ينظّر للتخلّي عن الصّراع، لأنّه عديم الجدوى في عالم تسيطر عليه الأجيال الطّاعنة في السنّ، تلك المسؤولة عن كم ثورة فاشلة، عن كم كنيسة معاد بناؤها، عن كم هرطقة ساكنة في شكل استقامة معتقد مستعاد، تلك التي تريد إحياء اليسار، وتحويل الحرّية إلى واجب، والمثل المناهضة للفاشية إلى نظام من القهر جديد...» ولكنّه في الوقت ذاته يقبل بالمؤسّسات كملجأ أخير للحياة الجمعية وللعلاقة بين الأفراد...

في أشعاره، هستيريا مريعة تحلّ محلّ العقل والورع. قال: «إنّ الفكرة التي تعبر الكتاب بأكمله (يقصد ديوانه الأخير، تعضية الإنسان وتغييره) هي أنّ الإنسان ـ وخاصّة في شبابه ـ لا يقدر، وإذن هو لا يرغب، أن يعيش

الحرّية، وبالتّالي يبتدع ألفا من التعلاّت والواجبات كي لا يعيشها مؤجّلا إيّاها إلى الغد. إنّه، فعلا، كتاب فاقد الأمل يقيم في مستوى من الواقع يوشك أن يضيع وأن يتفكّك، ولكنّه بعدُ ما ضاع وما تفكّك...» هذا على مستوى الوقع، أمّا على مستوى الصّورة، يضيف بعضهم، فإنّ هذا الغضب الشّديد المتجسّد في التّناقض والقلق العميقين، ما كان عنده مصحوبا، كما حدث عند غيره، «بتشوّش شكلي»؛ فالكتابة على غرار التّقليديين ماثلة في كلّ مراحل تاريخه الأدبي، وقد يكون السّبب في ذلك أنّ السّينما هي التي استبدّت بهاجسه الأسلوبي.

* * *

في منتصف السّتّينات من القرن الماضي (وكان وقتها قد أخرج أفلامه الثّلاثة الأولى: أكّاتّوني، وأمّي روما، وإنجيل متّى) عيّن بازوليني للشّعر وظيفة أخرى: «أن يتملّك أداة تعبير فنّي جديدة». قال: «في تربيتي يوجد تقدير عظيم للشّعر؛ لقد نشأتُ، وهذا له دلالته، في ظرف كان الشّعر فيه أسطورة: ما قبل الرّمزية، والهرمسية، الشّعر في معناه المطلق، الشّعر الخالص. إنّني لا أقدر أن أحمل عن هذا الشّعر دلالة لا تكون سامية، ولهذا كان لا بدّ من أن أتنازع مع نفسي، وبسبب أنّ الشّعر كان قد أصبح على مستوى تاريخي أسطورة، فقد كان لا بدّ من إزالة الوهم عنه. ولذلك، وبجهد إرادي، قاومت نفسي وأعدت الشّعر إلى صورته الأدواتية (كأداة)، وأكرّر إنّه جهد خاصّ، صراع تاريخي يومي؛ ولكن يبقى الشّعور بالإجلال تجاه الشّعر كامنا في أعماقي صلبا كما الصّوان». هكذا نفهم، يقول بعضهم، لمَ أوكل بازوليني للغة السّينمائية جزءا هائلا من طموحه الشّعري: يؤاخذ اللسانية العلمية على أنّها تجاهلت «اللحظة السّحرية البدئية» لحظة كان كلّ شيء في الواقع مقدّسا، وهو يرى أنّه إذا كان الواقع

قد تقدّس من قبل الإنسان، فإنّ هذا لم يحصل بالنّسبة إلى اللغة المكتوبة ـ الملفوظة: «أبدا ما ظهرت اللغة ككهنوت...» إنّه يملك تصوّرا مجازيا للعالم، يقول بعضهم ؛ يقوم أساسا على أنّ الواقع بالنّسبة إليه لغة: إنّ اللغة المكتوبة ـ الملفوظة إيحائية، واللغة السّمعية البصرية (السّينما) تصويرة، والقصيدة، بما هي واقع (لغة) لا تنجز دورها (أن تكون الواقع) بكفاية أحد الحالين، وإنّما تنجز دورها بمعاناة التّقاطع بينهما.

وكذلك الأمر بالنّسبة إلى نصوصه المسرحية؛ فاللغة المكتوبة ـ الملفوظة إيحائية، واللغة المسرحية حركة جسد، ودور الشّعر: الرّسم الحسّي لعلاقة الكلمة بعالم الأشياء، و«إعادة صياغة التّنسيق بين الصّوت والجسد».

* * *

يوم ٢ ـ ١١ ـ ١٩٧٥، عُثر على جثّته ملقاة على شاطئ أُوستيا غير بعيد عن روما... ونُسبت الجريمة إلى متشرّد صعلوك. لكنّ أكثر من صوت يقول إنّ قتله كان جرّاء تحقيراته للكنيسة والأحزاب السّياسية.

* * *

وفي ضوء هذا الغياب، يقول بعضهم، وجب أن نقرأ هذه الأشعار بما هي «مأساة تاريخية وإنسانية تحدث، وفي كثافة جدّ نادرة، مرتبطة في اضطرابها العميق بصراعات الحركة العمّالية وعواقبها، وبما هي أحلام وأحزان وهواجس أبدا ما كفّت عن ملاحقة صاحبها... حقيقة، إنّ الرّسالة التي تعطينا إيّاها هذه الأشعار ليست من تلك التي تُنسى بسهولة، على مستوى صفتها الإنسانية وعلى مستوى ما تُعلمنا به عن عهد أبدا ما كفّ الشّاعر عن مساءلته».

[I]

عندليب كنيسة الكاثوليك

(١٩٤٣ ـ ١٩٤٩)

عَندليبُ كَنيسةِ الكَاثوليك

(١٩٤٣)

عيسى، أيّتها الذّاكرة العذبة...

نشيد طقسي

سعيد، أنت الفرنسي،
أنت المسيحي...

فرلين

العَندليبُ

لستُ الضّياء...

القدّيس يوحنّا، الإنجيل

[I]

الغريب سلاما، أيّها الشّاب. ما الذي تفعله مستندا إلى البويب البليل؟

الشّاب سلاما، أيّها الغريب، خلفي قرية كازرسا بغيطانها البعيدة وجدرانها العتيقة.

الغريب هل أنت فقير أم ثري؟ وما اسمك؟

الشّاب أنا في العشرين من عمري، أنا قاصد إلى الغيطان أساعد سيّدي.

الغريب ما الجميل عندك؟

الشّاب الوادي والغاب وماء البحيرة الفضّي.

الغريب ألا تعيّد أبدا؟

الشّاب أيّام الآحاد أعياد مترعة بالغناء.

الغريب يا لها من قرية حزينة!

الشّاب النّساء الطيّبات، وشيوخ طفولتي، يا للحبور العذب أيّام أسبوع الآلام!

الغريب لا جسد لك داخل ثوبك المعتم؟

الشّاب ناقوس الصّلاة للمسيح، ناقوس صلاة التّبشير.

الغريب مازلت تسمع صوت الإله؟

الشّاب لا. الرّجل له أوراق اللعب، والخمر والبنات.

الغريب آه، أرى أنّ أعوامك أوهام!

الشّاب الفجر يضئ القرى المسيحيّة الصّغيرة، الشّاب يصلّي ويمضي يعمل في الغيطان.

الغريب مبارك أنت! بعيدة قريتي.

الشّاب وماذا عندك للطّريق؟

الغريب هذه الصّدَفة، أيّها الشّاب!

الشّاب أوه، خلّني أضعها على أذني!

الغريب حذار، إنّ دويّها مؤلم...

الشّاب لا! إنّي أسمع فيها مسبحة وردية ترنّ، وأطفالا يشدون، وأمّي في الغيط تغنّي في حنين.

[II]

الطّفل	إسمي نيزيوتي. أنا قاصد إلى الأعشاش في الغيطان.
الحسّون	يا لرباطة الجأش، الغيطان... نائية جدّا، الغيطان...
الطّفل	مُصوفِرًا أمضي، يداي في جيبَي.
الحسّون	وحيدا أترقّب الطّفل في الفضاء.
الطّفل	أجلس على زهر البنفسج وعلى شبّابتي أعزف.
الحسّون	إنّه يعزف، وأنا محنيّ الرّأس أرقبه.
الطّفل	عليهم، نقّافة، حذار، إنّي أسمع في المرج شيئا ما.
الحسّون	لقد رأيت العديد منهم، أي نعم، رأيت عديد الأطفال يموتون.
الطّفل	الموت؟ آه، إنّك تقع أيّها الحسّون العجوز في المرج ميّتا.

[III]

السَّحَر، ضيائي...

العجوز أيّها الضّياء الضّبابي! أيّها الأبيض، إنّني أنزل عبر الدّرج إلى صوت مريم.

السّحر عجوزا، كما وجهك، تموت الرّيح في السّاحة الصّغيرة. في السّكون الجسيم نسمعكِ تغمّين؛ وتزفرين نيرانك.

العجوز أهي المصادفة، أنّ النّواقيس، مِن قِدم، لا تقرع بين البيوت الفقيرة؟

السّحر بلى، إلاّ أنّه بإمكانك، وإن للحظات قليلة، أن تقومي بصلاة المسيح من بعيد، وأن تجهدي في النّفخ على الدّخان، وأن تكسّري الأغصان على ركبتك المرتعشة...

العجوز في البيت المعتم، أنا على الدّوام وحيدة. شعري الثّلجي الهزيل لا يبرق لأحد! إنّه الموت...

السّحر أيّتها الجدّة، الأفضل أن تنفخي على النّار.

العجوز آه، يا مريم، كم الوقت تأخّر! كم تأخّرنا!

السّحر على شجر الورد تنطفئ الأنوار، حافي القدمين أمضي، عبر المروج والسّواقي، مع الشّمس المرهقة، نحو أورسينيكو...

[IV]

الكاهن السّماء فوق البلدة لَهب.

الطّفل يا إلهي، شعري يلفحني كما الأوراق. أوّاه، يا للأحداث المفاجئة! داخل السّور يعوي خنزير صغير.

الكاهن امض إلى خادم الكنيسة الصّغير، واقرعا النّاقوس منذرَين بالعاصفة!

الطّفل أمّي وحدها في البيت، إنّها تغمس الغصن في الماء المقدّس وتُبارك.

الكاهن أعرف جيّدا، ومن زمن بعيد، ضياء الجحيم القروي.

الطّفل إذا نظرتُ إلى الجبال، أمّاه! فإنّ قلبي يُغمى عليه.

الكاهن لا تبك، هيّا، واقرع النّاقوس.

الطّفل أيّتها الرّيفيات. إنّكنّ تخفين الشّمس تحت شالاتكنّ السّوداء، وتخفين النّار ووجوهكنّ. من يعلم إذا كان غناؤنا نحن الأطفال...

[V]

المساء	لباس الشّغل، على قدميك عبير زنبق. على سريرك المعدني، عاريا، تتحسّر، أي بُني؟

الشّاب	أعوامي العشرون تغرب... والآن، أنا أسأل، هل كانت أعوام الضّحك ملء عينيّ، ورائحة يديّ، والسّماء، والرّيح، والسّحب؟

المساء	(*من بعيد*) تعال من هناك، تعال من هناك، الليل عذب في سان لورنزو. هل رأيت تلك الحقول التي في الظلّ تتنسّم؟ هناك من الخلف، تغنّي الصّبايا وتنتظرن أعياد الحب.

الشّاب	أمّاه! هاتي لي ثيابي العيدية، جدي لي مزماري، إنّ قلبي كلّه يخفق...

المساء	(*مِن مَضيف*) أنت، يا ولدي، ما مصابك هذا المساء؟ نحن نعيش، خارج القرية، عيشة أخرى. لكن هنا... الأمّهات يضحكن، والأصحاب يغنّون...

الشّاب	آه، نضحك ونجدّف... بشوق يتطلّع الصّبية إلينا من نوافذهم.

المساء	(*مِن الكنيسة*) أيّها الحَمْل الإلهي... إنّ النّساء ينشدن عاليا، وبأيديهنّ المسابح. عذب ما ينتظرك في الكنيسة، يا جسد الطّفل البالغ، إنّه وجهك العتيق المسيحي، هذا الذي تراه في الماء المبارك.

الشّاب هيّا نسبّح، نعم!.. آه، لكنّه يكاد ينتهي! آه، الله، يا خادم الكنيسة الصّغير، لا تقرع الأجراس. إلى هذا الحدّ تتعجّل الذّهاب إلى اللعب؟ ها هي تلاوة التّسبيح قد تمّت. عمّا قليل، وحده القمر يظلّ الكائن الحيّ في القرية. أصحابي القدامى هناك، قرب البوّابة. منطرحين فوق الأتربة، يهذرون وينشدون. «سلاما، أيّها الأصحاب، كيف حالكم؟»... آه، يا الله، أن أرتمي على الطّريق ثمّ أموت.

[VI]

المراهق عاريات، تمضي الصّبايا إلى البستان، يضيئهنّ قمر القدّيس جيوفانّي: تحت شجرة التفّاح عاريات يتمدّدن، ناظرات إلى النّجوم والسّحب. «أضئنا يا طلّ القدّيس جيوفانّي!» بطونهنّ المبلّلة بالطلّ تلتمع كأنّها الثّلج تحت قمر حزيران. والشبّان يغنّون في أرض قصيّة.

الشّاب من تحت موقد الرّأس الصّدئ، يا للعينين المنذهلتين، أيّة مرآة نارية! إليّ تنظرين. إليّ تنظرين. إليّ تنظرين، آه، بالنّسبة إليك من أكون؟ شابّ رائق في لغزه؟ أفتنك. أفتنك. أفتنك وانمحق في مرآة النّار.

المراهق ...

الشّاب هل لك أسرار؟ أرى قميصا، وحزاما... إنّها أمتعتك، التي إلى عينيك تنتسب. معها أنت وحيد. في أيّ مرج، في أيّ بيت؟ آه، عيناك سعيدتان، ومنذهلتان بلغزك.

[VII]

الحيّ إليكِ أرنو، باكيا أو أكاد، يا شمس نيسان: نيسان في عشرة، والحياة...

الميّت أيّها الصّمت، صه... مَن ذكرَ الموت؟ اصغ إليّ سعيدا أضحك وأنا في العاشرة من عمري في شهر نيسان مضى.

الحيّ أيّها الميّت، ممّا تضحك؟

الميّت إنّه سرّ خفيّ هادئ. تحت قبّة السّحر يشحب القمر: وفي المرج أضحك.

الحيّ لا! بل أنا، الطّفل الذي يضحك في فضاء نيساني، و، يصغي، جامدا، إلى غناء أمّه النّائية...

الميّت لا! بل هي أمّي التي كانت تغنّي في القرية الحالمة.

الحيّ قريتي! حيث أنا حيّ وحيث طفلا كنت أضحك. هيّا ارحل، أيّها الموت، ارحل.

الميّت أنا الذي كنت أضحك، في تلكم الأيّام، أيّها الطّفل ذي الشّعر المجعّد، والآن أنا هرم تحت الأرض.

الحيّ يا للعهود القصيّة!

الميّت بل القريبة، أيّها الميّت أكثر منّي! بل القريبة. فوق ضريحك حديث العهد، نيسان الهادئ يولّد الأزهار.

الشّاب نعم، ولكن خلال هذا الوقت، شابّا مهيّجا، أظلّ في القرية أغنّي.

الميّت لا! بل أنا، هذا الشّاب الذي يغني نيسانُ في قلبه حبّا من عهد آخر.

[VIII]

الفتاة أَعينَي، ما بكما؟ أظلالُ أجسام هو القمر... أصدرٌ شاحب يتألّق بين أشجار التّوت؟

العندليب هنا، هنا، هنا... ممتقع... آه! إنّه الدّم.

الفتاة في صدرك الحنون جدّا، ظِلّ الشّاب، أرى أنّ الدّم...

العندليب آه، آه آه! كم أنا... أضحك! اغرب عن وجهي. أنا وحيد على الشّجرة. هوب، إلى المروج، هوب لا لا.

الفتاة أيّها العصفور المسكين، أنت، من فوق الشّجرة، تجعل الفضاء يصدح. ولكن يا له من ألم هذا الذي يصدر عن سماعك تُصوفِر كما ولد صغير!

العندليب آه، إلهي، إلهي، إلهي، إلهي، يا له من دم! لا، اضحكي.

الفتاة أنا أضحك، أمّا أنت، فأرجوك أن تهدأ، أيّها العندليب الصّغير. إلهي كم أنا مشفقة!

العندليب أيّها الغضب، اجلد الأوراق النّاعمة. متخفّيا، من السّماء أُقبل. اقضم ريشي الهزيل.

الفتاة يا لتعاستك! ألا يصغي إليك في الحقول أحد؟

العندليب أنتِ يا نفح الورود... الشّاحبة... أترغبين فيَ؟ لا؟

الفتاة بلى، أيّها الطّائر الصّغير، أنا قادمة. أنا قادمة أحطّ بجسدي

النّاعم فوق الشّجرة. لا تبك. أنا هنا. أرح رأسك فوق صدري.

|| العندليب إنّي أمسك عن الكلام. يا له من سكون! إنّ الضّياء ينطفئ وسط السّحب.

الكَنيسَة

... لكنّني جئت إلى هُنا للضّياء.

القدّيس يوحنّا، الإنجيل

[I]

أيّها المسبّحون، شهر أيّار انقضى... وحيدا يبقى لينشد صلوات الطّفل المسكين المسنود إلى جرن الماء المقدّس. واليوم، هذي الورود باتت نائية، غمامة خادعة في وردة ضائعة.

(أوّاه، أهو الضّياء الذي يَطلي بالذّهب هذا الجسد الغرّ الذي سيبكيه؟ أبدا لن ينسى أنّه سيبكي هذا الصّدر المكلّل بالورود).

الذّهب الذي برؤوس الأطفال، في العتمة: إنّه ذهب يذكّر بأيّام ضيّعها اباؤهم.

نتقرُّ همُ أيضا، بذلك الذّهب، أضاؤوا المساء... إلهي، إنّه المساء الذي عنده الأعياد تستترُ.

(بعد ذلك يقبل الفجر: أرض نديّة، طفل صغير يقتلع من قلبك ضُمّة بنفسج).

[II]

بأصوات الميّتين يُنشد النّاس تحيّر المسيحيّين. لكنّ مُصوّتات مطلع النّشيد الكنسي، ارحمني، لهجة جديدة. وأنت أيّها الطّفل، المسنود إلى جرن الماء المقدّس، لك صوت الميّت لكن لك عطر نيسان.

أنت تُنشد، وهو هناك يستمع إلى نشيدك يخرق جسمه.

أتغتبط حين تتمتم بهمومك؟ ألم تر الشّمس تُطلي دموعك السّريعة بالذّهب، دموعك التي تستشفّها أحلامُ قلبك الخجول؟

إنّه نضر الجسم، إنّه مترع بالغناء، ولقد بسط مفرشا من العشب النّدي: من أعلى سراديب الكنيسة، أنت تجعل السلّم إلهية حين تدندن كما عصفور مسكين: مرتعدا تماما، كنت، ممتلئا خشوعا، والصّوت المرح كان بالمرج منتعشا.

[III]

يا عذاب الطّفل الذي في ذات يوم بصوت أجشّ ـ في السّاحة الصّغيرة، بين أشجار التّوت ـ سيصرخ في النّساء: «لنضحك!» إنّه بك يحلم كلّ صباح: الذي يلعنك أيّها الضّياء، طروبا بأنغام السّحر.

ستضحك النّسوة كالمجنونات (إلهي! مازال ضحكهنّ يرنّ في أذنيه) وهنّ يتلمّسن بطنه.

يا نغم الحبّ الذي يجعله ينزف فوق كلّ عجوز مُهان، وكلّ امرأة نكرة، وكلّ طفل ضحوك: أنت ترتعد داخله كما عصف الأوراق، أو كما اللهجة المحلّية على شفاه الصّبية.

أعنه على الكراهية، أيّها الربّ العطوف. فوق رأسه، هناك في الأعلى، في السّماء، يغنّي الخدم فوق الطّنبر؛ والأطفال يعودون من الغيط مخاطرين بالمناجل فوق بطونهم؛ والصّبايا تحت سحابة الفناء الزّرقاء يطلقن الغناء. وهو من فرط حبّه لهم يبكي.

[IV]

الشّهيد	أيّتها العذراء، عينك أيضا مع العالم تشحب. ما الذي فينا يشدّ أنظارك؟
شهيد آخر	ها هو الصّدر، ها هو البطن، ها هما الكتفان: ما الذي فينا يشدّ أنظارك؟
العذراء	ابني، يا ابني، تكوّر على قلبي. كئيب جسم هذين الطّيفين.
الشّهيد	أظلّ جامدا في ضريحي، عاريا، مثخنا بالجراح.
شهيد آخر	تحت السّماء الصّاخبة يَمثل لحمي المرضوض.

[V]

الرّوح هو ذا الصّدر، ها هما الكتفان، ها هو الرّأس المسكين المدوّر، أيا طفلي الميّت. العنادل والوقاوق تشدو قريبة من صمت بيتي السّاكن.

الشّاب أنا حيّ، أنا حيّ، أنا خادم السّبت المقدّس، خادم الجسد المحبوب، أنا حيّ، أنا حيّ.

الرّوح ليس وقواقا ولا عندليبا... أيّها القلب لا تتحطّم! إنّ شابّا يغنّي عاليا في العتمة القاسية: أنا حيّ، أنا حيّ.

[VI]

بغصن صغير أحمر طريّ، وعبر كروم مهجورة كما عبر قبور بليلة. كان يسوط الهواء ويسوط جسمه، وكان يمزح.

قطرات من الدّم تنزل، تنزل على طول الغصن الذي كانِ في يده: يوم الإثنين، إثنين القيامة، يوم مثولي...

في قطرة من هذا الدّم، كما في حدقة، طفل صغير، في كامل نضارته يضحك.

«اليوم، أمطار وطلّ، مساءات وعواصف: مثول. يا يوم الإثنين، يا إثنين القيامة، يا يوم موتك!».

[VII]

توجد صورة لن تفنى معه: إنّها تضحك للنّاس، ملآنة شفقة.

(ربّما! لكنّ هذا لا يكفيه. إنّه لا يقدر أن يستسلم، إذ كان عليه في ذات يوم أن يذرف الدّمع من شوق على طريق الأطفال الجدد! وهو يرغب أن يدفعه المسيح إلى الخطيئة).

إنّها صورة بطعم البخور وإنّها تجمّد القلب. لكن عليه أن يحبّها...

(إنّها ثروة لا يرغب فيها! هل لها، صُدفةً، جسم صغير في ريق العمر للعمل في الحقول، للذّهاب إلى الأعياد الخورنيّة الممتعة؟)

وجب عليه أن يهبها لون الشّجر، وأصوات النّواقيس، ورائحة الحقول وأنوار القرية في المساء...

[VIII]

الكنيسة المجروحة فتحت جراحها بيديها، وبركة من الدّم تنبسط عند القدمين. وقبل أن تموت، صنعت من هذه البحيرة مرآة، ووميضٌ أنار صورتها في هذا الدّم. لهذه الصّورة المنعكسة في الدّم، لها فقط نصلّي! أوَليسَ المسيح يصدح، أوليس النّاس يجيبونه بالنّشيد من قاع العتمة الحامية؟ ثمّ، مديرين بأظهرهم إلى الكنيسة، يعودون إلى بيوتهم. من المسيح ما ظلّ غير الرّمق.

آه، تجديفات وهرطقات، هي الذّكرى اللذيذة الوحيدة عن المسيح...

صفاؤنا الذي قطعه الموت بهمس الذّكريات هو ضحك المسيح الدجّال. ولكن إمّا يجعلنا نموت، إمّا يجعل رفاقنا يصرخون من الآلام، إمّا يحرق البذار... أو لا شيء. إنّ ضحك المسيح الدجّال، هذا الصّفح الكاذب، هو غبار العهود الذي يستر الأسماء.

إنّه الغبار، لا الخطيئة، الذي يفصلنا عن السّماء.

أيّها المسيحيّون، وتطهّرون بالدّم الأسماء من غبارها.

عندليب يغرّد، إنّه يرغب أن يموت: خذوا دمه...

[II]

دَمعُ الوردَة

(١٩٤٦)



استِرحامٌ

أحسّ لمستك،

أيّها السيّد القُلّب،

صامتا يمثل جسدي المألوف

أكثر ممّا يجب.

أنت لا تضحك حتّى؟

عنفك

هل له إذَنْ

صفاقة السّماء الصّافية؟

أمتأكّد أنت

من ضحيّتك المهزومة

التي قد صرت في ضجر

من ندمها الفاحش.

اتركني أيّها النّحِس،

فكّ الكابوس الخطير

عن يدك التي

بالإثم تغبطني.

هادئا تلامس

علامات الجسد الموسيقية

وهذا التّناغم الهزيل

في الأصوات قد خرّب القلب.

اتركني أهرب،

أزح عن أحشائي

يدك الملتوية.

عندي أُخَرٌ، طاهرات، أهداف...

أحبّ (منذ مراهقتي)

مِن ربيعك

حتّى الذي لا أخفيه

في قلبي النّذل.

النّرجسيُّ والورْدَة

هي المرآة، لا نرجس،
التي تتألّق في هذا المرج
الأخضر الدّاكن، طفولتي،
ماتت، من غلطة...

مساء الخير، أيّها الجنّي
أتسمعني وتبتسم ؟
صه إذن،
فهمتك، إنّني أستسلم.

كنت عن المرآة أحكي،
إن هي إلاّ ضياء
خالص منعكس ـ
عشّ أصداء شعرية.

لا، فلنترك هناك نرجس،
إنّه أفرط في التمرّي؛

وإنّي قادر، هذه المرّة،

أن أواجهك، أيّها العنيد.

حلم أو عدم اكتراث،

أو تذكّر، ما أدراني،

مرآة الفضّة من تلقائها

تتألّق، في المرح المعتم.

شعاعه يفتنني

غسقيّ هو،

لا يتحرّك، ينبش

في ظلّ المشهد الطّبيعي الكئيب.

تعال، أيّها الجنّي العزيز،

ولنتأمّل معا

غيَاب نرجس

من الحلم الفضّي.

ولا ضحكة تعبث

في فمك الكريه؟

جيّد، أيّها الصّديق،

اقطف من الحديقة وردة.

خُلوقيّة أو شِعرٌ،

أو جمال، لا أعلم، أهب المرآة

الوردة التي بمفردها

داخلها ينعكس.

جَسَدٌ وسَمَاء

أيّها الحبّ الأمومي،

أيّها المحزِن،

بسبب اصفرار الأجساد المغزوّة

بأسرار البطون.

ويا أيّتها الوقفات

اللاواعية بالعبير الفاحش

الذي يضحك

في الجوارح الطّاهرة.

رَونق أخرق

للشَّعر... تَهاونٌ

في النّظرات عنيف...

رعايات خائنة...

مُهيَّجا بالدّموع

العذبة جدّا إلى بيتي أعود

والجسد مضطرم
بالبسمات المتلألئة.

وأصير مجنونا
في قلب الليل أيّام العمل
بعد ألف ليلة أخرى
من هذا الاضطرام الملوّث.



[III]

لُغَة

(١٩٤٧)

ينذهل المرء من رؤيته النّظام العامّ
متحقّقا في ظرفه الخاص.

ليوباردي



لُغَة

طفلا صغيرا ضالاّ

وجواهر أوروبا اللألاءة في جسدي[1]،

ميّتا من الحياء كنت أتقدّم

إلى مدخل المتحف الذي يحرسه الكهول.

أحببت التّمثال الأكثر عراء:

حيث كنت من لحم، حيث كان من عاج؛

كيف أكسوه بالسّراويل الرّديئة

التي كانت تشدّ حُقّي الهزيل؟

وأيضا أنضني

طفلا صغيرا أبدا، كي أحضن

في نظرة واحدة ذاك الرّخام الذي يفتتني.

وهبتُ أشواقي الوفية والتي لا شكل حدّدها،

إلى هذي الصّورة الموجودة قبلا، المضطرمة

---

(١) كلمة الجسد تنوب هنا عن كلّ عضو في الجسد/ المترجم/.

بحبّي، والسّليمة في فظاظة.
لعلّني كنتُ أفرط في المحبّة! كان أملي العذب
دون سخرية، أملا طفوليا:
لم أهب أحلامي أدنى فراغ
ولا حتّى أدنى ابتسامة:
إذ أنّها كانت تؤسّس للبدايات. وقبلاتي
كانت بلا جواب قادرة
على تسليتي بموت أكيد.
وإذا بصراط الموت يُفتح لي.

أنت، أيّها النّصب المريع، أنت الموت
في ماضيّ. إنّني ما عدت أرغب أن أريدك،
أريد صمتي العاري،
صمت الطّفل الذي كانت أوروبا
الخالية من الأنصاب تؤجّجه عند السّحر،
صمت الطّفل الذي في اللهجة المحلّية يحلّق
فوق قلبه الطّاهر الخالي من العالم.
أنفي كلّ ما كنتُ أقررتُ به
حتّى أثير المشاعر فيك، أنفي خطيئتي
وأنفي ندمي: سأكون من عاج، أنا أيضا،
من عاج طفل مجهول حتّى من الله.

قهقرةً أجوب الطّريق ثانيةً :

محروما منك، كم هو عذب، المشهد الطّبيعيّ

لنهر *البو*، دون *ظلّ من سراب!*

يطلق *الليفنزا*وورده *الغضّة من أسرها*،

*والأدرياتيكي*يعكس بنفسجا

بلا عطر، والسّماء بلا زرقة تنظر

إلى تُرع كازرسا خالية الطّفولة.

والسّكاكين تطقطق فوق الموائد

وأعياد رأس السّنة بياضها مبهج.

بلا رجع يئنّ الجُعل

بجانب الذي يتخفّى؛ الطّفل الصّغير.

دون وعيدك في البياض اللبني،

سأعيش الحماسة ثانية لأجل أمّي، والوجل

من أجل بطني،

يا سارق المحبّة والخجل النّبيل...

سأكابد أيضا سباتا غير مخفي

لأجل السّاعة، والفأرة، والسّرخس،

والرّفقة، والكنيسة، والسّاحة الصّغيرة.

سأصير *النّرجس*، زهرة تتمرّى

عاشقا دون معشوق، والأذن شاردة

على الدّوام بما

يبدعه الحبّ لها من الأصوات من دون كلام.

أمّا أنت، يا ذا الأحد عشر مقطعا من العاج

أيّتها الغزليّة من النّرجس، أيّها النّصب من الأشعار،

بين زهو الألوان وماء زهرة *الأركاديا*،

راشدا أبدا،

أنت لا ترغب إلاّ في السّرور... وفي الصّفاء.

أنت لا ترغب في الدّموع ولا في خطايا الصّبية!

وعندئذ؟ هل يقدر الملاك أن يصلّي في *البارثينون*؟

أو الشّهيد أن يعود مجرما؟

الحاصل أنّ الحبّ قحط.

أي نعم، سيكون جرمي أنّني أحببتكِ

سلطة، أنا، الوحيد، الموسوم...

لا ليس لي أمّ، ليس لي جنس،

قتلت بالصّمت والدي،

أحبّ جنوني بالماء وبالإبسنت[1]

أحبّ وجهي الأصفر، وجه المراهق،

والبراءات التي أتصنّعها والهستيريا

---

(١) شراب مسكر يستخرج من الأفسنتين/ المنهل/.

التي أخفيها في الهرطقات،

أو في اختلاف لغتي، أحبّ إثمي

الذي، حين دخلت متحف الرّائدين،

كان طيّة السّروال،

وكان نبض قلبي الوجل: وترفضين

ما لأجله أحببتكِ، لن تبدّلي لي ثيابي.



[IV]

بُول وبَارُوخ

(١٩٤٨ ـ ١٩٤٩)



ذَاكِرة

أعود إلى الأيّام
الأكثر نأيا،
أيّام حبّنا، مدٌّ
من الشّكران الصّامت،
والقبلات اليائسة.
كلّ طفولتي
على ركبتيكِ
خوف فقدانكِ هلعة،
في شغف
بلقياكِ تسعد.

أتممتُ الرّحلة
التي ما أتممتِها،
يا قبّرتي الظّريفة،
يا أمّي الصّبيّة. أيّتها الجرأة
مشبوهة العذوبة،

والمغرمة والمتهوّرة

ويا أيّها الحبّ الضلّيل...

قد كنتُ غيري،

حين عدتُ،

وعلى وجهي قناع مودّتنا.

بهاء غامض

من الظّلال فوق الجبهة

النّاصعة وفي موجة الشّعر

الفتي ـ بهاء هزيل

على عظام الذّقن

والوجنتين، متصلّب

فوق انحناءة الوجه النّاعمة ـ

بهاء طفل أو لصّ ـ شفيف

ومضطرب علامة طُهر عتيق،

الوقت يبّسه ولكن،

لعلّه، مازال عذبا...

آه، عذوبة فيك رائعة

أنتِ التي كنتِ فعلا جميلة.

أذكر العشيّات

عشيّات بولونيا: خلال العمل

كنتِ تغنّين

في البيت الذي ما كان إلاّ الصّدى

وبعدها تصمتين،

ومتوارية، في الغرفة الأخرى

(آه يا لقَدمك الدّاكنة،

قدم البنت الصّغيرة)...

تستأنفين الغناء.

والعصر صمتا كان

والعصر كان انتشاء: لعلّه،

آنفا كان ينذر

بالدخول في لعبة القدر المريعة.

تعلمين كم كنت طاهرا...

كم كنتُ أرغب في حياة

لا أستحقّ جمالها...

وكم كنت مصمّما

أن أحمي وأن أحبّ...

لكنّك ما كنت تعرفين

عنّي إلاّ الاستسلام

وهالة الوفاء السّاذج،

والهوى المنبوذ والنّبيل...

كنتِ تجهلين
تنازلا في داخلي
هو خسّة، لسان رعاع،
كلمة لئيمة.

في تاريخ حبّنا
ظلٌّ يحلّق،
العلاقة الوحيدة،
الثّقة المفرطة
المتعذّر التّعبير عنها،
تبقى كلمة، تُفسد...
النّقاء الضّائع:
ها هي الجِدّة،
ها هو الحدث المريع،
والعائلة القديمة التي،
لعلّها حتّى الآن مرتعدة
من تاريخ نهر *البو*،
من شبابه الحزين والبطولي...

العالم كائن
في ظلّ ضحكتكِ الفاترة
ضحكة الأمّ الفتيّة.

آه، لا شيء أعلم، وأعلم كلّ شيء

عن ازهراركِ

عن فساتينكِ العطرة

والفاحشة والمحتشمة،

عن صدرك الأبيض،

شبيه صدور بطلات عصر...

وحدكِ، كنتِ

تهبين السّكينة للذي،

تحت ظلّكِ، كان يألم

من فرط حبّه للعالم.

أهيم بالأجساد

شبيهة جسدي الطّفولي ـ

الذي بطنه من حشمة يشتعل ـ

الغامضة، كاملة البهاء

الطّاهرة والعفيفة

والمحبوسة في لعبة لا واعية

من البسمات والرّضى

(هواء يضيئها

بشعرها النّاعم

في المروج الملوّثة

مروج براءتها)،

أجساد هامدة

من ارتعادات اللحم، طيف

من الاختلاجات دونما شفقة،

سيف مغروز

في الوردة المتلفة،

وردة الصّدر الذي ينزف،

أجساد الصّغار

ذوي السّراويل الزّاهية،

وسمرة الأمّهات أو شقرتهنّ

في خطواتهم، وحبّ عظيم،

في قلوبهم، للعالم.

[VI]

تَراجِيديَات

(١٩٤٨ ـ ١٩٤٩)



مُوشَّحُ الهَذيان

مِن تلقائه، نَصبٌ من العاج
بالشّعاع القديم تيبّس،
شعاع حياتي التي أصبحت
طائشة منذ عهد قريب...
وهواء المساء الصّموت
يعود إلى قلب اللغة
مع تنهّدات السّنوات، تبدّدت الحياة
في الآفاق الزّاهية، هواء
تهيّجه صدور الملائكة،
ثمّ يعود إلى منخرَي جثّتي،
على مدى الأيّام،
منذ *السّلام عليك يا مريم*حتّى *دَقّة التّبشير*.

كلّ شيء ينشز، كلمة، أصغي
إلى تنافر الظّلمات، فزع ساديّ ومجنون
في الكلمة، فزع مُبوّق. من تنافر الأصوات سكران ـ

إنّه الإخفاق المجهول من البشر.

ضياء النّجوم الكاذب

ينهال ضربا على المطابخ المنطفئة،

والضّباع المفتونة بالعفونة في وَهَن تكشط...

ها أنا، أسمعكِ دون أن أجلد ذاتي،

يا ربابة[1] السّنين المرتعدة،

يا حدّ اللؤلؤة المفلول،

الذي يحفر حدّ الرّوح؛

عليّ أن أبقى بلا حركة:

أنا الآن حيّ في المرآة،

أنا صورتي مغمورة

في سيرة الضّياء الكاذب

في مرآة الطّفل الصّغير

حبيس القنديل المضيء.

أنا في المرآة السّاكنة ـ

سمكة زرقاء محجوزة

في الجليد، يضيع اختلاجها

في تابوت الزّجاج الأبدي ـ

أنا الرّعب الذي

---

(١) المقابل الدّقيق للفظة diapason هو: رنّانة.

مبرّحا يئزّ

في صدر الكلمات الرّحب

ولا يشقّ الكلمات:

الذي بالكاد يلامس

مقلتيّ الصّورة الوحيدة التي تحيا...

في سكون المرآة الرّعوي

واللون السّاذج

للفجر في الموطن،

والموغل في البراءة،

يكون سؤالي، غير المسؤول والقاتل!

إلى أين تمضي القطارات،

لاهبة المعدن في السّهل النّدي،

والنّور المشتّت في الأفق،

إلى أين يرنو،

وأين تتّجه البواخر المغطّاة بالملح،

وأدخنة المصانع أين ترتحل، وهل

تميل الحياة إلاّ إلى نهر الآخرون

الذي وسط المرآة يسترخي؟

رذيلتي وجبني، وهما نبعاي، هل لهما

في ذاتك نضارة خارقة؟

وأيّة اغتيالات غريبة يرتكب الوليد

في خفيّ الجسم القرمزي البليل؟..

(هكذا، صوتا ناعما

تصدعين المتوحّش في الزّجاج السّاكن،

هكذا، تبهجين الوردة الأخيرة،

وردة الذي كان ينطق لغة أخرى

وسكت أمام النّبأ،

هكذا، أنتِ الظلّ الذي يحاصر،

وعطالة القلب الكئيبة،

وجنون الرّوح المدهش؛

هكذا، أنت غاية الأناقة،

أناقة الورقة التي تزهر الأعوام

مقدّمةً للصّمت المفرط في الطّيبة،

صمت الهمجيّ، أريجا كاذبا).

المرآة مفتّتة

أيّتها الطّليقة في الواقع

ها أنا في العالم! آه ها أنا أعود! أنا ندّكِ

وحدتي الإلزامية انتهت

ما كان الخروج عن السكّة إلاّ موضوعا للسّوسيولوجيا...

لكنّني أعود، يا لها من وقاحة مخزية، إلى اليومي

أصدي الوثبة الكيفية عكسيّاً، سقوط للملاك قديم، يا للفضيحة!

أوّاه، يا أندادي كما بالنّسبة إليكم،

بيني وبين الواقع نظام خارق كنت انتميت إليه، السّذاجة.

تقريبا ما ظلّ إلاّ الجسد،

أيّها الأحياء المقبلون

يا من ستحيون عوضي

في برودة هذه الجدران،

لا أعرف حبّاً آخر في داخلي

إلاّ أزرق الأيّام المعتمة،

ليس الوقت إلاّ من اللازوردي

على ظهر المحتضر،

مشهد طبيعيّ عذب وعارٍ،

همس لجوج،

صورة حسّية عن اللاشيء.



[VII]

اكتشافُ مَارِكس

(١٩٤٩)

أعلم أنّ المثقّفين خلال شبابهم يشعرون حقّا بميل حسّي نحو الشّعب ويظنّون أنّه الحبّ. ليس ذلك حبّا: إنّه ميل آلي إلى طبقة العمّال.

مكسيم غوركي



[I]

هل ممكنٌ أنّ ظلاّ

له وجه صبيّة

وحشمة نرجس

يلد جسدا يرهقني

أو أنّ بطنا لازورديّا

يلد شعورا ـ متوحّدا

في عالم معمور؟

إنّه خارج الوقت

قد وُلد الصّبي وداخل الوقت يموت.

[II]

دمٌ متوسّطي
لغة رومانية رفيعة
وجذر مسيحي

في الماضي الغريب
المولود في غرفة
مدينة محظوظة.

كنتِ بلا دين،
زوجة متوحّشة أو ساذجة
وأُمّا ـ وليدة.

[III]

كيف وقعتُ

في عالم نثري

عندما كنتِ عصفورة،

قُبّرة،

وكان قلبكِ صامتا

إزاء التّاريخ ـ وردة.

أيّتها الأمّ الفتيّة؟

أفي هذا النّظام الجلي

داخلكِ يَقبل العالم بي؟

[IV]

أنفذتِ في قلبي

الرّاشد قبل الأوان،

مراهقا، منه

سعيتُ، مضطرما هياما،

إلى ينابيعه. آه من تربية

تلائم بينها وبين وجدان

عصري المستبد،

وجدان وحيد، هو الصّدى

للقلب الموجود قبلا.

[V]

وكلّ يوم أغرق
في العالم العقلي،
مؤسّسة الرّاشدين

عديمة الشّفقة ـ في العالم
المنغرز في الرّمل
منْ حِقَبٍ في دويّ إسم

عبرهُ أحبس ذاتي
في الملَكة الخارقة
التي اختُزلت من الآن في العقل.

[VI]

ولكن متى ثِقَلُ العمر
الذي يقسر الشّعور
ويشكّل الواجب،

متى يكون في داخلي
قد هَزم
صَدَّ قلبي الهزيل؟

إذ أنّني في صحبتكِ
لا أملك قلبا مُغرما
بل شعلة من المحبّة العذبة؟

[VII]

ألا تعتقدين أنّ الأرض

التي أنا فيها طفل أعمى

وعاشق، ألا تعتقدين أنّها

ما كانت ملكيّة

لابنكِ مفرحة،

هذبَة الأحلام، مدجّجة

بالطِّيبة ـ لكنّها أرض

للآخرين قديمة

تعطي الحياة مرارة المنفى؟

[VIII]

اللغة (التي بالكاد في داخلكِ

ترنّ منها علامة،

عند فجر اللغة المحلّية)

والزّمن (الذي يَهبكِ

إليه ورعك السّاذج

والثّابت) هما الحائطان

اللذان بينهما دخلتُ

متمرّدًا ومملوكا،

أمام عينيكِ السّاكنتين.

[IX]

ما هي ذاتٌ، بل موضوع،

أمّي! ظاهرة حزينة،

لا إلهة متجسّدة

في قلبها

أحلام إبن قلق! حضور

مُغفَلٌ، هو غيري

آسفٌ! أَبنتِ عنّي

في أُحجية الجنس

لخلقٍ منطقي.

[X]

بل إنّ في الحياة

شيئا آخر غير الحبّ يوجد

لأجل مصيره الشّخصي

إنّه حساب دون معجزة

يؤلم أو هو

ارتياب يُزعزع.

حكايتنا! مِلزَمة

من خالص المحبّة،

قوّة عقليّة وربّانية.

رَمادُ غرَامشِي

(قصائد قصيرة)



تَجمُّعٌ

(١٩٥٤)

هو أنقى هُنا، في رعبه الهادئ

ـ حين ترتعد المساءات العميقة

عند الحفيف الأخير والشّعري

للحياة البسيطة ـ لقاء نتوءات سقوف المدينة

بظلمة السّماء.

وحيطان كابية، ومساكبُ

عقيمة، وطرق ساحلية عابسة، تمزج أسرارها،

الزّاهية والشّاسعة،

بتلك التي يمنحها لها الكوسموس[1]. ولكنّ زخّات

من المطر تنهار فجأة هذا المساء

---

(١) الكون بوصفه نظاما متناغما/ المنهل/.

على هموم السّائح اللاواعية، وتجمّد
اندفاعه عبر

حرارة فضائه الرّجس...

السّاحة، شبيهة مدخل هائل، وخطوات رنّانة
لأنّها نادرة، وأصوات شفيفة
لأنّها ساكنة، في سناء الحجارة المتّضعة ـ

بين أركانها المنطفئة،
ما عادت السّاحة تختلج؛ ومنزوية،
عربات الجبابرة ما عادت تصرُّ

وهي تجلف جنب الفتى المنبوذ
الذي يسحر المدينة بصفيره الخفيف...
جمهرة شاحبة تُترع الفضاء

شائعاتٍ كاذبة. منصّة هناك
أعلى منها، مغطّاة بالبيارق،
التي نورها الدّاكن يصنع

من البياض كفنا، ويكدّر الأخضر، ويسوّد الأحمر
الشّبيه بالدّم النّاشف. سفاة سنبلة
أو نبات كئيب، تتمايل وَسْطه، شاحبة،

شُعلة صغيرة فاشية.

* * *

الوجع، الطّارئ، يرمي بي
إلى الخلف، كما لو أنّني ما كنت أرغب في النّظر.
ولكن بأدمع تنزع الألوان

من حولي عن الأرض المليئة بالحياة، أتقدّم،
عند المساء، في السّاحة كأنّني مفصول عن الجسد
وسط هذه السّوق

من الظّلال. وأنظر، وأصغي. روما
من حولي خرساء: هو الصّمت، في ذات الآن،
صمت المدينة والسّماء. لا صوت

يُسمع في هذه الصّرخات؛ في هذه الزُّرعة النّضرة
التي ينبتها أيّار حتّى في النّداوة الليلية، وجَمْدٌ
قديم، كثيف يسحقهُ

الى الحيطان الأثيرة، وقد صارت حزينة
دما في قلب طفل
قلق... وكلّما زاد الصّراخ

هنا (والكره في القلوب)، زاد القفر
قمرا في الحوالي

حيث العادي، المتواني يهمس

قد ضاع هذا المساء...

ها هم الذين هم النّسخ الحيّة،

الحيّة، من جزء منّا هو، ميّتا،

كان أعطانا وهمَ كوننا مجدّدا ـ أُنقذنا

منه إلى الأبد. وعن الظّهور المفاجئ،

على هذه السّاحة الرّهيفة،

الشّرقية، هو ذا جحفلها، الكثيف،

الصّارخ ـ مع إشارات النّسب

التي هي عند الرّعية حبور عامض

وفي ذاتها غموض حزين ـ يفقد صوابه

وهو يَنشد الصحّة. وطاقته

إن هي إلاّ وَهَنٌ، عدوان

جنسي، لا طريق أخرى له

حتّى يصير انفعالا، في الرّوح المهيّج،

عدا حركات جدّ مشروعة أو جدّ محظورة:

وهنا لا شيء يَعوي سوى القصور

البوجوازي عن إعلاء النّوع،

ولبس اليقين الذي

يثيره، ويائسا يعتقد

في المرء الذي لا يعلم أيّ نور يحمل في ذاته.

* * *

أظلّ واقفا وسط هذا الجمع كما

لو أنّ الجَمْد الذي منذ ثالوث الجبال،

منذ نبت *البنشيو القاسي*، *السّطر المستقيم*

تجاه النّجوم والآفاق المغلقة، الذي

يهمد المدينة، كان يهمد قلبي، مُرجعا

الميول المبتورة إلى انذهال خالص

إلى مرارة، إلى شفقة. أرمي في الجوار

بأنظار لا تشبه أنظاري

بقدر ما أنا عنها أختلف. هنا لا تكمن هيئة النّاس

الذين يحيون معي، في وجوههم

زمن ميّت يعود دون انتظار، مقيت

كما لو أنّ أيّام الانتصار الجميلة،

وربيع الشّعب

كانت قد اندثرت.

بالنّسبة إلى من واصل الحياة، هو ذا الماضي،

في الجوار، هي ذي الأطياف والميول
مجدّدا تنبجس. هذي الوجوه الفَتويّة
قبل الأوان قد شاخت، هذي الأنظار

الدّاهية لأناس شرفاء، هذي التّعبيرات
الجبانة عن الشّجاعة. وإذن ذاكرتي
مكدّرة كانت ومُختزَلة

حتّى أنّي ما احتفظت بالذّكرى؟ وسط الجلبة
صامتا أمشي، أو لعلّ الصّامتين همُ،
في العاصفة التي تُترع قلبي.

* * *

وفي خضمّ إحساسي بفقداني
لجسمي، الذي حمّلني كربا ما كنت أنتظره،
إلى جانبي، في صمت، يَبين لي

رفيق. مثلي، مأخوذا وحائرا،
يتقدّم في الغوغاء، ومثلي ينظر
إلى هؤلاء النّاس ذوي تلك الوجوه؛ مثلي يجرجر

جسمه الهزيل بين الصّدور التي يفعمها
المتزمّتون بالخُيلاء الخسيس. ثمّ يسلّط نظرة
علَي. نظرة حزينة تضطرم

في حياء جيّدا أعرفه؛ وإنّها نظرتي
هذه النّظرة الأخوية! بعمق أليفة جدّا
في القصد الذي

يعطي لهذه الحركات معنى خالدا!
في نظرة الانتظار
هذي الحزينة، للمرّة الأولى، منذ الشّتاء

الذي ندرك فيه مصيرنا، أبدا دون اقتناع،
أخي[1] يبتسم لي،
إنّه إلى جانبي. أليما ومُضطرما،

في ابتسامة، يشفّ الضّياء الذي به يحيا،
مناصرا غامضا، ما بلغ العشرين حتّى،
كيف له أن يفصل

في شرف حقيقي، في هيجانِ كراهية،
كيف له أن يفصل في تاريخنا الجديد: وظلّ
في هذين العينين، مُخزٍ واحتفالي...

إنّه يطلب الرّحمة، بهذه النّظرة
المتواضعة، والمريعة، لا لمصيره الخاص،

---

(١) أخي غويدو، بعد عام من القتال البطولي في صفوف المقاومين، فيلق «أوزوبو»، استشهد في جبال فينيسيا جوليانا عام ١٩٤٥/ الشّاعر/.

بل لأقدارنا... وإنّه هو، الفاضل جدّا،

الطّاهر جدّا، الذي وجب عليه السّيرُ حاني الرّأس؟
وتسوّلُ بعض الضّياء
لأجل هذا العالم المنشور في صبح عتيم؟

١٩٥٤

رَمادُ غرَامْشِي

[I]

أهو أيّاري، هذا الهواء الملوّث
الذي يصيّر هذي الحديقة الغريبة والدّهماء
أكثر عتمة، ويبهرها
بفرج ساطعة... هذي السّماء
من المجاج فوق السّطوح التي لونها
أصغر حيث المرتفع الهائل يخفي
منعرجات نهر *التّيبر*، و*جبال اللاسيوم*
الزّرقاء الدّاكنة... هدوء
قاتل، ومستسلم، تماما كما أقدارنا، التي يسكبها
في هذه الحيطان العتيقة شهر أيّار الخريفي.
إنه يحمل داخله رتابة الحياة،
ومصير السّنوات العشر التي يلوحُ في نهايتها

أنّ الخراباتِ قد غمرت الجهد السّاذج
والعميق، جهد تغيير الحياة؛
السّكون، رطب ودونما جدوى...

شابّا آنذاك، في ذلك الشّهر، أيّار،
أيّام كان ارتكاب الخطأ يفيد أيضا أنّنا نحيا، أيّار إيطالي
كان يضيف، على أيّ حال، إلى الحياة، الحماسة،

لامبال، بصحّة أقلّ غلظة
من آبائنا ـ لا يعني الأمر إطلاقا أبا، بل أخا
متّضعا ـ كانت يدكَ، بعدُ، قد شرعت

ترسم المثل الأعلى الذي يهبُ
نوره (إنّما ليس لنا: إذ أنّك ميّت، ونحن أموات، معك،
في هذه الحديقة

المبلّلة) إلى السّكون. غير مأذون لكَ،
ألم تر ذلك، إلاّ أن تنام في أرض
غريبة، على الدّوام منفيّا. سأمٌ

نبيل يحدّق بك. وحده،
مختنقا، هزيم السّندان يدركك،
من ورشات ضاحية *تستاتشيو*، *ناعسا*

في المساء: وسط الحظائر البائسة، أكوام

ـن صفائح الفولاذ الجرداء، من الحديد الهالك،
حيث يكمل عامل، في تكتّم، يومه
ـدندنا، فيما المطر من حوله ينقطع.

[II]

بين العالمين، تطغى علينا هدنة.

نخبة، إخلاص... منذ الآن ما بقي لهم من الأصوات

عدا صوت هذي الحديقة الأصيلة

والشّاحبة، حيث الخداع العنيد

الذي يهلك الحياة يظلّ في الموت ماثلا.

رسوم التّوابيت لا تفعل شيئا عدا أنّها

في نقوشها المدنّسة،

تكشف عمّا بقي من مصير هذا الدّنس،

على شواهد القبور الرّمادية،

القصيرة والمهيبة ـ ميول جشعة

على الدّوام تضرم النّيران، بلا أدنى هتيكة،

في عظام الأثرياء الميّتة،

عظام الأمم العظمى؛ نُحسُّها تحوّم، أبدا ما اندثرت،

سخريةُ الأمراء، واللوطيين الذين أجسادهم

تحت رحمة هذي المرامد تهجع،

وقد صارت رمادا، ودوما ضئيلة الطّهر. هنا

سكون الموت يؤكّد الصّمت المؤدّب،

صمت الرّجال الذين ظلّوا

بشرا، وصمت الملل الذي، في ملل البستان،

خفية يتغيّر: المدينة،

التي تقصيه، في لامبالاة، وسط البيوت الهرمة

و الكنائس، في ورعها الكافر، تنسلخ

عنه عن رونقها. والأرض

الثّرية بالقرّاص والخضار، فيه تثمر

ذلك السّرو الهزيل، وذلك البَلَلُ الكئيب

الذي يلطّخ الحيطان من كلّ الجهات

بزخارف بقس شاحب، يلطّفها المساء

ثمّ يخمدها في أريج طحلب عابس...

تلك العشبة النّادرة

و عديمة الرّائحة، حيث الغروب، البنفسجي،

يتسرّب في ارتعاشة نعناع

أو علف نتن، بينما، هادئا، يدوزن آلته

في غناء النّهار الحزين،

تضاؤل الليل الضّرير. شرسا
كان المناخ، ووديعا تاريخ هذي الأرض
بين هذه الحيطان، حيث ترشح

أرض أخرى؛ من ذلك البلل
الذي يستدعي آخر؛ بينما تعلو ـ
مألوفة، خطوط عرض ومشاهد

طبيعية حيث غابات إنقليزية تتوّج
بحيرات بعيدة في العراء، وسط المروج
الخضراء كما كرات البليار المتألّقة أو كما

الزّمرّد: «*وأنتِ أيّتها الينابيع...*».
بينما تعلو التضرّعات الورعة...

[III]

خرقة حمراء،
تتلك المعقودة في أعناق الأنصار
وقرب المرمدة، على التّربة الغبراء،

نرنوقيّان، من أحمر مغاير.
ها أنت إذن، منفيّ، في رعايتك الصّارمة،
اللاكاثولوكية، مُدوَّن بين هؤلاء الموتى

الغرباء: رماد غرامشي... مُتجمِّدا بين الأمل
وارتيابي القديم، أقترب، قادما،
مصدفة إلى هذه الهضبة النّاحلة،

قبالة قبرك وإلى روحك الباقية
على الأرض بين هؤلاء النّاس الأحرار. (أو لعلّه شيء
مغاير، شيء أكثر انتشاء

وأكثر تواضعا أيضا، اتّحاد فتوّة،
وجنس وموت)...

في هذا البلد، حيث وَجدُكَ أبدا

ما هدأ، أُحسّ بما كان عيبك

ـ هنا، في سكون القبور ـ وفي الآن ذاته

كم كنت على حقّ ـ في مصيرنا الحزين

ـ في كتابة ورقاتك الأخيرة

خلال أيّام اغتيالك.

أرى هنا، شاهدا على البذار بعدُ ما اندثر

من السّلطان العتيق

هؤلاء الموتى المقيّدون إلى سلك

يغمر في قاع القرون فظاعته

وعظمته: وأيضا لجوج هو

تذبذب السّندانات، في خفية

مختنقا ومؤلما ـ منذ الحيّ المتواضع ـ

لكي نشهد النّهاية.

وها أنا ذاتي... فقيرا، مرتديا

ثيابا يلمحها الفقراء في واجهات

ذات بهرج فظّ عليها يبست

قذرات الطّرقات الأكثر ظلمة،

ومقاعد القطار الكهربائي، التي تشوّه،

ي أيّ نهار: عندما استطعتُ، في تناقض،

أن أعرف مثل هذه الرّاحة، في قلق المقاومة؛

وإذا حدث

وأحببتُ العالم، فلن يكون ذلك إلاّ

حبّا فاسقا وعنيفا وساذجا،

ماما كما كرهته، فيما مضى، مراهقا، مرتبكا،

ندما كان يؤلمني منه، بورجوازيا،

جعي الشّخصي، البورجوازي: وإذا كان العالم

عندك ـ الآن منقسما، فهل هناك موضوع لحقد،

لاحتقار شبه روماني،

إلاّ للقِسم الذي يمتلك السّلطة؟

مع ذلك، فبدون عنفك، أبقى،

إذ أنّني لا أختار إطلاقا. أنا أحيا لا راغبا في شيء،

في هذا الوقت ما بعد الحرب مغشيّا علَي:

عاشقا لهذا العالم الذي أكرهه ـ في بؤسه،

محقّرا وضائعا ـ بفضيحة غامضة

من سريرتي...

[IV]

فضيحة أن أتناقض، أن أكون

معك، وضدّك؛ بالقلب معك،

في وضح النّهار، وضدّك في ليل الأحشاء؛

جاحدا وضع أبي

ـ في الفكرة، وظاهر الحركة ـ

أعرف جيّدا أنّي مشدود إليه بحرارة الغرائز،

بهذا الجمال الذي يأسرني؛

مفتونا بحياة عمّالية،

سبقت وجودك، أصنع معتقدي

من بهجتها، لا مِن صراعها ذي الألف عام،

من طبيعتها، لا من وعيها؛

وحدها القوّة البدئية

للإنسان، التي فرّت وهي تكتمل،

تعطيه نشوة الحنين، تعطيه

بارقة شعرية : ولا أعرف ما أقول

عن ذلك أكثر، إلاّ ما يمكن أن يكون انضباطا،
لا إخلاصا، وحبّا
مبهما، لا تعاطفا مؤلما...

فقيرا وسط الفقراء، أتعلّق،
مثلهم بآمال مهينة،
ومثلهم، أصارع كي أعيش

يوما بيوم. ولكن في وضعي المحزن،
وضع المغضوب عليه،
أنا أملك أكثر الخيارات البوجوازية

المعظّمة، الخير الأكثر كمالا.
لكنّني إذا كنت أمتلك التّاريخ
فهو يملكني أيضا ؛ أعيش في ضيائه :

ولكن ما نفع الضّياء؟

[V]

أنا لا أتكلّم عن الفرد، عمّا يخبّئه

من اضطرام شهواني وعاطفي... هاتان ليستا

علّتاه، وهنا لا يكمن اسم خطيئته

ولا يكمن قدره...

لكنّه مجبول على علل أخرى عديدة

شائعة، سابقة عن ولادته، وعلى

خطيئة موضوعية! إنّ الأفعال

المولودة داخله أو خارجه والتي تجعله

يتفتّح للدّنيا، لا تفلت عن أيّة واحدة

من هذه الدّيانات التي تتبعه في الحياة،

هذي الرّهون العقّارية، المؤسّسة

لتهتك النّهار، وتلد التّعسّف.

ولمّا كان مقرّرا لجثّته

أن تدفن في فيران، *فإنّ الصّراع ضدّها*

ضرب من الأخلاق الفاضلة: وإنّه لدهاء

هذا الهوس الذي يرتّبه في قلبه؛
ومنقّبين أبعد: لضميره
مكائد كِتابية... وحماسة ليبرالية

ساخرة... والضّياء الفظّ،
وسط اشمئزاز المتأنّق الرّيفي،
ذي العافية الرّيفية أيضا... إلى هذه الجزئيات الطّفيفة

حيث تمّحي، على أساس حيواني،
سلطة وفوضى... في مأمن
من الفضيلة النّجسة ومن نشوة الخطيئة،

مدافعا عن براءة مُنحصر،
وبأيّ وسواس! هكذا يحيا الأنا: هكذا
أحيا، أراوغ الحياة، وفي قلبي

إحساس بحياة قد تكون مكوّنة
من سهو مؤلم، عنيف... آهِ كم أفهم،
صامتا، في رعدة ريح

رطبة، هنا، حيث روما صامتة،
وسط السّرو القلق، كأنّه على مضض،
بالقرب منك، آه كم أفهم الرّوح التي يرسمها رقيمٌ

شيللي... كم أفهم دوّامة العواطف،
والنّزوة (الإغريقية
في قلب هذا الزّائر النّبيل القادم

من أرض الشّمال) التي تغمره
في زرقة البحر الصّوري[1]؛ السّرور الجسدي
للمغامرة، المؤلّف

من الطّفولة والجمال: فيما إيطاليا، المُنهكة،
كما لو أنّها في بطن زيز هائل، تبسط
سواحل بيضاء،

مزروعة، في منطقة *اللاسيوم*، *أسرابا من النّحل*
محجوبة بالصّنوبر، الغريب،
بتفريجات أزهار جرجير مصفرّة، حيث يهجع

العضو المنتفخ وسط أسماله،
وفي حلم غوتي[2] ينام مراهق من منطقة شوش*يارا*...
سواحل بيضاء معتمة، في سبخة ساحلية،

سحائب عجيبة من سهام الماء

---

(١) جزء المتوسّط، الجنوب الغربي الإيطالي/ ينسب إلى مدينة صور ـ لبنان.
(٢) نسبة إلى الشّاعر الألماني غوته.

حيث تبرز لطخة أشجار البندق المضيئة،
على طول درب ضيّق يملؤه راعي الثّيران فتوّة.

بلا تبصّر، عطرٌ (خلائط من صخور بحرية)
في منحنيات *فرسيليا الناّصعة*،
التي، متشابكة، ضريرة، تُدير

باتّجاه البحر، الجصّ الصّافي،
وترصيعات حقولها الفصحيّة،
المحروثة بالكامل، والباهتة فوق نهر *السّنكوالي*،

والبائنة في أسفل جبال *الأبوان القائظة*،
في ألوان زرقاء على وردية... خلائط من صخور البحر،
ومن الرّكام، مشوّشة، كما في هلع ذي رائحة

على سواحل *الرّيفييرا*، *الرّطبة*، *الوعرة*،
حيث الشّمس تُبلي مع الرّيح الطيّبة
لأجل أن تضفي عذوبتها الفائقة على ركود البحر...

ومن كلّ ناح تهدر من فرح لا حدّ له،
الة النّقر هذه
التي يصنعها الجنس والضّياء: الأليفة جدّا

لإيطاليا، التي لا تفزع منها أبدا، بما أنّها
هامدة ونابضة بالحياة: في مودّة يصرخون،

في مئات من الموانئ إسم صاحبهم،

شبّان وجوههم سمراء
ترشح عرقا، بين أبناء البلد،
على مدى، حقول الشّوك،

على شواطئ صغيرة وسخة...

فهل تطلب منّي، ميّتا شديد النّحول،
أن أكفّ عن هذا الولع
اليائس: أن أكون في العالم؟

[VI]

أمضي، أهجرك، في المساء،

الذي رغم حزنه، ينزل عذبا جدّا،

لأجلنا، نحن الأحياء، في الضّياء الشّاحب

الذي يتعلّق بالحيّ في شبه الظلّ.

ويستولي عليه. يفاقمه،

يفوّر نواحيه، وأبعد أكثر، يضرم

فيه الحياة السّاخطة،

حيث تَدحرجُ الحافلات الكهربائية الأجشّ، وصرخاتُ النّاس

باللهجة المحلّية، يكوّن جوقة كدرة وقاطعة.

ونشعر أنّه بالنّسبة إلى الكائنات الحيّة، هؤلاء الذين همُ

على مسافة منّا بعيدة، الذين يصرخون، الذين يضحكون،

داخل عرباتهم، داخل مجموعات ديارهم الكئيبة

حيث تندثر

موهبة الوجود الخادعة والصّريحة ـ

فإنّ هذي الحياة إن هي إلاّ رعشة؛

حضور شهواني، مشترك؛
ونشعر بغياب كلّ ديانة
صادقة، لا حياة فيها إطلاقا، ولكنّ فيها بقاء، لعلّه،

أكثر فرحا، من الحياة، كما
في قطيع الحيوانات، حيث الإيغاف الخفي
يجهل كلّ هوى

إلاّ هوى العناء اليومي:
حماسة متّضعة، تقبل في سيماء عيد
تبهرج الإغواء المتّضع. كلّما صار مِثالٌ باطلا

ـ في هدنة التّاريخ هذه،
في هذه الوقفة الصّاخبة حيث الحياة ساكنة ـ
بانت الشّبقيّة الرّائعة

والملهبة والرّهيفة جدّا،
التي تلوّن وتضيء الكلّ
بنار دنسة، في حين أنّ شِقّا

من العالم ينهار هنا، وأنّ هذا العالم
يزحف، في شبه الظلّ،

ليستعيد أمكنة خالية، وورشات كئيبة...

الآن تشتعل الأضواء،

التي تزيّن شارع *زباليا*، *وشارع فرنكلين*،

وكامل منطقة *تستاتشيو*، *الشّنيعة*، بين *هذا الجبل الكبير الوسخ*،

وضفّتَي نهر *التّيبر*، *التي يلمّها المناخ القاتم*،

أبعد من نهر مونتيفردي،

أو يُظهر فروقها الدّقيقة، في اتّجاه السّماء.

أكاليل من الأضواء تُسقط حبّها،

برّاقة، فاترة في كدر شبه بحري...

هو ذا أوان العَوْدِ قد آن؛

أرى حافلاتِ الحيّ القليلة تسطع،

عند بوّاباتها كُتل من العمّال،

وجنودًا يمضون في عصابات، على مهل،

نحو الجبل حيث تُعشّش، وسط أنقاض الميدان المدبّقة،

وأكداس من النّفايات الجافّة،

جاثمة في الظلّ، عاهرات شابّات، ينتظرن، محمومات،

في هذه القذارة المثيرة للشّهوات:

وغير بعيد عنها، بين البيوت الصّغيرة المنفية،

عند حافّة الجبل، أو وسط البناءات

الشّبيهة بالعوالم، أرى صِبْيَة

يلعبون، في خفّة كأنّهم أسمال،
تحت النّسيم الذي ما عاد باردا، بل ربيعيّ هو؛

مُضطرمين بالطّيش الشّبابي،
يُصفّرُ مراهقون سُمرٌ، على الأرصفة،
في هذا المساء الجميل، مساء روما في شهر أيّار،

خلال عيد غسقي؛ وفي ضجيج كبير
تنسدل ستائر الكاراجات الحديدية، في سرور
عندما صار المساء، مستغرقا في نومه، هادئا جدّا،

وعندما، وسط جمّيز ساحة *تستاتشيو*
تكون الرّيح حيث تموت العاصفة ناعمة جدّا،
مع أنّها تلامس الأسوار العتيقة،

وتَيربَ(١) المسالخ، وتَشبع
دما عفنا، وفي كلّ مكان
تقلب الفضلات والرّائحة البائسة.

ضجيج هي الحياة، وهؤلاء البشر
الذين فيها يضيعون، يضيّعونها بلا أدنى أسف،

---

(١) تربة تزيد فيها نسبة المواد العضويّة عن ٥٠٪/ المنهل/.

إذ أنّها تُتْرِع قلوبَهم: إنّا نراهمُ

يلتذّون، في شقائهم، بالمساء:
«عظيمة، عند هؤلاء الضّعفاء، تُبدِع الأسطورة
ذاتها من جديد... فهل أقدر، بهذا القلب،

قلب من يشعر أنّه لا يقوى على العيش إلاّ داخل التّاريخ،
فهل أقدر بعد الآن أن أعمل في انفعال برئ،
وأنا عالم أنّ تاريخنا انتهى؟

١٩٥٤



دِيانَةُ زمَنِي

إلى إلسا مورانتي

[I]

الثّراء

(١٩٥٥ ـ ١٩٥٩)

[١]

جداريات بييرو ديللا فرنشيسكا

في مدينة أدزيرّو. ـ رحلة في ضوضاء

الحياة. ـ بطن إيطاليا الرّيفي. ـ حنين إلى الحياة.

يتقدّم كم خطوة، وهو يرفع ذقنه،
لكن كما لو أنّ يدا كانت
تُذلّ رأسه نحو الأسفل. وفي هذه الحركة
البسيطة والمتصنّعة، يظلّ جامدا، محتفى به
بين هذه الحيطان، في هذا الضّياء،
الذي يرهبه، كما لو أنّه،
دون أهلية، كان قد عكّر صفوه...
كان يستدير، تحت الأساس الذي زال ملاطه،
بجمجمته الرّقيقة، وفكّه،
فك العمّال المحلوق. وعلى القباب الحامية
فوق الظلّ الذي يدّعي أنّه منه قد طُرد،
كان يتقدّم، ويرمي بأنظار الحيوان المرتابة: ثمّ يوجّه،
لحظة، نحونا، مُهانا، بسبب جرأته، عينيه المضطرمتين:
ومجدّدا يرنو إلى أعلى... والشّمس كانت بمحاذاة القباب
مجدّدا تنمحق على المدى اللامرئي...
عصفات من لَهب عبْر الزّجاجيات
تلوّن الحائط عند الغروب، هذي التي في فزع
تتأمّلها عينان وسط الزوّار الذين همُ الأسياد،

وما كان يثني الرّكبتين في الكنيسة، وما كان يطرق رأسه:
ومع ذلك فإعجابه ببعض الصّور، تحت فيض الضّياء النّهاري،
ورعٌ إلى حدّ أنّه يماثل ورعه بضوء آخر يعصف في الفضاء.

سواعد المملوكين هذه، والأظهر الكئيبة
وهذا الشّواش من الجنود الخضر
ومن الجياد البنفسجيّة، وهذا الضّياء الصّافي
الذي يحجب كلّ شيء
بصبغيّة من الغبار الدّقيق: إنّها عصفة،
إنّها مذبحة. إنّ النّظرة المهانة تدرك الفارق
بين اللجام والشّال، بين الأهداب والغُفر:
بين السّاعد المزرقّ الذي، وهو يذبح ينتصب
تجاه السّاعد، كستنائيّ اللون، الذي، منطويا،
يحمي الحصان الذي يتراجع في عناد
من الحصان الذي، واقعا على الأرض،
يرفس الحشد المنزوف.

لكنّ العين من هناك بعدُ تنخفض،
ضائعة، ذاهلة... ضائعة، تتركّز
على الحائط حيث تكتشف
جسدين معلّقين، الواحد باتّجاه الآخر،
في شبه ظلّ باذخ.. فتى نحيل أسمرُ
في ثوبه السّميك، وأمّ، ساذجة،

هي البريئة المهيبة، مريم.
وسرعان ما تعرّفت هاتان العينان الحزينتان عليهما:
لكنّهما لا تشرقان عذبتين في عيائهما.
وليس المساء الذي يتأجّج
في تلال *أريدزو النّاعسة* هو *الذي يحجبهما*،
بل ضياء ـ آه، لا يقلّ عذوبة بالتّأكيد عن هذا الضّياء،
بل هو أسمى ـ يصدر عن شمس مسوّرة حيث الإنسان

إلهيّا صار، وينصبّ فوق هذه السّاعة، ساعة السّلام الملائكي.

ضياء ينصبّ، منخفضا أكثر،
فوق ساعة بدء الرّقاد، بدء الليل،
الذي فجّا ودون نجم يحيط بقسطنطين، وهو ينأى
عن الأرض التي فتورها صمت سحري.
الرّيح قد هدأت، وبعض العصف الشّائخ
بعدُ مازال تائها، كأنّه من الحياة قد حُرم،
بين أجمات من شجر الجوز السّاكن.
ربّما، عبر هبّات ريح، في سورة موهنة العزم، يعصف
داخل السّرادق المفتوح أزيز الحشرات المغتبط
بين بضعة أصواتٍ أرقة، ربّما، وترتيلات قيثارات جماعية...
أمّا هنا، على البساط اللبنيّ المرفوع،
على الحرف، على الباطن المعرّى،
فلا يوجد غير لون النّعاس المعتم: على سريره ينام،

كما حدبة هضبة بيضاء،

الإمبراطور الذي، من هيئته الوديعة،

هيئة الحالم، يفُوح السّكون الربّاني.

مجاجٌ هذا التطلّع الذي دنيئا
يصارع ضدّ هذا السّكون؛ والذي منذ الآن،
مستسلما، يتحقّق مِن مُوق العين
إذا كان وقت الخروج قد حان، إذا كان الذّهاب ـ الإيّاب
الذي يشخر هنا مُنهكا، يذكّره بحركاته اليوميّة،
بضوضاء المساء المرحة. مُجاجٌ حشود البورجوازيين
الذين، وراء خشارات جصّ الهيكل، يحمون أعينهم
بأيديهم، ويمطّون وجوههم المتعبة، مأسورين
بالعطش (الذي يرفع من شأنهمُ، ويجعلهم
يحذون حذو علامة أخرى) من كونهم الشّهود
على ماض هو ماضيهم.

مجاجٌ ـ تحت آجرّ *سان فرنسيسكو*، *الذي بعدُ قد صار أسود*،
وعلى البلاطات التي تغمرها الشّمس من بعيد بضياء
هو منذ الآن في وَلَهٍ عديم اللون ـ مجاجٌ
صخب المحطّات المرهق، والمقاهي شبه الخاوية...
مجاجٌ، مع أنّه أكثر فورانا وحتّى سعيد، هذا الخمير،
خمير عديد الحيوات الضّائعة، والمفرط في البهاء،

إذا وُجد هنا، خلسة وفي قنوط

في أرض إن هي إلاّ رؤية...

ما عدنا نسمع، في السّاحة، في دائرة بيوت القرن الرّابع عشر،

عدا ضجيج أطفال مؤجّل: وإذا نظرنا حولنا، رأيناهم،

بسيماء الأطفال الرّيفيين، ذوي السّراويل القصيرة المحتشمة،

وأحصيناهم، فلن نعدّ أقلّ من ألف؛ وبما أنّ المعادن

وأوتاد تهيئة الألعاب تجعل من السّاحة تقريبا قفصا،

هي ذي، راشحة، مزدحمة،

في حلية، يربكها المساء، هي ذي العصافير يائسة تطير...

آه، في الخارج، عصر المساءات الرّيفيّة الورعة،

مجدّدا ينبثق، وفي الدّاخل، جراح الحنين مجدّدا تنتفخ!

هكذا هي الأمكنة، ضائعة في قلب إيطاليا الرّيفي،

حيث الشرّ له وزنه والخير له وزنه أيضا،

بينما اضطرام المراهقين البرئ مُجاج، والفتيان

فحول في ذواتهم المجروحة، وغير المهتاجة،

بتجربة الجنس المذلّة، بخبث العالم اليومي.

وإذا كان النّاس هنا ممتلئين استقامة

قديمة كما أرواحهم، فإنّهم يظلّون مؤمنين بيقين ما ـ

وورع أفعالهم البائس يقهرهم إلى حدّ أنّه يتلفهم

في دويّ بلا ذاكرة ـ يقين أكثر شاعرية،

أكثر سموّا مُجاج الحياة هذا.

وأكثر عماء هو التحسّر الشّبق

على عدم كوننا حاسّة الآخرين، ونشوتهم العتيقة.

[٢]

ثلاثة هواجس: أن نشهد،
وأن نحبّ، وأن نكسب قوتنا. ـ ذكريات
البؤس. ـ ثراء المعرفة. ـ
امتياز الفكرة

بين آفاق يغطّيها أزرق منطقة أُمبريا المتلاشي
بين السّيول المشمسة والذُّرى المفلوحة التّائهة
في الأعالي، أعالي السّماء، الصّافية إلى حدّ أنّها تصدع
قرينة العَين، أو في الأودية التي
تشرّع أضواء الخلجان، أنتِ، عربة لا واعية ـ لستُ عندها
غير جسم ثقيل على الكرسيّ الجلدي ـ وأنتَ يا من تقودها،
أيها الذي، في هذا الثِّقَلِ إلى جانبيك ـ حين تكلّمه،
متسامحا وكريما ـ لا ترى إلاّ إفراطا في الحياة... هناك شيء ما،
هو، دونما رابط، خليط من العطف والكراهية،
من الفرح المفزوع والسّأم المحموم، شيء يحدث دون أن ترياه.

وفي هذه الواقعة، دمار رهيب يحدث، فرَحا يأتلق.
إنّه الأنا الذي ينمحق. ولأنّه عاجز،
أعمى، حبيس الإفراط في الرّؤيا، آه، لو أنّ الذي يحسّ حريقه
دما لو أنّه من عمق حياة أخرى، آه، فقط، لو أنّه شعر
بالرّأفة أو بالودّ! لا بالكره تجاه الرّجل التّائه
في النّكوص الذي سبّبه له انفعاله القديم والصّبياني!

"اه، لو كان وحده، تحت هذه الأسمال، ينمحق،

هذا الجبين الذي تكمده الطّريق، والرّغبة ـ الجليّة ـ
في الشّهادة. إنّ الشّعور الدّيني، المعتوه الذي يجمّد
عيد الحياة اللاشعوري، عيد الجيل الطّفولي، حيث الوجوه،
هاربة، تضحك في احتدام إلى سطوح الهضاب،
فوق خواء السّيول وسط الكروم القديمة والمزارع...
بحيث لا تتيه تلك اللحظات المضيئة والمهجورة، في العالم،
حيث تبقى تائهة في صفائه ضياء الحركات العادية.

أو كذلك لو كان الجسد ـ
هذا الحطب المحرق، حطب الجشع القديم
إلى الإدلاء بالشّهادة ـ الذي يسمع في كلّ صوت
من هذه المشاهد العيدية، صوت حبّ، لو كان ينمحق،
الذي يرى في كلّ فعل ـ قد يتقدّم معه جسد جديد
مشرقا فتوّة أو يتأخّر ـ فعل حبّ... وإنّ الحبّ ـ
هذه الرّغبة اليائسة للحواس، هذه الهستيريا الجليّة ـ
هو الذي يصهر الأصفر والدّاكن فوق المنحدرات
خلف الأدغال والخنادق، في سناء الظّهر المتواضع
ودياجير المساء الفاقعة. وهو الذي
يُلهب خدّا،
بِلُوَنيات الزّيتون أوالقرنفل، خدّا يلمع في الشّمس المشعّة ـ
أمرد أو بالكاد مُظَلّلاً بزغب أوّل ـ مصوفرا بابتهاج...

أو خصلة من شعر الرّأس
جميلة القصّ، عالية تنبجس أو في هدوء مائلة
على عينين مسرورتين... أو يدا موضوعة
بلا مبالاة وسخرية أسفل البطن...
وهو الذي يرى الموت في كلّ ضفّة كانت تختفي، إلى الأبد،
إلى الأبد، حدّ كلّ طريق
بين أطراف الغاب، تنحلّ، يراه يركض
وسط فتوّات سعيدة، ضائعا أبدا...

إذ أنّ شيئا آخر مازال يتلف القلب:
نارٌ، هُو أيضا، هذا الذي، بنذالة، لا أرغبُ
في الحديث عنه لأنّه: كما الحديث عن ألم
جدّ عميق وبائس، لقول العظمة الباطنية
والبائسة التي يحتويها كذلك داخلنا كلّ ألم.

الرّغبة في القدرة على الاعتماد على الأقلّ
على الخبز والقليل من السّرور الهزيل.
لكنّ القلق الخالي من الحياة يفرض نفسه،
القلق الذي يصلح باطّراد للبقاء على قيد الحياة...
كم من حياة قد انتُزِعت منّي بفعل أنّي
لأعوام عديدة كنت كسولا بائسا، كنتُ الضحيّة التّائهة،
ضحيّة المرتجيات التملّكية. كم من حياة
كنت عبرتها كلّ صباح
وسط الحشود الفوضويّة الجائعة،
من منزل فقير في ضاحية، مهجور،
إلى مدرسة بائسة نائية بضاحية أخرى: تعبٌ
لا يرتضي إلاّ بمن مسكوا به من عنقه،

تعب تعاديه كلّ أشكال الوجود.

اه، حافلة السّاعة السّابعة، القديمة، المتوقّفة
بالمحطّة الأخيرة، محطّة *ربّيبيا*،
بين تخشيبتين، ناطحة سحاب صغيرة، وحدها
في مذاق البرد أو الفتّانه...
هذي الوجوه،
وجوه العابرين العاديّين، كأنّهم
في إجازة يخرجون من الثّكنات البائسة، وَقورين وجدّيين
في حيويّة البورجوازي المزيّفة
التي تحجب الرّعب القديم والقاسي الذي يكابده
هؤلاء الفقراء الطيّبون.

كان الصّباح الذي يضيء إليهم ينتسب،
وعلى خضرة الحقول المزروعة حول جبال *الأنييني*،
كان ذهب الصّباح يوقظ رائحة الفضلات، وينشر
ضياء خالصا كما نظرة إلهية، وعلى الصّفوف
بيوت صغيرة مقطوعة الرّؤوس، ناعسة
جميعها في السّماء التي بعدُ مضطرمة...
هذا السّباق اللاهث بين مناطق هذا المشغل الضيّقة،
هذي الحوافي المحروقة، ومسالك *تبورتينا الطّويلة*... وهذه *الأرتال*
من العمّال، والعاطلين عن العمل، واللصوص

الذين ينحدرون وهم بعدُ مشحّمين بعرق الأسرّة الرّمادي ـ
حيث كانوا ينامون *رأسا لقدمين* مع *أحفادهم* ـ في غرف
صغيرة وسخة مغبرة، كما النقّالات، كدرة ومرحة...
هذه الضّاحية المقسّمة إلى قطع، شبيهة بعضها،
والمشبعة بشمس ساخنة، بين مقالع غير مهيّأة،
وجُثُمٍ منهارة، وأكواخ قذرة، ومصانع صغيرة...

لكنّني في هذا العالم
الذي لا يملك حتّى الشّعور بالبؤس،
هذا العالم المرح، القاسي، فاقد الإيمان،
كنت غنيّا، كنت مالكا!
لا لأنّ وقارا بورجوازيا كان ماثلا في ثيابي
وفي حركاتي قديمة السّأم، محبوسة الوجد، فحسب:
بل لأنّني ما كنتُ أمتلك الشّعور بالثّراء.

ما كان الفقر عندي سوى عَرَض
(أو حلم، أو عدول غير واع من قبل أحدهم يحتجّ باسم الله)...
وبالمقابل، فإنّ ما كان مُلكًا لي، هي المكتبات،
وقاعات العروض، وأدوات كلّ أنواع البحوث:
إنّ في روحي، المنذورة للرّغبات، بعد ماثلة، كاملةً،
أعمال *سان فرنشيسكو*، في *نسخ نضرة*، وجدارية *سان سيبولكر*،
وتلك التي *لمونتركي*:
وكلّ أعمال بييرو[1]، كرمز *للتملّك المثالي*،
بما أنّها أعمال أحبّها الأساتذة، *لونغي* أو *كونتيني*،

(١) بييرو ديللا فرانشيسكا/ انظر آخر الكتاب/.

امتياز طالب ساذج، وإذن

ثمين... كلّ شيء حقيقي،

كانت هذه الثّروة بعدُ قد أُنفقت،

أو كادت، وهذا الحال قد أُنهك: لكنّني، كنتُ،

كما الثّريّ الذي، إذا كان ضيّع بيته

أو أراضيه، فإنّه في داخله، على ذاك تعوّد:

وهو، رغم الخسارة، يواصل كونه السيّد...

كانت الحافلة قد وصلت محطّة *بورتوناتشيو*،

تحت سور *فيرانو*:

كان عليّ أن أنزل وأركض عبر السّاحة الحافلة بالكائنات،

أن أصارع كي ألحق بالقطار الكهربائي،

الذي أبدا ما كان يأتي، أو كان على مرمى حجر منك يرتحل،

أن أعود إلى التأمّل

تحت الوقاء المعبّأ بالعجائز والشّباب الوسخ،

أن أرى شوارع الأحياء السّاكنة،

شارع *مورغانيي*، *ساحة بولونيا*... *بأشجارها الصّفراء*

عديمة الحياة، أشلاء حيطان، بيوت قديمة، أبنية

جديدة متواضعة، فوضى المدينة،

تحت شمس النّهار البيضاء، فوضى المدينة المرهقة والمُعتمة...

اه، أن يفرغ المرء إلى ذاته، وأن يتفكّر!
أن يقول في نفسه، أخيرا، أنا الآن أفكّر ـ جالسا
على مقعده، بالقرب من زجاج البوّابة الودّية.
أقدر أن أفكّر! النّهار يلهب العينين،
والوجه، بدءا من مروج *بياتزا فيتّوريو*،
وبائسة، دبقة، رائحة الفحم تليّن
نهم الحواس: وجعٌ رهيب
يوهن القلب الذي، مجدّدا يعبق بالحياة.

حيوانا في ثوب إنسان ـ طفلا
ملقى به وحيدا بأمر من الحياة،
بمعطفه وقروشه القليلة،
بطلا ومضحكا، أمضي إلى العمل،
أنا أيضا، كي أعيش... شاعرٌ، هذا صحيح، ولكن
في انتظار أن يتحقّق ذلك ها أنّني
في الحافلة المعبّأة بالعمّال، وكما لو أنّها مزحة،
شاحبا من شدّة التّعب
ها أنا أنضح في سبيل معاشي،

وقار فتوّتي الباطلة،

كمّ زهيد، مع تذلّل ذاتيّ وشراسة بائنة، به أدافع عن ذاتي...

غير أنّي أفكّر! أفكّر داخل الزّاوية الصّغيرة

والصّديقة، غائصا طيلة نصف السّاعة التي يطلبها الطّريق،

من *سان لورينزوإلى الكابانيللي*ومنها *إلى المطار، أفكّر*،

باحثا عن ترجمات لانهائية لبيت شعر واحد،

لجزء منه. يا للصّباح الخارق الذي لا صبح يشبهه! الآن

خيوط من الضّباب الهزيل النّاعم،

المندفع بين جدران القنوات، المغطّاة

بالبيوت الصّغيرة شبيهة حجرات الكلاب، وشوارع

هناك، مهجورة، مُلقى بها لأجل المعوزين دون غيرهم.

رشقات من الشّمس، الآن على مروج من المقاطع والكهوف،

نشاز طبيعي، مع خضرة ينشرها الياسمين البرّي؛

الآن عصفات ذهبيّة على الدّروب حيث الخيول،

بأردافها العذبة السّمراء تركض سابحة، يركبها

مراهقون يبدون أصغر من أعمارهم،

ويجهلون أيّ ضياء في الأرض يغمرهم.

[٣]

انبعاث شعريّ لروما

إلهي، ما هذا اللحاف السّاكن
الذي يتألّق فوق الأفق...
ما هذا الثّلج الحُبيبيّ من الزّبد ـ الورديّ الدّاكن ـ
هُنا، من سفوح الجبال حتّى
تموّجات البحر الكاذبة...
ما هذه الجمهرة من الشُّعل المدفونة في الضّباب،
هذي التي تجعل السّهل بين *فيتراللاو السّرسي*يشبهُ *منقعا*
في إفريقيا، يتضوّع في لون برتقاليّ مُملّ... إنّه
حجابٌ من الضّباب المتثائب، والوسخ، والمفتول في أوردة
شاحبة، وحدود محروقة، وغدد من الشّعل: هنا
حيث أودية *الأبينين*تخرج *من بين سدود الفضاء*،
فوق *الآغروالبخاري والبحر: ولكنّ سردينيا، أو كاتالونيا*،
الشّبيهتين، من زمن، بالسّفن أو بالسّنابل فوق البحر، المتلفتين
في حريق هائل، فوق الماء، الذي يتخيّلهما أكثر ممّا يعكسهما،
تبدوان، وهما تزلجان، قد توصّلتا، إلى اقتلاع كلٍّ واحدة
من غابتيهما اللتين مازالتا
متأجّجتين، وكلّ أتون متوقّد
بمدينة، أو تخشيبة، أكلتها النّار، إلى الشّحوب

في هذا البُراح من السّحائب فوق *اللاسيوم*.

ما عاد شيء يوجد إلاّ الدّخان،

وسنندهش، إذا بلغت أسماعَنا، في هذا الخراب من الحريق،

نداءات أطفال نضرين، بين الزّرائب، أو بين دقّات أجراس

رائعة، من عزبة إلى أخرى، على طول التموّجات الموحشة،

التي نلمحها منذ شارع *سالاريا* *كأنّها في السّماء معلّقة* ـ

على طول هذا الحريق من الكآبة

الضّائع في خراب هائل.

إذ أنّ غضبه منذ الآن، وهو يشحب، كأنّه مصاب بفقر الدّم،

يفاقم قلق السرّ الخفي،

حيث، تحت هذه السّحب المقضومة،

تحت هذه السّحب من الغبار المتوهّج، كما غطاء سماوي،

تحضن روما أحياء متوارية.

[٤]

سهرة رومانية ـ نحو حمّامات كركللا
جنس، مواساة البؤس ـ رغبتي في الثّراء ـ
انتصار الليل

إلى أين تمضي، تائها في شوارع روما
في الباصات والحافلات الكهربائية التي تُستقلّ
للرّجوع إلى البيوت؟ عجلان، منحصرا،
كأنّما عمل جَلود في انتظارك،
عمل يتركه الآخرون ليعودوا الآن إلى ديارهم؟
لحظات تلي العشاء، حيث الهواء يرسل
برائحة البؤس الفاترة والعادية في ألف مطبخ متناثر
عبر الشّوارع الطّويلة المضاءة،
التي، مضاءة أكثر، تراقب النّجوم.
على الحيّ السّكني يخيّم الهدوء
الذي، في خَور، يرضى به كلّ امرئ في بيته،
الذي، كلّ امرئ يرغب أن يملأ منه المساءات كلّها.
أن يكون المرء مختلفا! ـ في عالم لكنّه خؤون ـ
فهذا معناه ألاّ يكون وديعا...
هيّا، انزلي، عبر تعرّجات الشّارع
الموصل إلى ما وراء نهر *التّيبر*: *فجأة*، جامدة
وشاحبة، بادية منزوعة من وحل أزمنة أخرى
ـ كي تهبي السّرور لأيّ امرئ قادر على اختلاس يوم آخر

من الموت، من الألم ـ
تجدي أمامك روما كلّها...

أعبرُ جسر *غاربالدي*،
أمرّ بأصابعي في عجل على الحاجز،
عكس الطّرف المثلوم للحجارة الصّلبة،
في الجوّ الخانق المتضوّع
برقّة في الليل، على قبّة نبت الزّينة المهيّج.
صفائح معدنية،
تتعاقب في شحوب، على الضفّة الأخرى،
تملأ السّماء، ذابلة اللون، بالرّصاص،
صفائح مسطّحة تملأ
مصاطب الأبنية المصفرّة.
وأنظر، سائرا فوق البلاط المحفّر، بلاط العاج، أو أنّني
بالأحرى، أشتمّ، ركيكا، ثملا ـ ملسوعا بأنجم هرمت
ونوافذ صاخبة ـ إلى الحيّ الكبير الأُسري:
الصّيف الكئيب يطليه بالذّهب، نديّا أراه،
وسط العفن المريب، الذي تنشره، مع المطر،
الرّيح القادمة من حقول *اللاسيوم*
على سكك الحديد وفي اتّجاه الواجهات.

بمثل ما يحسّ به السّور في الحرّ الشّديد

عند أسفله إلى حدّ أن يصير فضاء: كذلك،

من جسر سوبليتشيو*حتّى الجانيكول*

تختلط النّتونة بانتشاء الحياة التي ما هي بالحياة:

علامات ملوّثة تقول إنّهم من هنا عبروا،

سُكارى عُجّز كفّوا عن العمل، عاهرات عتيقات،

داعرون شرّيرون: بقايا بشريّة ملوّثة، إنسانيا فاسدة،

جاءت تقول لنا، في هدوء وشدّة، عذوبتها الحقيرة السّاذجة

وطموحاتها التي تدعو للرّثاء.

شبّان أصدقاء

يمضون باتّجاه حمّامات كَرَكللا، مفرشحين

على *روني أودوكّاتي*، في حشمة

رجولية أو في وقاحة رجوليّة،

مخفين في عدم اكتراث

بين طيّات بناطيلهم الفاترة أو عارضين

سرّ انتصابهم...

شعورهم متموّجة، مرتدين كنزاتهم المزرودة

ذات الألوان الصّبوية، يفلقون الليل،

في ألعاب فروسية

لا تنتهي، يكتسحون الليل

أسياد الليل الرّائعون.

يمضي، هو أيضا، باتّجاه

حمّامات كَرَكللا، والقامة منتصبة،

كما كان يمشي فوق منحدرات *الأبنين*، مسقط رأسه،

بين دروب المراعي المُضوِّعة

رائحة المواشي العتيقة ورماد القرى المتوحّشة ـ

وهو بعدُ ملوّث تحت قبّعته الغليظة المغبّرة،
ويداه في جيبيه ـ الرّاعي النّازح ذو الأحد عشر عاما،
وهو الآن هنا، شغِب ومسرور

من الضّحك الرّوماني، وفاتر أيضا
من القويصة الحمراء، من التّين والزّيتون...

يمضي، هو أيضا، باتّجاه
حمّامات *كَرَكللا*، ربّ *العائلة العجوز*،
إلى البطالة، الذي حوّله الضّاري *فراسكاتي*
إلى دابّة حمقاء، إلى طوباوي، يحمل في إطاره
خردة جسمه المهدّم، إربا إربا،
إلى الاحتضار: أدباشهُ، كيس، يحوي
ظهرا مقوّما قليلا،
وفخذين بالطّبع مكسوَّتين بالوسف،
بنطاله رثّ، يرفرف تحت جيبَي سترته
حيث تعلّقت صرّتان عفنتان. وجهه يضحك:
تحت فكّيه، مُصِرّةً، تلوك عظامَه الكلماتُ:
يكلّم ذاته، وبعدها يتوقّف، ويفتل سيجارته القديمة،
هيكل حيث كلّ الشّباب يمثل، مزهرا، كما موقد جمر
في خزنة أو كما دَست:
الذي أبدا ما وُلد لا يموت.

يمضون باتّجاه حمّامات كَرَكلا

..............................[1]

(١) النّقاط من وضع بازوليني.

جنس، مواساة البؤس!

العاهرة ملكة، عرشها

خراب، برارها قطعة

من مرجة لوّثها الغائط، طيفها

حقيبة صغيرة مبرنقة بالأحمر:

إنّها في الليل تعوي، وسخة ومفترسة

كما أمّ عتيقة:

تحمي أملاكها وحياتها.

القوّادون من كلّ الجهات، في فِرق،

منتفخين وخائرين، بشواربهم

الجنوبيّة أو السّلافية، رؤوسٌ همُ،

أوصياء: إنّهم يتكسّبون في الخفاء،

من صفقات البضعة قروش،

يشيرون بأطراف أعينهم في هدوء،

يتبادلون كلمات السرّ: العالم، المُقصَى، من حولهم

يصمت، إذ أنّهم منه قد أقصَوا ذواتهم،

لحوم كواسر، فاسدة، ساكنة.

لكن، في فضلات العالم يولد
عالم جديد: قوانين جديدة تولد
حيث القوانين ما عادت توجد؛ شرفٌ

من القُوى والشّهامات الضّارية يُولد
في كومات الأكواخ القذرة،
في الأمكنة بلا تخوم
حيث نظنّ أنّ المدينة تتوقّف وحيث هي فعلا
مجدّدا تنطلق، عدوانية،
آلاف المرّات مجدّدا تنطلق،
عابرة جسورا ومتاهات، وورشات وأعمال حَفرٍ،
خلف أمواج صاخبة من ناطحات السّحاب
التي تحجب آفاقًا بأكملها.

في رخاء الحبّ
يحسّ البائس أنّه رجل:
يؤسّس لائتمانه بالحياة إلى حدّ أنّه
يحتقر الذين يمتلكون حياة أخرى.
يندفع الأطفال إلى المغامرة، واثقين أنّهم
في عالم يخشاهم، ويخشى جنسهم.
قوام رأفتهم أن يكونوا بلا شفقة، قوّتهم،
أن يكونوا طائشين،
أملهم، أن يكونوا بلا أمل.

أمضي، أنا أيضا، في اتّجاه

حمّامات كَرَكللا، مفكّرا

صحبة حظّي القديم والخارق في التّفكير...

(وإذا كان إلها إلى الآن يسكن داخلي، ضائعا،

ضعيفا، سخيفا هذا الذي يفكّر:

فإنّ صوته إنساني يكاد يكون غناء). آه، أن نخرج

من هذا السّجن البائس! أن نُفلت

من القلق الذي يجعل هذي الليالي العتيقة خارقة!

هناك شيء يُقرّب بين الذين يعرفون القلق

وبين الذين لا يعرفونه: إنّ للمرء

قبل كلّ شيء آخر، قميصًا أبيض!

قبل كلّ شيء آخر، حذاء جيّدا،

وثيابا ذات شأن! وبيتا، في أحياء يسكنها أناس

لا يثيرون فيك الرّأفة، أو شقّة

بالطّابق المشمّس أكثر من غيره،

بها ثلاث غرف، أو أربع، وشرفة مهجورة،

لكنْ بها ورد وزهر أصفر...

وحيدا أَهلكُ، أنا أيضا لي أحلام تثبّتني
راسخا في العالم،
أتغاضى عنها كما لو أنّني ما كنت إلاّ مُقلة...

أحلم، بيتي، على *الجانيكول*،
باتّجاه مزرعة *بامفيلي*، *الخضراء حتّى البحر*:
طابق أخير، تملؤه الشّمس العتيقة
ودائمة التجدّد في فظاظة، شمس روما:
وقد أبني، على الشّرفة، فتحة مزجّجة
ستائرها داكنة، نسيجها قاس: بها أضع، في زاوية،
طاولة، على المقاس قد صنعت، خفيفة،
بها ألف درج، لكلّ مخطوط درج، فلا يقع التعدّي
على تراتب إلهامي المتضوّر جوعا...
آه، شيء من التّنظيم، شيء من اللطافة،
في عملي، في حياتي... قد أضع كرّاسا وكنبات
في كلّ الجوانب، ومنضدة عتيقة،
وبعض آثار قديمة، وآثارا فنيّة
بفظاظة متكلّفة، أطرها مذهّبة،
قبالة الدّعائم المجرّدة للفتحات المزجّجة...
في غرفتي (سرير صغير
بسيط، لحافه مُزهر

حاكته نساء من *كالابريا*أو *سردينيا*)، قد أعلّق
مجموعة لوحاتي الزّيتية التي مازلت أعشقها :
إلى جانب لوحة *زيغينا*،
وقد أرغب في رسم جميل *لموراندي*،
لمافاي، *لديكوارنتي*، *لديبيزيس*،
في لوحة صغيرة *لروزاي*، ولوحة كبيرة *لغوتّوزو*
(١)
....

(١) النّقاط من وضع بازوليني.

مساحة الخرابات، البرتقالية

التي يطيّنها الليل بلون التّرتر النّظر،

بحصون الكذّان الخفيف، المعشّب،

تعلو إلى السّماء: وتحتها

خاوية أكثر، حمّامات كَرَكللا تحت حرقة القمر

تنشر الدّاكن الجامد،

داكن المروج خالية العشب، وتنشر

عوسجا مسحوقا: كلّ شيء يتصعّد، يهن

وسط صفوف أعمدة من الغبار المخيّم

ومراوح من المانييزيوم، تنحتها الدّائرة الصّغيرة،

دائرة القمر القروي في أدخنة متقزّحة.

من قبّة هذي السّماء، ظلال ثقيلة،

الزّبائن ينزلون، جنود *البوي أو اللمبارديا*،

أو فتيان *التّراستيبر*، *منفردين*، *في عصابات*،

إلى أسفل السّاحة

يتوقّفون عند الموقع حيث النّساء،

الفاترات والخفيفات كما الخِرق المرتجّة

بعصف المساء، محمرّات الوجوه من الصّراع

حال طفلة وسخة، حال عجوز

..اذجة، حال أمّ: وفي قلب المدينة التي تستعيد

.ضورها الملحّ، بكشطات حافلاتها الكهربائية

، تشابك أضوائها التي تحرّك، في دائرة *قابيل*،

السّراويل المتصلّبة بالغبار،

التي تتقدّم، متقلّبة الأطوار،

إلى قفز مزدرٍ فوق القمامات والطلّ الشّاحب.

[٥]

مُواصلة السّهرة في سان ميكّلِي ـ
رغبة البروليتاريا الرّومانية في الثّراء ـ عرض في النّوفو لفلم
روما مدينة مفتوحة

شاهدا وطرفا فاعلا

في هذه الخسّة، في هذا البؤس، أعود

محاذيا هذا الحاجز المرجاني،

خافق القلب، منقبض القلب ـ خانعا،

داخل عطشي إلى المعرفة، داخل رغبتي في الفهم،

التي لا انقطاع لها في حياتي،

حتّى وإن كانت حياتي، برغم كونها مضطربة،

رقابة متكرّرة، حتّى وإن كانت آفة الإثم الجديد

والإحساس الضّرير الذي يؤوب...

وكما لو أنّ *روما* أو *العالم كان يبتدئ*

في هذا المساء العتيق،

في هذه الرّوائح العريقة، أتقدّم

محاذيا الجرف الذي يفتحه نهر *التّيبر* المتوحّش

بين مهاجع قذرة، وأحياء من الآجر إسبانية المظهر،

وساحات بهاؤها مختزل

في بعض الزّخارف النّاشزة والشّاحبة

بكنيسة فاقدة التّهيئة

تحوّلت إلى مستودع، بين أزقّة قاتمة
يغطّيها الغبار، والقمر، والهرم، والإلحاد، بالبياض الغضروفي
الذي يجعل بلاطات الشّوارع ترنّ تحت الخطوات.

أدخل شارع *سان ميكّلي*، بين *الأسوار الخفيضة*،
شبيهة الملاجئ، والسّاحات المحبّبة
التي يسطع فوقها القمر كأنّه فوق حصى
أُزيلَ مِلاطُهُ، والشّرفات حيث ترتفع
قرنفلة أو نبتة فَيجن[1] تسقيها،
في لباس الحمّام، الفتيات: اللواتي
يحمل الهواء الأبكم أصواتهنّ السّجينة
بين جدران الفليساء[2]
ذات الأبواب كأنّها الثّقب والنّوافذ مزدوجة العرج.
لكنّها أيضا عذبة وهي في غطرسة تُصدي
أصوات الرّجال العائدين من عروض الافتتاح،
الكنزات الدّاخلية والتبّانات ترفرف
على الخصور المشدودة والبذيئة... على السّاحة الصّغيرة،
أسفل البيت، يتباطؤون،
حول المقهى الذي هو الآن خال... أو أبعد

---

(١) نبتة طبيّة/ المنهل/.
(٢) صفائح طباشيرية تستعمل للبناء/ المنهل/.

بين عربات النّقل الصّغيرة والشّاحنات الصّدئة
الرّابضة في صفوف جامدة
حيث القمرُ يزداد اضطراما،
والأزقّةُ التي عليها تفتح معتمة أكثر ـ أو هي
تماما مضاءة لتُظهِر، بطريقة لا مباشرة
في حجارة خفيفة ورخوة
كما إسفنجة، بعض الجدران المنتفخة
والمغطّاة بالرّسوم والنّتوءات الحجرية العارية؛
وفوق هذا الحيّ المكسيكي،
تعكس السّماء نشوتها اللاواعية،
برياح رحمية نضرة كما قشارات التفّاح،
على أكواخ الكادحين الذين، مُحبّين للخصام،
يحتفلون بالمساء، مُتّضعين.

أُراقبهم، هؤلاء الرّجال،
الذين تربّوا لحياة مغايرة لحياتي:
ثمار حكاية جدٌّ مختلفة، رجال وجدوا أنفسهم،
تقريبا أشقّاء، هنا، في آخر صورة
تاريخية *لروما. أراقبهم: في كلّ منهمُ*
شيء كما هيئة راعٍ ينام
متسلّحا بسكّين: في قُوتهم الحيوي،
انتشر في ظلام كثيف،
اليرقان البابوي في مدينة *بيللي*،
لا الأرجواني، بل البركانيّ المنطفئ،
الآجرّي الصّفراوي. الغسيل، أسفل، ناعم ووسخ؛
في النّظرة، سخرية تترك حرقتها رطبة، حمراء،
فاحشة. المساء يعرضهم كما المحابس، في مخازن صنعت
من الأزقّة والجدران القصيرة، والأروقة،
والنّوافذ الصّغيرة التّائهة في السّكون.
أُولى الرّغائب عندهم طبعا رغبة الثّراء: قذرةٌ
كما أعضاؤهمُ الوسخة،
مخفية وفي ذات الوقت مكشوفة،

مسلوبة من كلّ حياء، ولأنّها دون حياء

فهي الكاسر الذي يحلّق ملتذّا بلقمته

هي سكينة قبل الأوان، أو الذّئب، أو العنكبوت؛

يطمحون إلى المال كما الغجر،

كما المرتزقة، كما العاهرات: يتذمّرون

إذا أعوزهم، المال، يعتمدون التملّق الوضيع

ليحصلوا عليه، يتبجّحون

كما في عهد *بلوط* *إذا امتلأت منه جيوبهم.*

إذا اشتغلوا ـ شغل الجزّارين الإرهابيين،

ومسّاحيّ الأحذية، والأجراء المتحوّطين،

وعمّال القطارات الكهربائية التّنين، وبائعين جوّالين

مصدورين، وعمّال بلا اختصاص طيّبين كما الكلاب ـ

يحدث أن تكون لهم أيضا هيئة اللصوص،

خداع شديد الارتباط بالأجداد في هذي العروق...

من بطون أمّهاتهم قد خرجوا

ليجدوا أنفسهم على الأرصفة

أو على ميادين موغلة في القدم،

ومرسّمين في حال مدنيّ يريدهم في كلّ قصّة مُهمَلين...

هذه رغبتهم في الثّراء،

التافهة، الأرستقراطية.

شبيهة رغبتي. كلّ يفكّر في ذاته

في كسب الرّهان المقلق،

في أن يقول في نفسه:

«قُضي الأمر»، في بسمة مَلكيّة ساخرة...

مأمولنا، إنّه في مماثلة حصري:

مستجمل عندي، وفوضوي عندهم. إلى المرهَف

وإلى الصّعلوك يعود

نفس قانون الميول التّرتيبي: هذا وذاك خارج التّاريخ،

في عالم لا باب فيه يفتح إلاّ باتّجاه الجنس والقلب،

ولا عمق له إلاّ الذي في الحواس.

حيث البهجة بهجة، والألم ألم.

و يا لها من صدمة في القلب،

حين من لافتة شاحبة... أقترب، أنظر

إلى اللون الذي قد صار من عصر آخر، الذي يحمله

اللون وجه البطلة الدّافئ البيضوي، وأنظر

إلى السّفاهة البطولية في الملصقة الهزيلة والكدرة.

في الحال أدخل: يهزّني صياح باطني، عزوما

على الارتعاد في الذّكريات،

على استهلاك هالة بادرتي الجميلة.

أدخلُ الحرم، للعرض الأخير، فاقد الحيوية

مع متفرّجين منتشين، وأصدقاء، منتشرين على الصّفوف،

ضائعين في العتمة في حلقات بيّنة

ومبيضّة، داخل الصّحن النّدي...

في الحال، عند بدء ضبط الصّور، تحملني وتفتنني...

تقلّبات القلب. وأجدني

في دروب الذّاكرة المعتمة، في الغرف السرّية

حيث المرء، هو، جسديّا، آخر، والماضي

يغمره بأدمعه...

لكنّني وقد صرت خبيرا بفعل الخبرة الهائلة،

فأنّني ما فقدت خيط أفكاري: هي ذي... طريق *الكازيلينا*
التي تنفتح عليها في كدر
أبواب مدينة روسلليني...

هو ذا المشهد الطّبيعي الملحمي للواقعيّة الجديدة،
بخطوط التّلغراف، والأرصفة، وأشجار الصّنوبر،
والجدران الصّغيرة المزال ملاطها،
والجموع التقيّة المتزهّدة المستغرقة في مشاغلها اليومية،
والصّور الغامضة للهيمنة النّازية...
كما الرّمز صارت، منذ الآن، صرخة مانياني[1]،
تحت خصلات الشّعر في كامل الفوضى،
في المشاهد البانورامية اليائسة،
وفي نظراتها الخاطفة واليقظة والخرساء
يتكثّف الشّعور بالتّراجيديا.
هنا الرّاهن ينحلّ وينستر، وغناء الشّعراء المنشدين يخفت.

---

(١) أنّا منياني: بطلة فيلم «روما مدينة مفتوحة» لروسلليني.

[٦]

تربية عاطفية ـ
المقاومة وألقها ـ
دُموع

مَن كنتُ؟ ما المعنى الذي كان عليه حضوري
في زمن يذكّر به الآن هذا الفلم
في حزن كبير خارج الزّمن؟
الآن لا أقدر أن أجيب غير أنّي مطالب
آجلا أو عاجلا بالتعمّق في السّؤال حتّى النّهاية،
حتّى سكون آخر الوجع...
أعلم ذلك: كانوا أيّامها قدر رموا بي في العالم،
في عالم حيث كان وفاء مراهق ـ طيّب كما أمّه،
عديم التبصّر، مندفع، فظيع الخجل، متجاهل
كلّ تواطؤ إلاّ الخيالي ـ علامة مهينة عن فضيحة،
عن قداسة مثيرة للسّخرية. وكان منذورا
لأن يصبح آفة: إذ أنّ التقدّم في السنّ يفسد اللطافة
ويجعل من الموهبة الذّاتية الحزينة هاجسا.
وإذا كنت استعدتُ صفائي الكئيب لحبّ العالم،
فما تلك إلاّ محبّة، محبّة مجرّدة، بلا مآل.
شاردا بإفراط في دويّ العالم،
منثورا بإفراط من ضحكة لاذعة

رغم كونها حزينة، ضحكة شابلينية[١]...
إنّه استسلام. نشوة استغراق في التأمّل متّضعة،
مورّطة، حادّة ـ وساكنة.

إعادة اكتشاف متّضعة الاستمرار السّعيد
النّاس الآخرين في الألم: الواقع المعيش من قبلهم
في موطن من الأمكنة البائسة، الضّاحكة،
على ضفاف السّيول الزّاهية، على مقارن الجبال السّاطعة،
على الأراضي المنهكة بالجوع القديم...
إنّه شعور بالعظمة، هذا الذي يمحقني في أصغر حركة
لأيّ منّا في أيّامنا هذه: اعتراف بالجميل
لظهورهم الجديد السّليم،
الذي في داخلي قد تأبّد
والذي ما زال يرشح أدمعا زنخة.

(١) نسبة إلى الكوميدي شارلي شابلن.

ليس حبّا. ولكن إلى أيّ حدّ هي غلطتي
إذا لم أجعل من ارتباطاتي حبّا؟ هفوة كبرى،
أقرّ بذلك، إذا كنت أقدر من براءة طائشة،
من ورع ضالّ أن أعيش يوما
بعد يوم... أن أجعل من اللذّة عارا.
لكنّ العنف، الذي داخله أنذهل،
كان الطّريق الوحيدة منذ أعوام عديدة.
في البدء، ما كانت توجد، حواليّ، إلاّ لغة
وحيدة، لغة الخداع المؤسّسة،
لغة الأوهام المطلوبة:
اللغة التي ما كانت تعبّر عن أحزان الطّفل الأولى،
ولا عن الميول ما قبل الإنسانية التي هي بعدُ ملوّثة.
وبعد ذلك، حين، مراهقا، عرفتُ شيئا آخر لا يصنع،
في البلد، سرورا بوجود طفولي ـ في موطن ريفي،
لكنّه عندي مطلق، بطولي ـ حينها كانت الفوضى.
عند البورجوازية الجديدة، والتي هي بعدُ حقيرة،
بورجوازية إقليم بلا عفّة،
كان طيف أوروبا الأوّل قد أسّس لي

دربة على استخدام التّعبير الأكثر صفاء،
الذي أعادته إلى الظّهور

ندرة إيمان طبقة محتضرة
مع جنون الأناقة وبيوتها الرّاقية[1]: التي كانت النّور السّفيه
المغة توضّح الإرادة اللاواعية
في عدم الوجود، والإرادة الواعية في البقاء
في الامتياز وفي الحرّية
اللذين يتمثلان في حظوة إلى الأسلوب.

---

(١) انظر آخر الكتاب/ المترجم/.

هكذا أدركتُ أيّام المقاومة
لا شيء أعرف عنها ما عدا الأسلوب:
ما كان الأسلوب إلاّ ضياء، إلاّ سريرة شمس
جديرة بالذّكر. أبدا ما استطاع الأسلوب أن يذبل، الشّاب
وإن للحظة، حتّى عندما ارتعبت
أوروبا في السّهاد الأكثر موتا. هربنا، متاعنا
على عربة، من *كازرساإلى قرية تائهة*
وسط التّرعات والكروم: وكان ضياء خالص.
رحل أخي، في صباح هادئ من شهر آذار،
في قطار، مستترا، والمسدّس في الكتاب: وكان ضياء خالص.
طويلا عاش بين الجبال، الشّاحبة، شبه الفردوسية
في الزّرقة الحزينة لسهول فريولا: *وكان ضياء خالص.*
من طِفاحات المزرعة كانت أمّي تنظر دوما
إلى تلك الجبال في وَلَهٍ واعية بالقدر: وكان ضياء خالص.
كنت أحيا مع قلّة من بني الرّيف حياة مشهودة، حياة مضطهد
بالمراسيم الفظيعة: وكان ضياء خالص.
وحان يوم الموت والحرّية،
يوم عرف المعذَّبون ذواتهم مجدّدا في الضّياء...

ذان ذاك الضّياء أملا في عدالة :

•ا كنت أعرف أيّة واحدة منها : العدالة.

الضّياء دوما يساوي ضياء آخر.

ثمّ تعدّلتْ : من ضياء أصبحتْ فجرا مريبا ،

•جرا كان ينمو ، ينضح فوق حقول فريولا ، وفوق *التُّرع*.

ذان يضيء العمّال اليوميين الذين كانوا يناضلون.

هكذا، صار الفجر الوليد ضياء

خارج أبدية الأسلوب...

في التّاريخ ، كانت العدالة وعيا بتقسيم إنساني للخيرات ،

وصار للأمل ضياء آخر.

هي ذي الأزمنة المعاد خلقها
القوّة الوحشية، قوّة الصّور المتهلّلة:
هذا الضّياء التّراجيدي الحيوي.
جدران المحاكمة، ومرج التّنفيذ: والطّيف القصي،
في شكل دائرة، طيف أرباض روما البيضاء
في ضياء ساطع.
العيارات النّارية؛ موتنا، وبقاؤنا على قيد الحياة:
مفلتين من الموت، يمشي الأطفال داخل الأبنية القصيّة،
وفي لون الصّباح الفظّ. وأنا،
في ردحة مسرح هذه الأيّام، أشعرُ،
كأنّ ثعبانا بأحشائي يقيم، يتلوّى:
وألف من الدّمعات تنبجس،
في كلّ نقطة من جسدي،
من عينيّ إلى أطراف أصابعي،
من جذور شعري إلى صدري: بكاء لا يحدّ،
إذ أنّه يفيض قبل أن يُدرَك، يكاد يسبق الألم.
مُنهَكا بكلّ هذي الأدمع أجهلُ
لمَ أرقبُ خلسة

هذا الحشد من الصّغار يبتعدون

داخل الضّياء السّاطع، ضياء روما الخفية،

هذي التي شرع الموت يجلفها،

هذي الباقية مع الفرح الخارق،

فرح التألّق في الضّياء: الممتلئة

بقدرها المباشر، قدر ما بعدَ حربٍ ملحمي،

قدر السّنوات القليلة والتي تسوى وجودا بأكمله.

أراهمُ ينأون، وبديهي أنّهم،

لمراهقين، يتّخذون درب الأمل، وسْط حصًى

يتعمّقه بياض هو حياة شبه جنسية، مهيبة في بؤسها.

نأيهم في الضّياء يجعلني الآن أرتعد

على ضفاف الدّموع: لماذا؟

لأنّه ما كان يوجد في مصائرهم ضياء. لأنّه كان هناك

هذا السّقوط التّعب، هذا الظّلام.

هم الآن قد بلغوا سنّ الرّشاد:

عاشوا الزّمن الذي تلا الحرب ذاك الرّهيب،

زمن الفساد الذي استغرقه الضّياء، وهم يحيطون بي،

هؤلاء التّعساء، الذين كلّ شهيد عندهم كان سُدى،

عبيد الوقت، طوال تلكم الأيّام

التي يتنبّه فيها الذّهول المؤلم:

العلم بأنّ كلّ هذا الضّياء، الذي سمح
لنا بالحياة، ما كان سوى حلم، لا مبرّر له، لا موضوعي،
عين هي الآن من الدّموع الصّامتة، والمخزية.

إلى مُراهقٍ

(١٩٥٦ ـ ١٩٥٧)

حديثَ العهد جدًّا في ضياء هذي الأشهر الجديدة
التي تعود إلى روما، والتي، تبدو لنا،

نحن الذين، في الخارج، نستقرّ في ضياء أزمنة
أخرى، محمولة فوق رياح عديمة الجدوى.

ومُترعا بالحشمة النّضرة، وفي سذاجة
عديم الشّفقة، أنت تكتشف لنفسك ولنا حضورك.

بالبسمة الغامضة، بسمة من يقاسي
جذِلا حشمته وشبابه،

تأتي إلى أصحابك الرّاشدين، ومتّضعا في كبرياء،
تجلس بينهم منتبها

إلى تعابيرنا السّاخرة، إلى أهوائنا،

وتتهيّأ لأن تقلّدنا، ولأن تنزاح عنّا،

خجِلا، تكاد، من قلبك المبتهج... إنّه يعجبك،
هذا العالم! لا لأنّه جديد ربّما

ولكن لأنّه يوجد: لأجلك، لأجل أن تكون شاهدا
جديدا، راضيا في دعة بهذا الحدث البسيط...

وتبقى ضمننا، كتوما لبعض اللحظات، ومع أنّك خجول،
فأنت تتكلّم بالطّرق التي هي بعد مُتّهمة

من قبل عقلك، الضّاحك، والأبوي، والنّاضج قبل الأوان،
وتعرض، في كبرياء، خوَرَ المراهق داخلك،

قليل التأثّر بما للتذلّل الهائل من هُزأة
في عالم عدوّ...

في اللحظة المتعيّنة، تتركنا، وترجع،
إلى الضّياء الخفيّ لأيّامك الأولى:

إلى الضّياء الذي أنت بالتأكيد لا تقدر أن تقوله،
والذي لا نقدر على تذكّره، ضياء أبريل

حيث الشّعور، في تَبرعمه،
لايجلف إلاّ الحياة، لا التّاريخ، حتّى الآن.

تريد أن تعرف، منّا: حتّى إذا كنت لا تطلب شيئا،

أو تطلب صامتا، ومنذ الآن على انفراد وواقفا،

أو تجازف بالسّؤال، والحياء ملء عينيك،
شاعرا في ذاتك أنّ جرأتك بلا جدوى

إذا كنت ترغب أن تعلم منّا كيف صرنا
بعدُ عندك، إذا كنت ترغب أن تكون

ليالي وقتنا الضّائعة ما يطلبه خيالك،
وأن يكون، على غرارها، بطوليا،

جزء الحياة الذي أمضيناه
شبابا يائسا في بلد مُهان.

تريد أن تعرف الخوف الصّامت والحركات الطّائشة
- بين الأنقاض، والشّوارع الخالية، والسّجون -

خوف الرّجال الذين كنّا في ماض يفلت منك.
تريد أن تعرف، ووجهكَ الطّفوليّ يضطرم،

أنت، الطّاهر جدّا، أن تعرف الشرّ، أنت النقيّ جدّا،
أن تعرف الحقد، الماثلَين في الذّكريات الموقدة،

والتي تثبّت عليها نظرك المجروح، مناصرا تماما
من كانوا يصارعون باسم الشّعور الحقيقي.

تريد أن تعرف ما كنّا جنيناه

من هذه المغامرة، التي منها تغيّر

عقل هذه الأمّة البائسة

حيث تعاني بيننا وجدك الأوّل؛

آملا أن تجد كلُّ الحقائق التي تسبقك،

الكنيسة والدّولة، والفقر والغنى،

وفاقا في توقك العذب إلى الحياة...

تريد أن تعرف أصل رغبتك الحيّية في المعرفة،

هذه الرغبة التي قد بعثت بعدُ فينا الحياة،

من حسن الحظّ، والتي الآن تُبيّتُ

حياة أخرى داخلك، وداخل الذين هم في سنّك.

تريد أن تعرف ما هي الحرّية الغامضة

التي نحن اكتشفناها، والتي وجدتها أنت،

رعاية، هي أيضا، على الأرض التي عادت إلى الحياة.

تريد أن تعرف أن ليس لك سؤال عن موضوع

لا يوجد له جواب: سؤال يرتعد في صدرك ليس إلاّ.

إنّ الجواب، إذا كان هناك جواب، يوجد

في الهواء النّقيّ للغروب، الذي يتألّق

فوق جدران الفاسّيلّو، بمحاذاة القصور الصّغيرة

المكدّسة في قلب الشّمس التي تغرب. الذي

مي الأماسي البائسة بفعل هذا الفتور الهائل
الذي يموت، منسيّا، في فصول الخريف المصقعة،

أو كذلك، منسيّا، يعود فجأة،
في فصول للرّبيع جديدة ـ الأماسي اليائسة

حيث أنت، سعيدا بثيابك الجديدة
أو بموعدك الحديث جدّا مع فتية في تواضعك،

وسعيدا، تخرج مسرعا من بيتك، بينما
في الحيّ يُصدي المساء المجتاح بالشّمس الأخيرة ـ

أفكّر في هذا الشّاب الرّصين والطّاهر،
الذي يكمن صمته في سؤالك.

وحده، بالتّأكيد، يمكنه أن يجيبك،
بما أنّ العالم كان في داخله، كما هو في داخلك، رجاء خالصا.

كان ذلك ذات صباح، وكان ضياء بحري
في المدى المحترق لا واعيا يحلم:

كانت كلّ غريسة عشب، كما لو أنّها طلعت بعد جهد جهيد،
ذرارة من هذا السّناء الأكمد والكثيف.

كنّا في صمت نجيء عبر هذا الحدر الخفي

بمحاذاة سكّة الحديد، غير مهمومين وأيضا دافئين

من نومنا الأخير في مستودع الحصيد الخاوي
وسط الحقول التي كانت ملجأنا الأخير.

في الأسفل كانت *كازرساتشحب خائرة القوى*
وسط الرّعب من إعلان غراتزياني[1] الأخير؛

ومطبّعة بالشّمس قرب ظلّ الجبال، كانت المحطّة
خاوية: وبعد بضعة من جذوع أشجار التّوت

والشّوكل، وحده على أعشاب ساحة المحطّة،
كان قطار *اسبيلمبرغوينتظر*...

رأيته يبتعد حاملا معه حقيبته الصّغيرة،
حيث في باطن كتاب لمونتالي كان مسدّسه

مرصوصا بين بضعة أمتعة
في لون الهواء والتّراب الأبيض.

الكتفان محصوران قليلا في السّترة،
التي كانت سترتي، العنق فتوي...

أعود عبر الطّريق الشّائكة

---

(١) قائد في جيش موسلليني.

على عشب آذار تحت الشّمس الوديعة؛

كانت مياه البحيرة وسط الطّين المخضرّ بالقرّاص صامتة
كانت في سكون فصول الرّبيع العتيقة،

وكان نبتُ الهندباء الطّالع من جديد والذي
رائحة من النّدى الموهَن والحيّ منه تنتشر،

كان يحجب ظهر الانحدار العتيق والهائل
مثلما الأرض في الفضاء المصطلي.

ثمّ كان الدّرب يبرم داخلا وسط الغابة؛
طليقة في اتّساقها المتّضع، هوجاء

في حركاتها المسالمة، في بوحها ملتجمة
كانت أشجار التّوت وأدغال المغث والبيلسان،

والكروم وعِزب السّلفات الزّرقاء،
في الهاجرة العتيقة للإبداع الحي، كانت كلّها صامتة.

في رغبتك أن تعرف، أنت تطلب منّا أن نعود إلى هناك
مشدودين إلى هذا الألم الذي مازال يُعتم فينا القلوب.

تخطف منّا هذا الضّياء الذي يلمع كلّيا لأجلك،
الذي يهبه كلّ مساء جديد إلى الفتوّات الجديدة...

نحن، وقد كبرنا الآن، لا شيء آخر نهب

إلاّ الحبّ الأليم لأجل جوعك المبتهج.

وحتّى رأفتك، ما الذي تعلنه غدا
أنّ الحياة سعيدة في ذاتك أنت فقط؟

فإنّه حسن حظّ، أنّك، تحضن في قلبك
هذا الماضي الذي هو ماضينا، الواقعي، الذي يشبه الحلم.

في الواقع هو لا يوجد، متحرّر منه أنت
وأنت لا تطلب منه إلاّ ما يفيدك الآن...

في حياتك الجديدة كلّيا أبدا ما وُجدتْ
فاشية أو ضدّ ـ فاشية: لا شيء ممّا تعرف

لأنّك تريد أن تعرف: وحده في ذاتك يوجد الحاضر
كما زهرة عذبة ضارية.

كلّ شيء من جديد وُلد ـ وكلّ شيء قد انتهى ـ
هذا ما تعنيه لنا ابتسامتك الودّية.

التّذكّر آفة، حتّى إذا كان واجبا؛
إلى هذي الصّباحات الفقيدة، إلى هذي المساءات الفقيدة

من إثني عشر عاما، نحن نجهل ما الذي يجمع
بين قلوبنا أكثر، الحقد أم الحنين...

إذا كان الوهم الذي يُشيّبنا، إذا كان يقدر أن يكون

شعورا مطلقا، صوتا يكذّب الحضور الحيوي!

إذا كان يقدر أن يكون، كما في ذاتك،

عديم الشّفقة، لا مرارة المعرفة التي فينا!

فإنّ ما كنّا نقدر أن نجيبك عنه قد ضاع. وحده قادر

على الحديث إليك ـ إذا أنت فهمت أيّها الشّاب

لغته الجديدة الصّامتة لغة الشّباب ـ ذاك الذي

ظلّ هناك في بريق الدّموع...

كان الصّيف يقترب، أذكر الآن، وأجمل الألوان

كانت تبرق تحت شمس *فريولا اللطيفة*.

كان القمح الذي بعدُ قد علا راية

على الأرض منبسطة، والرّيح كانت تحرّكها

في لمعان الضّياء اللطيف الذي عاد ثانية

كي يملأ بالعيد القديم: ذاك الفضاء بين البحر والجبل.

كانت كلّها مترعة ببهجة بائسة؛

على غبار الشّوارع الفاتر،

كانت الحواجز والشّرفات تخفق بالمحارم الحمراء

والأعلام ثلاثية الألوان في مِزق؛ وعبر الدّروب

وعبر الشّوارع، زُمرٌ من الشبّان كانوا في سعادة يمضون

من قرية إلى أخرى، خارجين من عالم جديد.

ما كان أخي بينهم، وما كنت قادرا
على الصّراخ من الألم، كانت قصيرة جدّا، تلك الطّريق

الموصلة إلى مستودع الحصيد الضّائع في الحقول،
حيث لعام كامل، كانت أمّنا المسكينة والسّاذجة

والتي أبدا فتيّة كانت قد انتظرت،
والآن هي ذي هنا تنتظر، تحت الشّمس الدّافئة...

لكن الحياة التي توجد داخلك هي التي على حقّ: والموت،
الذي يوجد داخل هذا المراهق الذي هو في عمرك

و في أعمارنا هو الذي على خطأ،علينا أن نسأل، كما تفعل،
علينا أن نرغب في المعرفة بقلبك الذي هو في أوج الإزهار.

لكنّ الوهم الذي هو منذ الآن داخلنا يسترنا
بالوقت أكثر أكثر، ويفكّ كلّ رباط
مع الحياة التي، مازالت، تحمل دون جدوى
قوّة مريرة، قوّة حياة وقوّة إدراك...

آه، إنّ ما ترغب أن تعرفه، أيّها الفتى،
سيموت داخل سكونك، وداخل صمتنا[١].

---

(١) المراهق المعني بالحديث هو الشّاعر و المخرج السينمائي برناردو برتلوتشي/ بازوليني/.

دِيانةُ زمَنِي

(١٩٥٧ ـ ١٩٥٩)

نعم ـ لأنّني منذ يومين ما رأيتهما، لا أكثر،
والآن، مجدّدا أراهما، من نافذتي، برهة،
هناك، غامضَين، فظّين، وهما يصعدان الطّريق

تحت سماء بيضاء كما الثّلج،
فإنّني بجهد كبير أحبس زفرة طفولية،
ما حيلتي، حين، بعد استيفائي كلّ دين

في هذه الدّنيا، تكون حشرجتي
منذ آلاف السّنين قد ضاعت، منذ الأزل؟
يومان من الحمّى! إلى حدّ أنّني

ما عدتُ قادرا على تحمّل الزّخرف،
برغم تغيّره الطّفيف جدّا
بفعل سحائب تشرين الدّفيئة، الذي صار منذ الآن

جدّ حديث ـ حتّى بدا لي أنّني ما عدت أدركه ـ
على هذين الصّبيين اللذين يصعدان الطّريق ثانية،
في الأسفل، في مقتبل الشّباب...

فَطِّين، غامضين: ومع ذلك
فالشّعر في رَأسَيهما يبرق تحت طبقة زاهية
من سائل زينة لمّاع ـ مخفيّ في خزانة

أخ بكر؛ وبنطالاهما الكتّانيان قد شحبا
بآلاف الأعوام من الشّمس الحضرية،
بنطالاهما اللذان أزالت شمس *أوستيا*

والرّيح اللون منهما؛ ومع ذلك
فمُحكم هو العمل الذي قام به المشط
على الجمّتين ذَاتَيّ الخصلات الشّقراء المفرّقة.

عند زاوية عمارة، يَبينان،
واقفَين، ولكن متعبين من الصّعدة،
وأرى عراقيبهما تغيبان من خلفهما

عند زاوية عمارة أخرى. ويبدو
أنّ الحياة، منذ الأزل، قد توقّفت.
الشّمس، ولون السّماء، وهذه العذوبة

العدوانية التي تردّها الرّيح المعتّمة

،أطياف السّحائب، إلى الأشياء،
كلّ شيء يحدث كما ساعة رحلت

من حياتي كملح البصر: صباحاتٌ
ابولونياوكازارساغامضة،
أليمة وممتازة كأنّها ورود،

نولد من جديد، هنا، في الضّياء
الذي تتأمّله العينان الحزينتان
الطفل لا يعرف شيئا سوى

أن يضيع، زخرفا وضّاء على خلفيّة داكنة.
في حين أنّني أبدا ما خطِئتُ:
أنا في طهارة قدّيس عجوز، وأيضا

لا شيء نلتُ؛
عطيّة الجنس الأخيرة، مضت
كلّها أدراج الرّياح: أنا طيّب

مثلما المجنون. ماضيّ
كما عيّنه لي القدر
إن هو إلاّ فراغ لا يواسَى...

ومواسٍ. أراقب، منحنيا،
من نافذتي، هذين الصّبيين اللذين يمضيان،

سريعين، تحت الشّمس؛ وأنا هنا، كما طفل

يعذّبه، بالطّبع، ما يجهلُهُ
وأيضا كلّ ما لن يقدر أبدا على العلم به...
وفي هذا التّحيب، يكون العالم عطرا،

لا شيء آخر: أزهار بنفسج، ومروج،
تعرفها جيّدا أمّي، وفي أكثر من ربيع جميل...
عطر يموج كي يصير، هنا،

حيث النّحيب عذب، موضوعَ تعبير،
درجةً في لون... الصّوتَ المألوفَ
لهذه اللغة المجنونة والحقّة

التي حَظِيتُ بها في مولدي وعطّلتها الحياة.

ساع الهاجس،
سار طيفا عطِرا يتضوّع
في نهارات أعياد ضياؤها ملتجم،

عندما في وهَن تضئ
هذي الزّرقة في السّماء
التي تَبيضّ أغلبَ الأحيان وعندما

الضجّة المتناثرة
يتعلّق صمت الوقفات الطّبيعية، بينما تمتزج
برائحة وجبات الغذاء، غداء العمل، نكهة الغابات

التّائهة، المتخفّية في الزّوايا الغارقة في العتمة
أو المغمورة جدّا
بشمس التّلال الأولى ـ ضجرُ الحركات الآتية، من عصر آخر،

كما يبدو، والذي يغمره
هذا العصر الذي يعيش من حبّ آخر. بعدُ طفلا
حالما كنت بتلك النّفثات

المملوءة بعدُ برودة

تفتّرها الشّمس، ذيول غابات، أشجار بلّوط
سلتيّة، أجمات وأدغال من العوسج المسلوخ،

الأصهب، الذي يكاد الخريف يجرّده
من كسائه في وضح النّهار ـ وخلجان أنهار
شمالية، كاذبة، خاوية،

حيث كانت لبهق الحجر
رائحة قويّة، نديّة وعارية، كما البنفسج أبدا...
كان الجسد عندئذ، فاقد الاعتدال.

وكانت العذوبة الكامنة
في درجة لون النّهار، بلطف تتغيّر،
في قلب آلامي بالذّات.

كان الفتيان المعصوبة رؤوسهم، الغلظاء والمستقيمون،
فتيان العائلات الأجنبية التي كانت تنزح
دون انقطاع عبر الغابات الهادئة،

أو عبر السّهول المنقعية،
كانوا يقبلون، ليخفّفوا الوحدة
عن سريري الصّغير، وعن طريقي.

التّاريخ، والكنيسة، وتقلّبات عائلة،

ابست، إذن، إلاّ قليلا
من الشّمس العطرة والعارية

التي تدفّئ كرمة مهجورة،
وبراعم العلف، وسط الأجمات الهزيلة،
وبيتا مذهولا بأكمله من أصوات الأجراس...

كان الفتيان في ما مضى،
وهم الأحياء دون غيرهم،
إذا امتلأت قلوبهم بالرّبيع،

في عمر أجمل، كانوا في الآن ذاته
هواجس جنسية ومرسمة ممتصّة
من ورق القصيد الشّاحب،

القصيد الذي كان، كتابا بعد آخر،
في انفعالات خرساء، في تجدّد كامل،
ـ شكسبير، تومّازيو، كاردوتشي... ـ

كان يجعل كلّ أعصابي ترتعد.

وددتُ لو صرخت، ووجدتني أخرس؛
ما كانت ديانتي إلاّ عبيرا. وإنّه هو الذي
هو الذي يموج هنا، نظير ذاته، وخفيّا،

هذا العبير، في هذا العالم، النّدي
والنّضر: وها أنّني ضائع
في الكشف المنجز دون جدوى، والمتّضع

والرّهيف، عن المعنى الخفي
الذي يربط بين تماثلاته الألف...
ها أنّني ثانية، مثلما الطّفل سريع التأثّر

بالحماسة الغامضة، والمتوحّشة،
التي كنت عليها في الماضي،
فيما الدّموع المرّة تبلّ الورقة

حالما أرى، تحت الشّمس المجنّحة
والحامية، هذين الصّبيين ـ اللذين هما فعلا صبيّان ـ
يتيهان، رشيقين، سعيدين،

في الضّواحي الموسرة،

تحت مصاطب تترعها سماء البحر الصّافية،
وشرفٌ مبكّرة،

أو طبقات السّطوح التي شرعت تلوّنها شمس المساء...
أتذكّر الآن معنى الحياة
فما كان دوما آنذاك، شرّا

وغلا في العماء لأنّه فاحش الامتلاء
عذوبة. إذ أنّ طفلا يمكن أن يظنّ
أنّه أبدا لن ينال الشّيء الوحيد

الذي أبدا ما ناله. وفي هذا التيّار العنيف
من القنوط، يتخيّل أنّه إذ يحلم بالجسد في حدّة،
فإنّ عليه التّكفير عنه

بأن يبدو على غاية الطّيبة...

وإذن، إذا كان يومان
من الحمّى كافيين لكي
تبدو الحياة ضائعة

ولكي يعود العالم كاملا (وحتّى لا شيء يشملني
ما عدا الأسف)، إلى العالم، فإنّني
في شمس أيلول الرّحيبة والخرساء،

لا أقدر وأنا أحتضر، عدا أن أقول الوداع...

ومع ذلك، أيّتها الكنيسة كنت قد جئت إليك.
باسكال وأغاني الشّعب الإغريقي، بشدّة كنت أعصرُهم
في يدَي، محترقا، تماما

كما لو أنّ اللغز الرّيفي، السّاكن
والأخرس، في صيف عام ثلاثة وأربعين،
بين البلدة، والكروم، وإضراب *تاليامنتو*،

وجد نفسه في الوسط
بين الأرض والسّماء؛
وهنا، الحلق، والقلب، والبطن

مقطّعة إربا على درب الأراضي النّائية،
كنتُ أقضّي أجمل السّاعات
في عمر الإنسان، نهاري كلّه

من الصّبا، في الغرام
حيث العذوبة حتّى الآن تبكيني...
وسط الكتب المبعثرة، بعض أزهار

تميل إلى الزّرقة، والعشب،
العشب النقيّ، يتخلّل الذّرة البيضاء،
كنت أعطي المسيح كلّ براءتي، كنت أعطيه كلّ دمي.

كانت العصافير تشدو في العُفار

وفقا لرسم معقّد، غامض،

أصمّ، مرتعٍ لكلّ الكائنات،

أهواء تعيسة ضائعة بين الذّرى المتّضعة،

ذرى حقول التّوت والبيلسان:

وأنا، تماما مثلها، في البقاع الخاوية،

المنذورة للفقراء، للتّائهين، كنت أنتظر

أن يميل المساء،

أن تتضوّع في النّواحي روائح النّار الخرساء،

روائح البؤس السّعيد،

التي يدقّها الأنجلوس[1]،

المستور بهذا الغموض الرّيفي

المتجذّر في الغموض العتيق.

كانت شهوة عابرة. كانوا عبيدا

هؤلاء الآباء، والأبناء، الذين كانوا يعيشون

مساءات *كازرسا*، *التي هي أيضا*،

بالنّسبة لي، دينيا، عنيفة جدّا:

ما كان سرورهمُ القاتم إلاّ ترميدة[2] من يملك،

---

(١) صلاة التبشير/ المنهل/.

(٢) رسم تدرّجي باللون الرّمادي ويكون عادة على الزّجاج/ المنهل/.

مهما كانت ضآلة المُلك؛

كانت كنيسة حبّي المراهق
قد انخمدت عبر العصور
وما كانت تعيش إلاّ من الرّائحة العتيقة والمؤلمة،

رائحة الحقول. وجاءت المقاومة التي كنست
بأحلام جديدة حلم أقاليم المسيح المتّحدة،
وعندليبه العذب ـ المضطرم...

ولا واحدة
من أهواء الإنسان الصّادقة
قد انكشفت في كلام الكنيسة أو في سلوكها.

على العكس، ويلٌ لمن لا يقدر أن يمتنع
عن أن يكون جديدا عندها! أن يهبها
بسذاجة كلّ هذا التموّج داخله

مثلما البحر من الهوى شديد الاضطرام.
ويل لمن يرغب
مترعا بالبهجة الحيويّة،

أن يخدم شريعة ليست سوى ألم!
ويل لمن، مترعا بالألم الحيوي،
يهب ذاته لدافع لا يقصد

إلاّ الدّفاع عن القليل من الإيمان الذي تبقّى
لعلّم النّاس الخضوع! ويل لمن ظنّ أنّه
عن اندفاع القلب قد وجب

على اندفاع العقل أن يجيب!
ويل لمن لا يتقن أن يحسّ ببؤسه
معيّرا في روحه

حسابات الأنانية السّوداء، والسّخرية التي تضطهد
جنون الرّأفة! ويل لمن يعتقد
- ببراءة، أكثر ممّا بإيمان -

أنّ تاريخنا، في أصله السّرمدي،
ظلّ معلّقا، تماما
كما شمس الحلم؛ جاهلا أنّ الكنيسة

وريثةُ كلّ عصر مبدع،
وأنّ التي داخلها تحمي منافعها المتعيّنة
هي التّرميدة الشّهوانية المرعبة

التي تقتنص في المرء الضّياء والعتمات!
ويل لمن لا يعلم أنّها بورجوازية
هذي العقيدة المسيحية، في هذا الحال

من كلّ امتياز، من كلّ استسلام،
من كلّ عبودية؛ وأنّ الخطيئة ليست
شيئا آخر غير جرم يقينٍ

يوميّ مضرّ، مكروه
بسبب الخوف والعقم؛ وأنّ الكنيسة
ما هي إلاّ قلب الدّولة الذي لا يرحم.

زيلين، في سنّ الرّابعة عشرة، مرحَين،

على صورة المصلوب عيسى، بإمكان الصّبيَين

مبيّي سيّدة الأولمب، أن يُتلفا كلّ نهارهما، ممتلئَين

بالوجد في الزّندقة،

وبالضّياء في الفوضى: بإمكانهما التفرّغ،

مسحوبَين بالميل الهزيل في قلبيهما اللذين هما

بالتّقريب شهوانيين، بإمكانهما التفرّغ

للصّباحات الجذلة، صباحات *فيلاّ شيارّا والجانيكول*،

أفراح طلاّب، ومرضعات،

ومراهقات، باتّجاه صخب أمثالهما،

الذي تمتصّه الشّمس الرّقيقة، في هالة

بميتها العشب والسّماء...

صباحات من خالص الحياة! عندما الأرواح

ترفض أن تسمع أيّ نداء

لا يكون نداء الفوضى اللطيفة،

فوضى الشرّ والخير اليوميَّين...

هذه الفوضى التي يعيشانها، مُهمَلَين
من الجميع، حُرَّين، في هذه الحماسة

الإنسانية التي من أجلها، قد وُلدا،
لأنّهما فقيران، لأنّهما إبنا فقيرَين،
بهذا القدَرِ الذي له استسلما

مع أنّهما على الدّوام في أهبة
لمغامرات الحلم الجديد، الذي،
نازلا من أعلى الكون، يرجّ المشاعر فيهما،

ساذجَين، وإليه، مجذوبَين، يبيعان ذاتَيهما،
رغم أنّه لا أحد يدفع لهما، رثيثيّ الثّياب
ومع ذلك أنيقَين، وعلى طريقة الرّومان الرّائعة

يمضيان وسط الأحياء الموسرة
أحياء النّاس الذين عندهم الحلم واقع...
الذين هم على غرارهما شنيعين، غامضين،

مع هذه الحاجة الموجعة، في قلوبهم، والمكبوتة،
وغير الضّروريّة. رغم أنّ الأمر يعني هذه المرّة
شعبا آخر، لا طبقة أخرى ـ

أرى ثانية، في هيئة الرّيفيين
الفضفاضة والقاسية، أعينهم

الأزرق محترقة، أطرافهم قصيرة وسليمة،

أطراف مصارعين، أوراكهم خفيفة،
أرى ثانية، مراهقين آخرين... سراويلهم
رديئة الخياطة، تقريبا بشعة، عديم الأناقة

قصّ الشّعر الهمجي، عندهم،
الأعناق والأصداغ محلوقة،
و خصلات الشّعر عالية مبعثرة، كأنّها

عفرات خوذات الحروب أو ريش الصّقور.
إنّهم متّضعون، متنبّهون . يجهلون الجحود
والسّخرية، لكنّ أعينهم تَبين مضطرمة

من قلق وحشمة
تكشفان دوما وعلنا
عن النّفوس في حدقاتها: إلى حدّ أنّنا نجهل

إن كان قلق هذي النّفوس هو الذي
يجعل هذا الفضاء في غاية الجدّة والصّفاء،
أو هي الرّيح التي تفتحُ الباب قليلا

فوق دنياهم الفتويّة
على أريج آسيا العتيق...
ريح وحدها تبدو

في هذا الفضاء الملاحق
بسكون المساحة شاسعة الأبعاد:
وعلى المدينة الشّاسعة لا تنثُر غير بضعة نفحات

مُنسلّة، كما بخور غامض.
فوق ساحة موسكوفا، تُبرز كنيسةُ *سان ـ بازيليو*،
على البلاط الرّمادي،

كما عنكبوت أصفر، بطونا وأغمادا[١]
إلى الأبد من الحياة قد حُرمت.
في آخر النّاحية الأخرى من السّاحة،

كما على بُعدٍ مُحالٍ، توجد
طبقة الكادحين الصّدئة من رقصها الدّائري،
المصهورة من إله عمره قرنان، سليل الرّوسي، والعبري،

والألماني... وفي الشّحوب الورع،
شحوب الليل، كانت جدران *الكرملين* تسرق
من دوران الجمهور،

تحت كتل من الضّياء الصّامتة، نبالا وقبيبات
لا تعرفها إلاّ نادرا،

---

(١) الغمد: حافظ الأجنحة في عدد من الحشرات/ المنهل/.

حتّى في يومنا هذا، أعين البروليتاريا.

إنّها، تعدّ بالآلاف، وجنات صِبْية متفتّحة
هذي التي يُلهبها ضياء السّاحة الحمراء،
صبْية متجمّعين في دوريّات، في دواليب،

في أرتال، داخل هذا الخندق الشّاسع،
الذي تسطع فوقه أنجم قريبة جدّا:
أنّهم يلعبون، في فرح برئ

ومنفعل، تماما كما ـ عند أسفل
درجات الكنيسة، في مكان صغير مألوف ـ
أطفال الأرياف البسطاء. إنّهم

يمسكون بأيدي بعضهم، في شدّ خشن
و ودود، أرتال من الأطفال
يحيطون ببضعة فتيات؛

وآخرون، أصغر سنّا، من كلّ جهة،
مقصيّين من اللعب، يهيجون في عنف
ليتابعوا، بأعينهم، الدّاكنة والطّاهرة،

واحدا من بينهم يكبرهم سنّا يحاول
خطوة راقصة، على النّغم الرنّان
والكثيف، نغم الآلات البدائية.

تحويم دوريات

عند منعطف الأسوار... إنّها

أرتال الجوع، والتمرّد،

أرتال الدّم، إنّها

أرتال الرّائدين الذين أبدا ما كفّوا

عن الصّراع، أبطال مجهولون،

أرتال هذا القادم القصي، القانط!

ها هم الآن في العالم: عالم

هم الأسياد فيه. وهذا العالم، هو بعدُ، عندهم

غير سعيد، برغم رؤيتهم له

بعين ملؤها الابتهاج المتّضع: فتوّتهم

لا تضفي شيئا ذا قيمة أكثر من رؤوسهم الشّقراء،

والقوّة الدّاخلية، ونار البراءة،

على طول الشّوارع الفسيحة،

والعمارات الهائلة، الملقاة

في فضاء المدينة الجبّارة

وعديمة الشّكل التي تحتضن حياتهم الجديدة.

لكنّه ورع ذلك الاضطرام الذي يملأ

إلى حدّ الضّلال، في نظراتهم الجريئة،
تماما كما لو أنّهم سيهبون أنفسهم، أو يؤدّون شهادة،
الذي يملأ نفوسهم الودّية والتي ترتعد.

هذان اللذان، عبر أحياء مشوبة
بالنّور والشّقاء، يسيران متحابكَين،
واللذان يمتلئ خطوهما سرورا كافرا،

يقولان، في هيئة سعيدة، إنّ التّاريخ يكسو
ألف وجه، وإنّه غالبا ما يكون الأخيرون الأوائل:
بمقدار ما تتجسّد بوضوح،

في هذا القلب البسيط الذي يعرضانه، آمالُ العالم
الملتبسة والواقعية،
التي تقدر، في كلّ حركة، مهما كانت دنيئة،

في كلّ زندقة، في كلّ وقاحة...

أمّا نحن ؟ نعم، أعلم جيّدا، في كلّ إثم يوجد
شيء من خميرة الحقيقة: بإمكان العين الأكثر كدرا وخضوعا،
أن تصبح حرّة ورائقة، لتلاقي الحياة،

من كلّ ناح، لتلاقي الحياة الرّائعة بما أنّها توجد،
لا نسبة إلى الغرائز فقط، ولكن نسبة أيضا
إلى الفكرة التي تؤازر ـ مهما كانت

ماجزة ومهزومة ـ التعدّدية المهتاجة،
والغرابة السّحرية والرّاسخة،
والامتزاجات الخفيّة بين عظيم المقام

وعادم الأهمية، والضّياء الدّنيء
واللاشعور المصطفى.
الرّحمة للخليقة! الرّحمة لها،

لهذه الرّحمة دون رحمة، ودون دين،
إنّه يكفي أن يؤسّس أيّ دين،
ولو كان الدّين الكاثوليكي،

وجودا مغايرا بشكل مدهش
في عمق هذي الخليقة
الغريبة حقّا، فهالة تفترسه،

قاسيا كان تحت وطأة رهبة
داخلية أو طيّعا
من إرادة في الوجود

جديدة ومضطربة، طاهرا كان
أو فاسقا، قدّيسا أو خائنا، خارجا
عن القانون أو مستقيما:

واحدا من هذي الفروع التي لا تُحصى، فرع الشّجرة

التي تخضرّ في بساطة الحياة، في هذي المدن،
والضّياع الصّغيرة، وأكواخ القشّ، والقناطر، والمغارات،

صديقا لوجوده المعادي له،
كان، أو مرحا في هذا الجَوْر القديم،
أو صارخا في هذا الحبّ الذي يشحذه.

نعم، طبعا، بإمكانه أن يبدو
كامدا جدّا، ومع ذلك واقعيا، هذاالقطيع الحيّ،
بالنّسبة إلى الذي ينظر،

في بشاشة رأفة مدنّسة، إلى عظمة الإلهي
تبرق داخله! ثمّ يعتبرها إلهية،
في روحه المتنبّهة،

سلطة القدر الغامضة واليائسة:
الأنانية، والخداع،
والنّزوة، وشراسة الطّفولة.

طفلا على طريقتي، في انفعال،
ومدفوعا، بسبب ذلك، إلى أن أكون رجلا،
بكلّ هذا الأسلوب في التّعاقد الوضيع

(الذي يجبرني، في سذاجة،
ألاّ يكون لي من العلاقات إلاّ النقيّة،

يلزمني بالصّلاح)،

أجهد في فهم كلّ شيء، جاهلا أنّني
من حياة مغايرة تماما
احياتي، إلى حدّ أنّني أستعيد، وَلِهًا،

في حنين إلى زمني المنقضي، كامل التّجربة
الحياة غير هذه: لست إلاّ مشفقا، لكنّني
أريد للطّريق أن تتغيّر،

طريق محبّتي للواقع،
وأن أقدر أن أحبّ، أنا أيضا، حالة بحالة، إنسانا
بعد آخر. أريدني مغايرا: لكنّني

واهًا، كم أتقن فهم الذين قد حُمِلوا
على نقل مثل هذا المظهر للرّوح!
كنت أمشي، صحبة أكبرهم، تحت نفق الشّوارع المظلم،

ذات ليلة، في طرف المدينة،
المسكونة بالأرواح التّائهة،
بالأنذال المصلوبين دون أشواك،

بالشّرسين المرحين، بالشّغبين والعاهرات،
المأخوذين بالغيظ العميق، بالفرح الطّفيف
كما النّسائم القصيّة التي كانت تمرّ من فوقنا

ومن فوقهمُ، قادمة
من البحر حتّى التّلال
زمن تلك الليالي التي أبدا لا تموت...

كنت أحسّ جيّدا أيّ شعور مدنّس
كان يهيّج صاحبي،
قبالة هذا الصّنف من البشر، عبيد ريح

كانت تجرّهم على الأرض، فاقدين الحياة
نحو الموت، وفاقدين الشّعور نحو الضّياء:
ومع هذا فقد كان يرى له أخوة:

عندهم، كما الأمر عنده، أنّ الصّراع من أجل الوجود
أَشعرهم بالليل في قلوبهم، بالخبث، بالاحتقار الحيوي
لوجود الآخر، مُراهقة

مُهينة، وسعيدة، في قطيع من الذّئاب
جدّ راشدة كانت على تمام التهيّؤ،
وكانت تعرف ثمن الحياة:

حرّاس شعائر أو رؤساء دُول،
لصوص أو عبيد، وصوليّون
أو طغاة، ملوك أو أبأس البؤساء، جميعهم

•.ن نعومة أظفارهم
يخضعون للسّلطة التي تريدنا أشقّاء:
دون أن تفهم، أو أقلّها، دون أن تتيه.

ثمّ عدونا، كأنّنا نسألُ
عن هذا الإله الذي كان يُحييهُمْ: وكان يعلم أين يلقاه.
كان، بإصبع، يقود سيّارته الفاخرة، سيّارة المخرج السّينمائي[1]،

وبآخر، يشعّث شعر رأسه الغرّ والضّخم،
متعبا وغير مبال بالتّعب...

وصلنا: خلف تُور *فاجانكا*،

الآن ريح تنفث غير منتظرة:
أسلاك الأعمدة، المتلفة، كما الخرابات،
الملطّخة بالجير،

وكان صلب المركب المقوّس، وبطنه المبيضّ، وحدهما،
يمثلان أمامه حائلا.
شابّان، ظلاّ مجهولَين،

تبعانا لفترة وجيزة، دون إصرار،
مأخوذَين ببعض الأمل الخسيس والدّافئ.

---

(١) المعني بالحديث هنا هو المخرج السينمائي فيديريكو فلليني/ بازوليني/.

ثملَين ومترنّحَين اختفيا. وممزوجَين

بالمجاج، بالماء القريب جدّا ـ
كما في غدير نوء،
في غياهب طفولة ما ـ

هو ذا نور اللهوبياضه الأبدي:
القريب جدّا، الذي بنفثه
كان يغمرنا، بدءا من البحر الدّهش،

في جدول مُملَّح ومنتش
من ذَرور ماء، أليم الملمس
حتّى أنّ دويّ مكسر الموج كان عنه احتجب.
.... (١)

---

(١) السّطر من وضع بازوليني.

نعم، طبعا، كان ذاك إلها... يوجد آخرون
أقلّ جنونا، أقلّ روعة، لهم خوريّوهم،
وليّسمح لي أن أضيفها، لهم قدّيسوهم.

قدّيسون معوزون، معذّبون بآلام
معلومة جدّا، مع الضّرورة المريعة؛
أن يدركوا، دون هزّات كبيرة،

اخر الشّهر، كي يقبضوا مرّة أخرى
الرّاتب الهزيل المشتهى جدّا:
مستخدمون صغار، موظّفون، مجنّدون في الحزب حديثا،

يحيون في سبيله ويفنون. سعداء
أن يُرونك حذاء جديدا،
إطار لوحة صغيرة معلّقا بالجدار

يليق بالبيت تماما، شالا جميلا،
هديّة *الميلاد* للزّوجة، *لكنّهم في ذواتهم*،
وبما يجاوز تلك الغمغمة الطّفولية،

وذلك الجهد، يقيّمونك

بمعيار إيمانهم، وقربانهم.
إنّهم بلا رأفة، إنّهم مرعبون

في حكمهم عليك: إنّ من يلبس مِسْحًا[١]
لايقدر أن يسامح. فلا تنتظر منهمُ
قلامة رأفة: لا لأنّ ماركس

يقول ذلك، ولكن
بسبب هذا الإله، إله الحبّ، الذي يجلّونه،
نصرًا بدئيًا للخير على الشرّ، نلاقيه في كلّ واحدة

من حركاتهم. بل هو الأمر ذاته عندما
في بياض إله البحر، الجميل، عديم الهيئة ذي الهيئة،
يبيّض المزيج العجيب من الحزن الشّديد والفرح،

كثافة الطّبشور، والمعيار
الذي يغيض... هكذا يحمرّ
في احمرار الإله الآخر ـ الذي يغيّر العالم،

الإله المقبل وغير المُتلَف ـ
دمُ العهد الستاليني...
لا شيء قد ظلّ يجدي. حتّى التّناقض الوجودي،

---

(١) ما يرتديه النّاسك/ المنهل/.

حيث ينزوي، عاقرين ـ مخصيّين،
أغلب الذين أعرفهم: بورجوازيون مثقّفون،
عالمون مهرة بالبنى التّحتية الأساسية،

التي تلاحق أدغال أخبار المجتمع
والثّقافة: هواة السّهرات الرّائقة
في ساحة الشّعب،

في الأحياء الجديدة، وراء الجدران العتيقة،
وراء المركز، حيث المدينة تتوارى
في شوارع صغيرة ومتحذلقة وكريهة ولألاءة...

عفريت شاحب، بأطرافه الأربعة
المكسوّة أيضا، كلّ منها يبرز وجها
متنبّها، حيث يقدر الآخرون

أن يمسكوا بشبهة؛ في المقاهي، ليلا،
نهارا، في الصّالونات؛ وكلّ يحاول دون جدوى
أن يقرأ على ملامح الغير

عودة الرّجاء القديم: وإذا تعرّف فيه
على بعض أمل، فلا يكون إلاّ أملا مخزيا،
في لعبة العرض والطّلب، والنّظراتُ

لا تبدو إلاّ تشنّج

جرح داخلي: يتركنا ننزف، عاطلين عن العمل،
غاضبين، ويدفع إلى توقّف المشاعر،

إلى ركود الضّمير، المذنب
إلى سلم مفسدة
لا تسلّمنا إلاّ أيّاما داكنة ومفجعة.

وهكذا، إذ أتفحّص عمق الرّوح
لهذه المجموعات من البشر الذين يعيشون
هذا الوقت، وقتي، الذين هم أقربائي أو جيراني،

فإنّني أرى أنّه على الألف تدنيس ممكن
يحقّ لكلّ دين طبيعي
أن يعدّها، فإنّ واحدا منها يوجد

دوما، وفي كلّ مكان، وهو النّذالة.
شعور أبدي ـ
ضرب من الشّعور ـ متصخّر، مستقرّ، يحفر

في كلّ شعور آخر،
مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، أثره.
هذي النّذالة هي التي تجعل من الإنسان جاحدا.

إنّها ضرب من العائق البليغ
ينزع كلّ قوّة عن قلب الإنسان،

ذلّ دفء عن تعقّله،

تجعله يتكلّم بإسهاب عن الصّلاح
كما لو أنّه ما كان إلاّ سلوكا طيّبا،
كما لو أنّه معيار نظري.

إنّها تقدر مرّات أن تصيّر المرء عنيفا،
لكنّها، على أيّ حال، تلهمه الحصافة:
أن يهدّد، أن يقيّم، أن يتهكّم أو يصغي،

إنّه على الدّوام، باطنيا، مترع هلعا.
ولا أحد يقدر أن يتجنّب هذي الحصافة.
فما هو، لذلك، بالصّديق الحميمي ولا هو بالعدوّ.

لا أحد يقدر أن يحسّ بعاطفة حقّة:
اللهب الذي يمكنها إلقاؤه سرعان ما يَنطفئ،
من حسرة كأنّه أو من خضوع،

في هذه النّذالة القديمة، في هذا الهرمون
الغامض الذي أنجبته القرون.
إنّني قادر على إثبات ذلك، كلّ مرّة، وفي كلّ إنسان.

أعلم جيّدا أنّ هذه العاطفة ليست سوى
خوف من الغد حيوي، قلق مادّي قديم:
أنّها كانت الأصل في حياتنا الحيوانية،

وأنّها الآن قد عبرت إلى هذي التجمّعات
البائسة التي نكوّنها: أنّها مقاومة
يائسة، وأنّها تعشّش أنّى عثرنا

على ذرّة سلم: في الحيازة.
وكلّ حيازة تعادل ذاتها: من الصّناعة
إلى الحقل الصّغير، ومن الباخرة إلى العربة.

وكذلك فالنّذالة هي ذاتها عند الجميع:
هي ذاتها في التّرميدة البدئيّة، أو

في ترميدة آخر أيّام كلّ حضارة...

هكذا وجد موطني ذاته آيلا
إلى نقطة بدئه، في هذا الرّجيع من الزندقة.
وإنّ الذي لا يؤمن بأيّ شيء، يستوعب ذلك

ويمسك بالسّلطة. وأمّا عن النّدم فهو يجهله
بما أنّه فاقد الإيمان، وأنّه كاثوليكي
حتّى إذا كان يعلم جيّدا عقوق أخطائه.

مستخدما، للمساومة وللعار، يوما
بعد يوم، قتلة مأجورين ريفيّين أغظاظا
حتّى أعمق أعماقهم،

,, يد أن يعدم كلّ أشكال العبادة
٠اف التعلّة الملحدة؛ يحمي الدّيانة:
,, يد، باسم إله ميّت، أن يكون السيّد.

ه‍نا وسْط هذي البيوت، والسّاحات،
و الشّوارع المملوءة بالخمول، حيث بدءا
٠ن الآن، بات يحكم سيّدا، هذا العقل الجديد

الذي يهين الرّوح في كلّ آن ـ بالكاتدرائيّات،
ا الكنائس، بالمعالم الخرساء في هذا الإهمال المغمّ
الذي يتركها فيه النّاس الذين كفّوا عن الإيمان ـ

أمتنع عن العيش منذ الآن.
لاشيء لي قد بقي، إلاّ أن تكون الطّبيعة ـ
حيث لا نعثر في ما تبقّى

إلاّ على فتنة الموت ـ لاشيء
في هذا العالم الإنساني يدفعني إلى أن أحبّ.
كلّ شيء بات يؤلمني: هؤلاء النّاس

الذين يستجيبون، دون فهم، لأدنى إشارة
يمكن أن يوجّهها إليهم أسيادهم، معتنقين،
دون احتراز، أكثر العادات سفالة،

عادات الضّحايا المرصودين منذ الأزل؛

ترميدة ثيابهم بمحاذاة الشّوارع الكامدة؛
حركاتهمُ الباهتة حيث نخال أنّا نقرأ

تواطأهم صحبة الألم الذي يرهقهم؛
تحلّقهم حول رغد عيش غرّار،
كما قطيع حول قمح طفيف؛

انتظامهم كمدّ البحر وجزره،
حيث نرى الحشد وعزلته يتتاليان على مدى الطّرقات،
حسب المدّ والجزر

لجوجين ومغفلين من السّرور المشبع؛
غوغاؤهم في الحانات الكئيبة، في قاعات السّينما الكئيبة،
القلب الذي في كدر يستسلم للسّكات...

ومن كلّ نواحي
هذه الفظاظة الشّديدة،
تنبجس المدينة مكتظّة، برازيليّة أو شرقيّة،

شبيهة بطفح جذام
يبتهج، أفقده السّكر وعيه،
على بقايا العصور الإنسانية، المسيحية أو الإغريقيّة،

لكي تصفّ تدفّقات من العمارات،
وشلاّلات من قطع أراض ملوّنة بالمِرّة أو بالقيء،

دون معنى، لجزعٍ أو سكينة؛

إنّها تقوّض بشاشة الحيطان،
والتعرّجات الشّاعرية للأنهج الصّغيرة
حول الحدائق الدّاخلية، وما تبقّى من المساكن المتداعية،

في لون الكذّان أو الرّمادي، وبينها تقضّي الشّتاء
أشجارُ التّين والهندباء في سكون، والأرصفة المخدّدة
بعشب ناعم حزين، والأحياء التي نخالها أبديّة،

ذات السّحنة شبه الإنسانية من القرميد الرّمادي
أو من الرّواهص البركانية الشّاحبة:
والكلّ مجروف بالسّيل الغظّ،

سيل ملاّكي قطع الأراضي الورعين:
هذي القلوب عديمة الخلُق، هذي الأعين المدنّسة،

هؤلاء الأحفاد المخجلون، أحفاد عيسى المحرَّفِ

في صالونات *الفاتيكان*، *في زوايا*
غرف انتظار الوزراء، وفوق المنابر:
متنفعين من شعب مسترقّ.

وكم هو الآن إذن قد بَعُدَ
عن سماع الصّخب الواضح في قلبه،

عن مشهد زهرات الرّبيع

وبراعم منطقة *الفريول*، *مسقط الرّأس*،
عندليب الكنيسة الكاثوليكيّة، اللطيف ـ المحتدم!
حبّه المدنّس والورع

ما عاد سوى ذكرى، سوى فنّ خطابة:
لكنّه هو الذي مات، وليس أنا، من الغضب،
من الحبّ الخائب، من القلق المتشنّج

لأجل تقليد يغتاله الذين يوما
بعد يوم يدّعون أنّهم حماته؛
ومعه أرض فنت حيث يبتسم ضياء طاهر

فوق صفاء حقول الرّيف
وفوق المنازل المتداعية؛
أمّ توفّت براءة كلّها وعذوبة

صافية، في حين أنّ الشرّ يحكم سيّدا؛
عهد من وجودنا أيضا توفّاه الأجل،
عهد هو، في عالم مرصود للإهانة،

كان ضياء أخلاقيا وكان مقاومة.

[11]

مُهانٌ ومُغتاظٌ

هِجائيّاتٌ

(١٩٥٨)

إلى النُقّاد الكاثُولِيكيّين

مرّات عديدة يقرّ الشّاعر بذنبه ويفتري على ذاته،

يهوّل، بمحبّة، قلّة الحبّ،

يهوّل، ليعاقب ذاته، وسذاجته،

إنّه صارم وحنون، قاس وشديد الرّهافة.

حتّى أنّه مفرط الحدّة في تحليل العلامات،

علامات الميراث، والخلفة،

بل إنّه على الكثير من الحياء إذ يهب

شيئا للعقل والأمل.

وإذن، حذار منه! لايجوز التردّد

لحظة واحدة: يكفي أن يُذكر!

إلَى بعضِ الرَّادكاليّين

الرّوح، والكرامة المدنية

والنّفعيّة الذكيّة، والأناقة

واللباس على الموضة الإنقليزية والإجابة على الطّريقة الفرنسية،

والحكم الذي بمقدار ما هو قاس، هو، ليبيرالي،

وتعويض الرأفة بالعقل،

والحياة كما الرّهان نخسره كأسياد كبار،

كلّها منعتكم من معرفة من أنتمُ:

ضمائر عبيدة العرف ورأس المال.

إلى ذاتِي

في هذا العالم المجرم، الذي يكتفي بأن يشتري ويزدري،

أنا هو، الأكثر إجراما، أنا الميبّس بالمرارة.

إلى فرنسَا

سرّتني المفاجأة أن ألاحظ! أنّي أُشبهُ

سيكو توري، رئيس غينيا:

الأنف مفلطح والعينان يقظتان.

هو أيضا يعود إلى ترميدة تاريخ

أعماق لجج الفكر المتوحّش الخالص:

زنجيّ تماما كما كان الشّاعر رامبو أشقر.

لعلّه يعود إلى الذي في الغاب قد وُلد،

من أمّ أصيلة، من وجوده وحيدا، من كونه يغذّي

بمفرده سروره، من وعيه بالحياة الواقعية:

العدول عن إطاعة الجنس لقاء التأمّل،

والكفّ عن أن يكون طفلا لقاء أن يصبح مواطنا

وخيانة الآلهة لقاء الصّراع مع ماركس!

إلى بابا

قبل أيّام قلائل من رحيلك،

كان الموت قد رمى بأنظاره على امرئ في سنّك:

في العشرين، كنت تدرس، وكان هو عاملا دون اختصاص،

كنتَ، كريم النّسب، غنيّا، وكان هو، فاسدا من العوام:

لكنّ الأيّام ذاتها من حولكما طلت بالذّهب

روما العتيقة، معيدة إليها مقدارا من الشّباب.

رأيتُ جثّته، زوكّيتّو المسكين.

كان يتسكّع في الليل، ثملا، حول الأسواق،

وقطار كهربائي، كان يقبل من *سان بول*، دعسه

وجرّه للحظات على السكّة بين أشجار العيثم:

تركوه بضع ساعات هناك، تحت العجلات:

بعض الفضوليّين تجمّعوا من كلّ النّواحي ليروه

في صمت: كان ذلك في المساء، والعابرون قلائل.

أحد هؤلاء الذين يدينون لك بوجودهم،

شرطيّ عجوز، مبتذل الهندام كما المتسوّل

كان يصرخ إذا اقتربوا منه كثيرا: «اغربوا عن وجهي!»

ثمّ أتت سيّارة إسعاف لتنقله:

انصرف القوم، ما بقيت سوى بعض المِزَق هنا وهناك.

قالت صاحبة مقهى، على بعد أمتار من الحادث، يفتح ليلا،

كانت تعرفه جيّدا، لرجل كان للتوّ قد وصل،

إنّ قطارا دعس زوكّيتّو وإنّ هذا قد قضى نحبه.

ومتَّ بعد أيّام قليلة: كان زوكّيتّو فردا

من قطيعك الهائل البابويّ والإنساني،

سكّيرا بائسا، مُعدم الأهل والبيت، وكان يقضّي الليل

معتسّا، ويحيا كما يقدر.

كنتَ تجهل كلّ هذا: وكنت أيضا

تجهل آلاف المصلوبين من أمثاله.

فظاظة أن نتساءل، ربّما،

لمَ كان النّاس أمثال زوكّيتّو غير جديرين بحبّك.

أمكنة فظيعة، فيها الأمّهات والأطفال

يعيشون دوما في وحل عصر آخر وفي رُغامه.

غير بعيد عن المكان الذي عشتَ فيه،

قبالة قبّة القدّيس بولس، *الرّائعة*،

هناك واحد من هذه الأمكنة، الياسمين...

جبل تُحزّزه عند منتصف كشحه محجرة، ومِن تحته،

بين مستنقع وصفّ من الأبنية الجديدة، كومة

من الملاجئ البائسة، ليست بيوتا، بل زرائب للخنازير.

كانت حركة منك كافية، كانت كلمة منك كافية

حتّى يجد بعض أبنائك ممّن يعيشون هناك مأوى:

ما قمتَ بحركة، وما نطقتَ بكلمة.

وما كان الأمر يعني مع ذلك إعطاء أعذار لماركس!

موجة هائلة ترتدّ على ملايين السّنين المعيشة،

عنه تفصلك، وعن دينه:

ولكن هل يجهَل دينك الرّأفة ؟

آلاف النّاس خلال بابويّتك،

عاشوا تحت أنظارك عاشوا في الزّبل وزرائب الخنازير..

كنت تعرف أنّ الإثم لا يمثل في صنيع الشرّ:

ألاّ تفعل الخير، ذاك هو الإثم الحقيقي.

كم من الخير كان بإمكانك أن تنجزه! ولا شيء فعلت:

أبدا ما وُجد من يفوقك إثما.

هِجائيّاتٌ جَدِيدةٌ

(١٩٥٨ ـ ١٩٥٩)

إلى خُروتْشُوف

خروتشوف[1]، إذا كنتَ خروتشوف الذي ليس هو خروتشوف،

بل مثالا خالصا، صار منذ الآن أملا حيّا:

فكن خروتشوف: كن هذا المثال وهذا الأمل:

كن بروثيوس[2]، الذي لا يقتل جسدا، بل يقتل عقلا.

(١) حاكم الاتحاد السّوفياتي (١٩٥٤ ـ ١٩٦٣).

(٢) قاتل القيصر في مسرحيّة جوليوس قيصرلشكسبير.

إلَى الرّاية الحمرَاء

لمن لا يعرف إلاّ لونكِ، أيّتها الرّاية الحمراء،

فإنّه عليكِ أن توجدي حقّا، كي يكون:

إنّ من كان مغطّى بالقشور هو الآن مثقل بالجروح،

يصير العامل اليوميّ شحّاذا،

والنّابوليّ[1] مواطنا من كالابريا، وهذا إفريقيّا،

والأمّي جاموسة أو كلبا.

الذي كان بلونك كامل المعرفة، أيّتها الرّاية الحمراء،

سيكفّ عن العلم بك، حتّى بحواسّه:

أنتِ التي كنتِ عظّمتِ الكثير من الأمجاد البورجوازية والعمّالية،

عودي إذن مِزَقا، وعلى الأكثر فقرا أن يلوّح بك.

(١) ساكن مدينة نابولي/ إيطاليا/.

إلَى الأدباءِ المُعاصِرين

أراكمُ: أحياء أنتمُ، والصّداقة بيننا متواصلة،

سعداء أن نلتقي وأن نتبادل التّحايا، في بعض المقاهي،

وفي بيوت السيّدات الرّومانيات السّاخرات...

لكنّ تحايانا، وابتساماتنا، وانفعالاتنا المشتركة، هي

حركات أرض ليست لأحد: هي... أرض يباب

هي عندكم: حاشية، وهي عندي، بين تاريخ وآخر تَمثلُ.

ما عدنا فعلا قادرين على أدنى اتّفاق: وهذا يرعبني،

وأمّا العالم ففي ذواتنا يكون عدوَّ العالم.

إلَى أُمَّتِي

لا شعب عربي، ولا شعب بلقاني، ولا شعب عتيق،

بل أمّة حيّة، بل أمّة أوروبّية:

من تكونين؟ يا أرض المواليد الجدد، والجياع، والفاسقين،

والحكّام الخدم عند الملاّكين العقّاريين، والولاّة الرّجعيين،

والمحامين الخاملين، المثخنين باللمعين[1] عفنيّ الأرجل،

والموظّفين الليبرياليين الجيف كما أعمامهم المتزمّتين،

ثكنة، ومدرسة دينية، ومنطقة حرّة، وماخور!

ملايين صغار البورجوازيين كأنّهم ملايين من الخنازير

يرتعون في تدافع أسفل الأبنية المؤمّنة، وسْط بيوتِ مُستعمرين

بعدُ صارت كأنّها كنائس.

لأنّكِ حقّا وُجدتِ، فأنتِ الآن لا توجدين،

لأنّك كنتِ واعية، فأنتِ الآن لا واعية.

وإن كنتِ لا تعتقدين أنّ أذاك هو الأذى: لعدم توفّر

كلّ أذى، فما ذاك إلاّ لأنّك كاثوليكية.

---

(١) مستحضر زيتي لتلميع الشعّر.

أيّتها المعتمة في هذا البحر السّاطع الذي هو بحرك،

حرّري الناس.

[III]

قَصائدُ قَليلةُ الأدَبِ

(١٩٦٠)



إلَى الشّمسِ

لا، لسنا نحن الذين نشتاقكِ: بل همُ،

مع أنّهم يحيون

على مستويات من الوجود الشّمسي، في امتلاء،

وسط الأكواخ والحفر،

والأعشاب المغطّاة بالقصب والفضلات،

إنّهم يحسّون في هذا النّسيم المتقلّب،

نسيم قلب آخر، بغيابك.

على أكتافهم الذّليلة

وضعوا المعاطف المحصورة

والشّالات الكمداء من قِدمٍ، والنّدية، والتي يدعو حالها للرّثاء،

و هاهمُ ينتظرون حافلة حيّهم القديمة، ملحاحين،

ضاربين بأرجلهم على الأرصفة المحفّرة،

كما الصمّ، كما السّجناء الواهنين.

أنا هناك، في عالمهم (لكنّني دوما

في مستواي اللاشعري، مستوى الرّجل المثقّف،

كما فوق جدار يتفتّت):

في واقعي المفضّل أشتاقكِ، أيّتها الشّمس.

السّماء القانطة، والهتون الوسخة، المسيَّرتان،

في الأعلى، بإضرابكِ الخفي،

تجعلاننا مسيَّرين في الوقت ذاته بالسّاعة والعصر؛

أشكالا بائسة خالدة.

حياة ديدان

(حيث كلّ النّاس، لا الشّعب، يلتوون مبلّلين - ومنظورا إليهم

من علوّكِ، ضئيلين، ومنظورا إليهم في غيابك، تقريبا

مجرّدين من هذي الحياة) من حولي تضطرب،

لعلّني كنت أصرخ، منفعلا

بألم أجهلهُ. ألمٌ،

غامض كما في ما مضى.

ألمٌ خرافيّ، لذلك، وهو فاحش،

وحده حزن يوم غير ودّي

يجمعني بحياة الأموات هذي الهائلة:

هذا القلق، وقلقي، العائد، يتشابهان،

إنّهما مرتبة في الوجود.

لا حدّ يفصل بين هذا الألم وذاك.

في غياهبكِ، أيّتها الشّمس،

يكتمل اللاعدل مرّة أخرى:
لأجلهم، الذين همُ دون كساء،
ودون بيت، ولأجلي، أنا الذي أتكبّد
تقهقرا روحانيا. اتّفاق عارض،
فوضى من الشّعور واللاشعور.

لا أعلم، الآن، ما المشكل.
لا أعلم إذا كنتِ تنوين أن يكون لك مشكل،
في هذي الأرض المتروكة
لحكاياتها التّافهة والخالدة عن الشّمس والتّرميدة.
لا أعلم إن كنت قادرا على الرّجوع
إلى قلقي الذي تجاوزته، وعبر أيّ طريق جديد،
إذا وجبت إعادة شحذ العقل بحقد يبدو
أنّ سلام العالم يطرده، ـ إذا وجب البقاء
في أطلال ما بعد الحرب ـ أو تعلّم أساليب التأمّل،
في ظلّ صراع جديد، وفي الدّعوات القذرة واللبقة
لرأس المال الجديد،
وقد عاد سيّدا من جديد، ومستعدّا لأن يغفر...

أدركتُ، آه، وياله من إدراك!
وكنت شابّا آنذاك، ما عليّ فعله
وما يجب أن أكون: أدركتُ كلّ شيء. وإذن

كان عالمي كمُنحصِرٍ عالَمَ رأس المال: كنت ضائعا داخله

كما الطُّعم في ثمرته،

كما الدّفء في ضيائكِ، أيّتها الشّمس.

مطيعا، مخلصا، مرتعبا،

ما كان عليّ أن أكون طيّبا،

كان عليّ أن أكون قدّيسا، ما كان عليّ

أن أكون إنسانا، كان عليّ أن أكون عملاقا،

ما كان عليّ أن أكون أنيقا، بل طاهرا، مهذّبا.

كان عليّ البحث عن لغة، حتّى

أعبّر عن هذا الضّياء اللامتناهي الذي أحمله في داخلي،

والذي كان على أقصى المغالاة:

خاصّية ساذجة

للرّخاء البورجوازي، للشّجاعة المضادّة للبورجوازية.

أدركتُ، آه، وياله من إدراك!

وكنت في العشرين من عمري،

أدركتُ فهمَ الشّعور الذي كان هو الأقوى،

في هذا الشّواش المضيء، من كلّ شعور: الحرّية.

لقد ظلّ ملتجما لأعوام طويلة،

و هاهو الآن قد صار أغنية

أليمة، فجأة، مطلقة.

وكم تغيّر المعنى من وجودنا!
أنا لا أذكر، من تلكم الأوقات، إلاّ ضياءَكِ،
عاليا، فوق فرجات *الفريول*، *الضّائعة*،
فوق شَعبٍ فاقد الأمل: كنتِ تسطعين، صافية،
على الدّوام، كنتِ نور المقاومة العنيد. في زمن
هو أكثر الأزمنة ظلمة في أيّ عالم آخر،
كنتِ نور الأيّام القادمة العنيد.

أدركتُ، آه، ويا له من إدراك!
أنّه بعد كلّ التزام مجدّدا يكون الفراغ، وأنّنا
في حاجة لالتزام جديد: أنّ كلّ وضع
يولّد وضعا آخر، وأنّ ما عرفناه عبر الغيظ والألم،
مجدّدا يصبح مجهولا من الغيظ والألم. وفيما كان كلٌّ،
بيقينه الذي هو رهانُ مساومة،
ممتلئا بنور خياره، كنتُ أداوم
عبر درب المعرفة الغامض، في عتمة ـ نور التّاريخ.
تَصلّبٌ وألمٌ
كانا الضّمان الوحيد لبعض انتصار،
وفي صلب ضيائكِ الشّمسيّ وقد صار رمزا،

كنت في ذاتي أصون اندفاعَكِ.

وما عدتُ أدرك، الآن، ما المشكل.

ما عاد القلق علامة انتصار: العالم

يحلّق باتّجاه بدايات أُخر، كلّ طريق أُغلقت،

حتّى طريقي. وأنكر هذا ككلّ عجوز: عزاء

وحيد لمن، يموت إذ يرتعد.

جاحدا العالم، أنكر عهوده الحديثة،

أو أشعر تجاهها بغضب لا يُحدّ،

و أنا أراها ملوّثة شقاء وبالتّساوي.

فوق حلم تسطعين، أيّتها الشّمس الغامضة:

حلم الذي لا يرغب أن يدرك،

حلم الذي يرغب أن يحلم..............................

....[1]

(١) النقاط من وضع بازوليني.

شَذرةٌ إلى المَوت

منكِ وُلدتُ وإليكِ أعود،

شعورا مع الضّياء قد وُلد، مع الحرارة، أُطلِقَ

في بهجةِ أُولى صرخات الوليد،

المُتعرَّفِ عليها في بير باولو

في بداية ملحمة محمومة:

مشيتُ على ضوء التّاريخ، ولكن،

وجودي كان، على الدّوام، جَلودا،

تحت وطأتكِ، أيّتها الفكرة الجوهريّة.

في مخرك الضّوئي

في تقلّبات شعلتكِ الفظيعة، كلّ فعل حقيقي

من العالم كان يأخذ حجّته،

من هذا التّاريخ، وفيه كان يراجع ذاته كلّها،

وكان يفقد الحياة ليلقاها:

وما كانت الحياة حقيقية لولا أنّها كانت جميلة...

حدّة الإقرار أوّلا، ثمّ

حدّة الضّياء:

منكَ كانت هذه تُقبل، أيّها المُرائي،

أيّها الشّعور الغامض! والآن، فليجعلوا من ميولي

كلّها إثما، وليقطروا في الوحل جسمي،

ولينعتوني بالمشوّه، بالملوّث، بالمنحصر،

يا قسَمَ الزّور، أيّها الانفعالي:

إنّك تعزلني، تهبني يقين الحياة:

أنا على المحرقة، أرمي بورقة النّار،

وأربح، هذا الشّيء الزّهيد،

هذا الخير الهائل، أربح هذه الرّأفة اللامتناهية،

هذه الرّأفة الحزينة التي هي رأفتي،

والتي تجعل منّي صديقا للغضب الصّائب:

وإنّي لقادر على ذلك، فلطالما عانيت منك!

أعود إليك، كما يعود إلى موطنه المهاجر

ويعيد اكتشافه:

أثريتُ (في عالم الفكر) وإنّي لسعيد،

تماما كما كنت لمدّة، مرفوضا من العُرف.

غضبٌ شعريّ شديد أسود في القلب.

شيخوخة مراهق مسعورة.

كان فرحُك في ما مضى يمتزج

بالفزع، حقّا، والآن، بالكاد يمتزج

بفرح آخر، شاحب، يابس: شغفي مستاء.
والآن أنت حقيقة ترعبيني،
لأنّك منّي قريب، مُرفق بحالتي،
حالة الغيظ، حالة جوع غامض، حالة قلق
متجدّد خلقه أو يكاد.

أنا سويّ، كما ترغب،
يبسط العصاب تفرّعاته بالقرب منّي
والإنهاك يجعلني أنزح، لكنّه عليّ ما انتصر:
إلى جانبي يضحك آخِرُ ريعان الشّباب.
نلتُ كلّ ما كنتُ أرغبه، ومذّاك:
مضيتُ حتّى أبعدَ من بعض الآمال في العالم:
مُفرغا، وها أنتَ هناك، في داخلي، مُترِعا
زمني وكلّ الأزمنة. متعقّلا كنتُ
و كنت مخالفا للصّواب: إلى أقصى الحدود.
والآن... آه، اليباب المرهَقُ بالرّياح،
وشمس إفريقيا، الرّائعة والبذيئة التي تنير العالم.

إفريقيا! يا خياري الوحيد
يا خياري الوحيد.......................
(١)
....

---

(١) النّقاط من وضع بازوليني.

الغَضبُ الشّديدُ

أمشي على عتبة بوّابة الحديقة، خندق
صغير من الحجارة محفور عند الطّبقة السّفلى،
قبالة بستان الضّاحية
الماكث هناك منذ أيّام الشّاعر مَامِلِي،
بصنوبره، ووروده، وبقول السَّلْطة.
من كلّ الجهات،
خلف هذا الفردوس من السّكينة الرّيفية،
نلمح الواجهات الصّفراء لناطحات السّحاب الفاشية،
وفي الأسفل، أبعد من الصّفائح الزّجاجية السّميكة،
يوجد مخبأ أموات.
في ضياء الشّمس الجميلة، الدّافئة،
تهجع الحديقة الكبيرة، وفي وسطها البيت الصّغير،
الذي يعود إلى القرن التّاسع عشر، الأبيض،
حيث مات مَامِلِي،
وشحرور، صادحا، يحكي مغامراته.

يا حديقتي البائسة،

أيّتها التي كلّها من حجر...

لقد اشتريت زهر الدّفلى

ـ زهو أمّي الجديد ـ ومزهريات

من كلّ صنف، وأيضا راهبا صغيرا من الخشب، ملاكًا صغيرا

مُطيعًا ووردِيا، وسوقيا إلى حدّ،

وجدته في *بورتا بورتيزي*،

وأنا ذاهب أبحث عن أثاث لهذا البيت الجديد.

الألوان نادرة، تقدّمَ الموسم عن موعده؛ أشعّة

ذهبيّة ناعمة، وأخضر،

كلّ صنوف الأخضر... وقليلٌ

من أحمر فظّ وزاه، شبه مخفيّ، مُمضّى،

يخلو من الفرح: وردة في تواضع،

تتعلّق بالغصن الفتي،

كما بكرّة رمي، بقيّة بسيطة، بقيّة فردوس مشتّت.

عن كثب، هي أيضا أكثر ذلاّ، كأنّها

شيء عار ومعدوم المقاومة،

هيئة للطّبيعة صرفة،

توجد في الهواء،

في ضياء الشّمس، حيّة، لكنّها

من حياة تخونها، وتهينها، وتكاد تخجلها
من كونها على مثل هذي الفظاظة
في أقصى حنانها الزّهري.
أدنو أكثرَ، أشتمّ عطرها...
آخ، الصّرخة لا تكفي،
الصّمت لا يكفي:
لا شيء يقدر أن يعبّر عن وجود بأكمله!
أكفّ عن كلّ فعل... فقط أعرف أنّني

في هذه الوردة أبقى أتنفّس، في لحظة واحدة
بائسة، عطر حياتي كلّها: عطر أمّي....

لمَ لا أنفعل، لمَ لا أرتعدُ
من الفرح، أو ألتذّ من بعض القلق الخالص؟
لمَ لا أُتقن التعرّف
على هذا المشكل في وجودي القديم؟
أعلم: لأنّ نزوة الغضب الشّديد منذ الآن
سجينة في داخلي. شعور،
غير محسوس، أصمّ، غامض، يسمّمني:
إنهاكٌ، يُقال، هياج أعصاب محموم: لكنّ ضميري
لا يزيد عنه حرّية.
الألمُ الذي يجعلني مغتربا عن ذاتي باطّراد،

إذا أنا سلّمت أمري للعناء،
سينفكّ عنّي، ويدوّم حول ذاته،
ويضربني على صدغَي،
ومضطربا، سيملأ بالقيح قلبي،
ما عدتُ مَولَى زمني...

ما كان شيء يقدر أن يهزمني، في ما مضى.
كنت سجينا في حياتي كما كنت في بطن أمّي،
في هذه الرّائحة المتّقدة،
رائحة الوردة المبلّلة.
لكنّني كنت أقاوم حتّى أخرج،
هناك، في مقاطعتي الرّيفية،
شاعرا في العشرين من عمره، على الدّوام،
على الدّوام يألم يائسا، ويلتذّ يائسا...

و انتهى الصّراع بالنّصر.
ما عاد وجودي الفرديّ محبوسا
في بتلات وردة
- بيتٌ، أمٌّ، شهوةٌ معذّبة.
إنّه وجود عامّ، بل إنّ العالم الذي كنت أجهله،
والذي، هو أيضا، منّي قد اقترب،
اليفا، أعلن عن اسمه،

وشيئا فشيئا، فرض عليّ نفسه، ضروريا، وعنيفا.

ما عدتُ قادرا على تصنّع جهله:

أو على جهل ما يرغبه منّي.

يا لهذا الصّنف من الحبّ

يدخل في هذي العلاقة،

يا لهذا التّواطؤ السّافل.

ولا شعلة واحدة

في هذا الجحيم من الجفاف الملتهب،

وهذا الهيجان القاسي الذي يمنع القلب أن ينفعل

بعطرٍ، هو حطام الانفعال...

في الأربعين تقريبا،

مازلت في مرحلة الغضب، كما شابّ

لاشيء يعلم عن ذاته إلاّ شبابه، ويهتاج ضدّ العالم.

وكأيّ شابّ، دون رأفة

أو وحشة، لا أخفي هذه الحال التي

هي حالي: لن أكون في سلام، أبدا.

أشعارٌ علَى شاكلَةِ الوَرْدَةِ

(١٩٦١ ـ ١٩٦٤)

[I]

الوَاقِعُ

مُوشّحُ الأُمّهاتِ

أتساءل أيّ صنف من الأمّهات كان لكُم.

لو أنّهنّ الآن رأينكم تعملون

في عالم غير معروف لديهنّ،

منشغل بسلسلة لا تنتهي

من التّجارب، المغايرة جدّا لتجاربهنّ،

فبأيّ أعين كنّ يرينكم ؟

لو كنّ هناك، بينما أنتم

تُحبّرون مقالاتكم، أيّها الملتزمون بالأعراف

والشاذّون، أو تقدّمونها إلى محرّرين

متمرّسين بكلّ أصناف المشبوهين،

فهل كنّ يدركن من تكونون ؟

أمّهات خانعات، على وجوههنّ

خوف الأسلاف، الذي كما الألم يشوّه التّقاطيع،

يغرقها في الشّحوب، يبعدها عن القلب،

يجمّدها في الرّفض الأخلاقي القديم.

أمّهات خانعات،

أمّهات تعيسات، مهمومات

تعليم أبنائهنّ النّذالة كي يتسوّلوا عملا،

كي يكونوا عمليّين،

كي لا يسيئوا إلى الكائنات الموسرة،

كي يتّقوا كلّ رأفة.

أمّهات رديئات

تعلّمن في خضوع الحفيدات،

أن يَرينَنا في مظهر واحد وبسيط،

ذوي نفوس بداخلها العالم محكوم عليه

ألاّ يعطي لا الألم ولا الفرح.

أمّهات رديئات،

أبدا ما توجّهن إليكم

بكلمة حبّ، إلاّ حبّ الحيوانات القذر والأبكم،

وربّينكم فيه، عاجزين أن تحسّوا

بالنّداءات الحقيقية لقلوبكم.

أمّهات خسيسات، متعوّدات من قرون

على طأطأة الرّأس دون محبّة،

على تبليغ الجنين

السرّ القديم المخجل،

سرّ الرّضى بفتات المآدب.
أمّهات خسيسات، علّمنكم
كيف يمكن للعبد أن يكون سعيدا
بكرهه الذي، مثله، مكبّلا،
كيف يمكن أن يكون، وهو يخدع، مترعا
بالارتياح، ومطمئنّا، في عدم الإعلان عمّا يفعل.

أمّهات ضاريات، مهمومات
بالدّفاع عن حماية هذا الرّهط من البشر،

الذين، لأنّهم بورجوازيون، يملكون حقّ سنّ القواعد
وضبط الأجور، بحنق من يثأرُ
أو يُجبرُ على شنّ هجوم عبثي.
أمّهات ضاريات، قلن لكم: قاوموا!
فكّروا في أنفسكم! أبدا
لا تكابدوا رأفة أو احتراما لأحد،
اخفوا في ذواتكم
كُمولَكُمُ العُقابي.

ها هنّ، خانعات، رديئات، خسيسات،
ضاريات، أمّهاتكم البائسات!
اللواتي لا يخجلن من معرفة أنّكم
ـ في غيظكم ـ متأهّبون لتحطيم كلّ شيء،

مادمنا لا نسكن غير واد من الدّموع.

هكذا تمتلكون العالم:

أنتم الذين يجعلكم أشقّاء،

في ميولكم المتواجهة، أو في أوطانكم المتعادية،

رفض عميق لأن تكونوا مختلفين: لأن تكفلوا

من الألم الوحشيّ لأنّكم بشر.

قَصيدٌ مَدَنِي[1]

كما راهبٌ أعمل طول النّهار

وفي الليل أجول، كما قطّ

عن الجنس يبحث... سأقترح

على المجلس البابويّ أن يطهّرني.

أردّ فعلا عن الخداع بالحسنى. أنظرُ

بعين رزينة كما صورة إلى المحكومين *بقانون لنش*[2].

أعاين مذبحتي الشّخصية بجرأة العالم الهادئة.

يبدو لي أنّني أكابد الضّغينة. وأنّني

أكتب فعلا أشعارا مليئة حبّا دقيقا.

أدرس الغدر كظاهرة مميتة، لا أكون موضوعا لها.

بي عطف على الفاشيّين، الصّغار، والكبار منهم،

الذين أعتبرهم صُوَرًا عن الشرّ الأكثر فظاعة،

لا أواجههم إلاّ بعنف الحكمة.

---

(١) يتكوّن هذا القصيد من سبعة مقاطع «منفصلة»، اكتفينا بترجمة الأخير منها/ المترجم/.

(٢) قانون الإعدام من غير محاكمة قانونية منسوب إلى قاض أمريكي بهذا الإسم/ المنهل/.

مسالمٌ كما طائر يرى،

وهو يحلّق، كلّ شيء، ويحتفظ

في قلبه، وهو يحلّق في السّماء

بالشّعور الذي لا يغفر.

٢١ حزيران ١٩٦٢

تَضرُّعٌ إلى أُمّي

يصعب التّعبير في كلمات الإبن عمّا
في القلب لا أشبهه إلاّ قليلا.

أنتِ الوحيدة في الدّنيا التي تعلم، عن قلبي،
ما كان على الدّوام، قبل أيّ حبّ آخر.

لهذا عليّ أن أروي لكِ ما يُرعب العلم به:
إنّه داخل رحمتكِ يولد قلقي.

أنت يتيمة دهركِ. ذلك ما قضى
بالعزلة على الحياة التي أعطيتني.

ولا أقدر أن أكون وحيدا. بي جوع لا يُحدّ
إلى الحبّ، حبّ الجسد بلا روح.

لأنّ الرّوح داخلكِ، لأنّها أنتِ، لكنّك
أمّي وحبّكِ عبوديتي:

قضّيت صغري عبدا لهذا الشّعور السّامي،

المتعذّر إصلاحه، ذي الالتزام فائق الحدّ.

كانت الطّريقة الوحيدة للإحساس بالحياة،
كانت اللون الوحيد، كانت الشّكل الوحيد: الآن قُضي الأمر.

نحن نصمد: وإنّه
غموض حياة مجدّدا خارج العقل تولد.

أتضرّع إليك، آه، أتضرّع إليك: لا ترغبي في الموت.
أنا هنا، وحدي، معك، في شهر نيسان سيأتي...

الوَاقعُ

آه، إنّها نهاية شعري العملية!

بسببه لا أعرف كيف أهزمها،

السّذاجة التي تنزع عنّي الهيبة، بسببه

لغتي يبست من القلق

حتّى صرتُ عند الكلام أختنقُ.

أبحث، في قلبي، فقط عمّا عنده!

تقلّصتُ في ما يلي: عندما

أكتب الشّعر فذاك حتّى أقاوم

وأقاتل، معرّضا ذاتي للخطر، متخلّيا

عن كلّ كرامة كانت ليَ في ما مضى:

كان يظهر، إذن، دون مقاومة، هذا القلب الرّثائي،

قلبي، الذي منه أخجل، ومرهقة بقدر ما هي حيويّة

تعكس لغتي مخيّلة

لطفل أبدا لن يكون أباً...

بذلك فقدتُ شيئا فشيئا

رفقة الشّعراء ذوي الوجوه الفظّة، النّاشفة،
وجوه الماعز الربّاني، ذوي الجبهات القاسية،
جبهات قدماء وادي *البو*، *في الصّفوف الهزيلة*

التي لا اعتبار فيها
إلاّ للعلاقات السّليمة بين الهوى والفكرة.
إنّي غاضب جدّا من مجازفاتي المبهمة.

اه، أن أبدأ من جديد!
وحيدا كما جثّة في لحدها
وإذن، هو ذا الصّباح الذي لا آمل

انّ في الضّياء... نعم، في الضّياء الذي يليّن
بسعادته الرّبيعيّة
نهارات بلدتي، *كانوسّا*.

ها أنا في ضياء نيسان قديم،
أقرّ بذنوبي، جاثيا،
إلى آخرها، حتّى الموت.

[........................]

لكنّني أتكلّم... عن العالم ـ وعليّ، فعلا،

أن أتكلّم عن إيطاليا، وحتّى،

عن إيطاليا معيّنة، عن *التيأنت فيها الولد*،

مثلي، أيّها الذي شِعري إليك أرسلُهُ،

تلك التي، هي التّاريخ الطّبيعي حيث تنضوي.

العالم، أنا أعطيته إسما، «البرئ»، أنا،

كضرير، أنا الولد المعذّب. لكنّني

إذا نظرتُ في الجوار إلى هذي البقايا

لتاريخ أبدا ما جاء عبر العصور

إلاّ بالعبيد... هذا المجئ

حيث الواقع ما أُعلن عنه إلاّ

عبر تكراره العنيف...

يا للمشهد التّعبيري! أفكّر في حكم

كُوبد في عبث... ثياب القضاة...

سُلط الجنوب الحقيرة... خلف وجوه القضاة ـ

حيث الرّذيلة من ألم، تكشف عن مناخ بائس ـ

ما كنّا نقرأ غير العجز عن الخروج من واقع

مُعتم، واقع الأهل والأقارب،

واقع السّلوك الصّارم، والغرارة الرّيفية...

هذي الجباه الجديرة بمسرح *الفنّ*[١]
هذه الأعين البائسة، أعين البغال المذعنة،

والعنيدة، هذي الآذان الوطيئة،
هذه الكلمات التي كي تستر الفراغ تنتفخ
في خطب التّهديد الأبوي، في النّقمة

كإبداع جديد! آه: إنّي أجهل البغضاء:
وإذن أعلم أنّي قاصر عن وصفهم
بالتوحّش الضّروريّ للشّعر.

سأحكي إذن في رأفة عن وجه هذا الكالابري[٢]،
مذكّرا في تقاطيعه بالرّضيع
وبرأس الميّت، الذي كان يلهج بالعامّية

مع الوضيعين، وباللغة الرّاقية مع المتنفّذين،
الذي كان يُنصت يقظا، في طيبة،
إلى أعماقه المكتومة والجائعة،

وفي الوقت ذاته، كان يحضن صورته،
صورة الخجول التي جعلها الخوف عديمة الشّفقة.
إلى جانبه، وجهان آخران يسهل التعرّف عليهما،

---

(١) مسرح أسّسه بيرانديللو/ انظر آخر الكتاب/.
(٢) نسبة إلى منطقة كالابريا ـ .Calabria

وجهان في الشّارع، في حانة تغصّ بالخلق،
هزيلان، في غير عافية،
بسبب التبكير في الكِبر، مصابان بداء الكبد:

وجها بورجوازيَين ليس للخبز عندهما، بالطّبع،
طعم الملح، ما هما بالحقيرَين، لا،
ولا تعوزهما المظاهر الرّحيمة

في سواد المحاجر النّافذ، في شحوب الجباه المعلَّمة
ببداية الهرم العنيف...
مُوفد رابع من المولى ـ قطعا متزوّج،

تحميه قطعا حاشية
من رفقة محترمين في مدينته الرّيفية ـ
متجمّد في حسرة مُصاب

بداء المعدة أو القلب ـ
كان هناك على مقعد منعزل:
كمن تعمّد ألاّ يعشق ثانية.

قبالتهما، البطل:
الذي باع نفسه للشّيطان بقضّه
وقضيضه. شخص تقليدي! كنت رأيتُ سحنته

قبل بضعة أشهر؛ وكان وجها آخر:
وجه شابّ صغير ثخين، ريفي،
الصّدغان غائران وأكمدان

بسبب الشّرف المهني.
الدّم الذي يصعد وجهه الآن يشوّهه:
كما قشرة خبز حمراء

على بشرته. كان بريق عينيه المنحرف
بريق رجل على خطأ.
كان كرهه لشخصي كُرها لموضوع هذا الخطأ،

بقول آخر
كرها لسريرته.
ما كان لئيما بما يكفي. لا تكفي المخيّلة

لتصوّر تجربة من الجهل
والمساومة. البورجوازية هي الشّيطان:
أن يبيعها المرء روحه

دون مقابل؟ أوه، بالتّأكيد لا:
يجب تبنّي ثقافتها،
وكما صلاة ربّانية وجبت

تلاوة عار خطابها الشّكليّ المحض،

والبُند المخاتل...

وأن تكون خطيبا فمعناه أن تكره،

أن تكون أمّيا فمعناه أنّكَ ضيّعت عمدا

كلّ احترام للإنسان.

إنّ حبّ المثل الأعلى القديم مختصر

على كذب الذّات في يأس على ذاتها،

في التّصديق بما نقوله كذبا.

لكنّ ضياء العينين يبقى، أيّها المتّهمون

اللجوجون! هناك في ذاك القليل من الضّياء،

في تلك النّظرة الهاربة، والشّاحبة،

والمذنبة ـ كانت تقيم حقيقتكم. تقودني

في علاقتي بكم، أعلم،

إرادة داخلية:

لكنّ هذا سرّ الأنا،

سرّ الإله، كما تقولون. سيقولون لكم:

«ليس لكم اعتبار، أنتم رموز

لملايين البشر: لمجتمع».

هو الذي يدينني، لا أنتمُ، ألاته.

وإذن: سعيد أنا بتوحّشي.

أم أنّهم يريدون خداع ذواتهم ؟ أناس

يُدينون أناسا باسم العدم:
إذ أنّ المؤسّسات عدم، حينما فقدت
كلّ بأسها، بأس الثّورات الشّبابي ـ

لأنّ العدم هو
أخلاق الصّواب، أخلاق تجمّع
مُطاوع، تجمّع واقعي، لا أكثر.

أنتم، أيّها الشّكليون ـ أيّها الوضيعون
بفعل الجُبن، أيّها المحترمون بفعل الخجل ـ
أنتم أشخاص: في ذواتكم وفي ذاتي، علاقة

تتكامل: في ذواتكم، حقدٌ عاقر،
وفي ذاتي، معرفة. غير أنّه
بالنّسبة للمجتمع الذي أنتمُ فيه رواة جامدين،

فإنّ ليَ قولا آخر: لا بصفتي ماركسيًا،
أو ليس بعدُ، ولكن، للحظة
ـ إذا أبانت نشوة كتّاب نهاية العالم

عن ذاتها في نار
لا عمر لها ـ سأصرخ:
مغامراتي سلاح مريع: لمَ لا أفيد منها ؟

لا شيء أكثر هَوْلا من الاختلاف.

معروضا على الدّوام ـ

موضوع تأنيب على الدّوام ـ

استثناء ملحّ ـ جنون جامح

كما حريق ـ تناقض بموجبه

كلّ عدل فاقد المفعول.

آهٍ أيّها الزّنوج، أيّها اليهود، أيّتها الحشود البائسة

لكونها موسومة، لكونها مختلفة، لكونها آتية

من بطون بريئة، لِكَم ربيعٍ عقيم،

من الدّيدان، والثّعابين، مُريع

من غير علمكم، محكوم عليكم أن تكونوا

على غاية الرقّة، عنيفين في سخف، اكرهوا!

مزّقوا عالم النّاس كريميّ النّسب! وحده بحرُ

من الدّماء يمكنه أن يُنقذ العالم،

من أحلامه البورجوازية المرصودة

لصنع مقام خيالي، على الدّوام كبيرا فأكبر!

وحدها ثورة تبيد هذه الجثث

«بإمكانها طرد الشرّ من داخله!».

ذاك ما يستطيع الصّراخ به نبيّ
لا يقدر على قتل ذبابة ـ قدرته
كامنة في اختلافه المهين.

حين هذا يُقال، أو يُصرخ به،
فقط حينها، بإمكان مصيري أن يتحرّر:
وأن أبدأ القول في الواقع.

[III]

بِيتْرُو II

تذييل:
انعدامُ طلبِ الشعرِّ

كما عبدٍ سقيم، أو دابّة

تائها في عالم كان عيّنه لي القدر،

في بطء مِسخ الطّين ـ أو مِسخ الرّغام ـ

أو مسخ الغاب ـ

زاحفا على البطن ـ أو فوق زعانف السّمك

عديمة الاستعمال فوق اليابسة ـ

أو فوق أجنحة مصنوعة من أغشية...

في الجوار طمّ، أو حصى، أو ربّما

محطّات مهجورة في أقاصي مدن الأموات ـ

ذات الشّوارع والممرّات السفلية لليل البهيم،

عندما لا نسمع إلاّ القطارات البعيدة المرعبة،

وإلاّ هدير القنوات، في الجمد القاطع،

في الظلّ الذي ليس له غد.

هكذا، فيما كنت أقف كما دودة، ليّنة،

كريهة في سذاجتها،

شيء ما في روحي قد عبر ـ

كأنّ يوما رائقا والشّمس تسودّ،

وإلى ألم الدّابة اللاهثة

ألم آخر ينضاف، أكثر سخرية وأكثر عتمة،

وعالم الأحلام انصدع.

«ما عاد أحد يطلب منك أشعارا!»

و«أيّامك كشاعر ولّت...»

«الخمسينات عن العالم قد رحلت!»

«أدركت خريفك مع *رماد غرامشي*،

وكلّ ما يصنع الحياة يؤلمك

كما جرح مجدّدا ينفتح ويسبّب الموت!»

[V]

حَيويّةٌ قانِطةٌ

الرّاياتُ الجَميلَةُ

أحلام الصّباح :

عندما الشّمس بعدُ قد سطعت ،

في امتلاء لا يحسّه أحد كما البائع المتجوّل

الذي منذ ساعات عديدة يلازم الطّرقات

عليلا ، يخفي بلحيته تجاعيد شبابه الذّابل :

عندما الشّمس قد سطعت

على ممالك من ثمار وخضار هي بعد حامية ،

على طنافس مهترئة ، على جموع

بعدُ أدباشُها قالت البؤس في غموض ـ

والقطارات الكهربائية بالمئات بعدُ ماضية راجعة ،

متشاجرة على الشّوارع المحيطة بالمدينة ،

بأريجها المتعذّر وصفه.

أحلام العاشرة صباحا ،

لمن هو نعسان ، وحيدا ، كما الشّاهين في مهواه ،

جسد فاقد الحياة لا إسم له

ـ أحلام ترتسم في أحرف إغريقية لمّاعة،
وفي الوميض المهيب لثلاثة مقاطع لفظية أو أربعة
عارية ثقيلة، تماما

من بياض شمس ساطعة ـ
أحلام تكشف واقعا
بعمق كان قد نضج، وهو الآن، مع الشّمس يعرض نفسه
حتّى نلتذّ به، أو منه نرتاع.

ماذا يقول لي هذا الحلم الصّباحي ؟
«إنّ البحر، بتموّجات بطيئة، وهائلة،
بحبّات زرقاء، يستبسل، جاهدا
في هيجان أبويّ لا يفنى،
وشبه سعيد ـ فإنّها سعادة أيضا أن نتحقّق من الفعل
حتّى لو كان الفعل الأعنف للقدر ـ
إنّه يقرّض جزيرتك، التي اختُزلت
في بضعة أمتار من التّراب...».

النّجدة، إنّها العزلة تتقدّم!

غير مهمّ إن كنتُ أعلم أنّي رغبت ذلك مثلما مَلِكٌ.

حين أنام، فإنّ طفلا، داخلي أبكم يرتعب،
إنّه يتوسّل رأفة، يبحث، مخبولا من القلق،

عن مخبأ، في اهتياج

«يضيّع الرّشد»، يا له من طفل حزين.

إنّه مُرتعب من فكرة

أن يجد ذاته فعلا وحيدا

كما جثّة في قاع خندق.

وداعا، أيّتها الكرامة،

التي، في هذا الحلم، سرعان ما تبدّدت!

فليبك، من كان عليه أن يبكي،

من كان عليه أن يتعلّق بأذيال غيره،

فليتعلّق بها، وليسحب بكلّ طاقته،

لأجل أن تلتفت، هذي الوجوه

في لون الطّيف، وتلتقي بنظرته الفزعة

حتّى تعي مأساته، حتّى تعاين جيّدا ما يُرعب في حالته!

بياض الشّمس، على كلّ هذا، كما طيف

يُثقل التّاريخ به

على جفون ثقالة الرّخام الباروكي أو الرّوماني القديم...

عزلتي، أنا الذي أردتها.

بموجب دوّامة هائلة وحده

حلم نابع من قلب حلم آخر

بإمكانه ربّما الكشف عنها...

وفي انتظار ذلك، أنا وحيد.

أنا ضائع في عمق ماضيّ.

(إذ ليس للمرء في حياته غير عهد واحد).

فجأة، ها همُ أصحابي الشّعراء

الذين يعيشون معي براءة السّتّينات

تلك الكئيبة، رجالا ونساء،

الذين يصغرونني قليلا كما الذين يكبرونني

قليلا ـ ها همُ، هناك تحت الشّمس.

لم أستطع الحصول على ما يتوجّب

من الفضائل حتّى أجعلهم يتعلّقون بي ـ

في ظلّ حياة يظلّ مجراها مفرطا في دقّة ارتباطه

بسلبية روحي الرّاديكالية.

الكِبرُ، في آخر المطاف، قد جعل

من أمّي وبالمقدار ذاته منّي

قناعَين ما فقدا رغم ذلك شيئا

من حنانهما للصّباح ـ والاحتفال العتيق

يتكرّر في أصالة وحده

حلم نابع من قلب حلم آخر

يسوّغ لي ربّما أن أصرّح باسمه،

كلّ العالمِ يوجد في جسدي غير المكفّن.
جزيرة مرجانية تتفتّت
تحت صدم حبّات البحر الزّرقاء المتكرّر.

ما العمل، عدا استعادة المرء كرامته،
حين تَبدُّدِ الأوهام؟ لعلّها حانت ساعة المنفى:
السّاعة التي يردّ شيخ فيها واقعه إلى الواقع،
والتي تأخذ فيها العزلة
التي نضجت من حوله شكل العزلة.

في حين أنّني ـ كما في حلمي ـ أستبسل في التعلّل
بأوهام، رديئة، خرطونٌ[1] مشلولٌ بقوى تجاوزه:
«كلاّ! كلاّ! إن هو إلاّ حلم
الواقع
في الخارج يوجد، تحت هذي الشّمس السّاطعة،
في الشّوارع وفي المقاهي الخاوية، في بحّة
صوت العاشرة صباحا،
في يوم عادي، يحمل على كتفيه صليبه!».

صديقي ذو الذّقن البابوي، صديقي
ذو العينين في شكل، البندقية...

---

(١) دودة الأرض/ المنهل/.

أصدقائي الشّماليون الأعزّاء المختارون
تبعا لتشابهات انتقائية عذبة كما الحياة ـ
ها همُ، هناك تحت الشّمس.

إلسا[1] *أيضا*، بوجهها *الأشقر*، هي ـ
كما فرس قتال من العصر الوسيط مجروح،
واقع أرضا، مضرّج دما ـ هي أيضا هناك.

وأمّي قريبة منّي...
ولكن أبعد من كلّ حدّ زمني:
نحن ناجيان من الموت هما واحد.

تنهّداتها، هنا، في المطبخ
انحرافات مزاجها عند كلّ ظلّ من إشاعة مخزية،
أو حالما تتظاهر باستعادة
كراهية هذا القطيع من الصيّاحين الذين يضحكون هازئين
تحت هذه الغرفة حيث أحتضر ـ
إن هي إلاّ طبيعة عزلتي.

كما زوجة قد وُضعت في المحرقة
صحبة زوجها الملك، أو معه قد دُفنت
في قبر ينحرف كما زورق

---

(١) الرّاجح أنّه يقصد الرّوائية إلسا مورانتي/ المترجم/.

صغير نحو آلاف السّنين ـ هكذا هي الآن معي
عقيدة الخمسينات وقد أصبحت أبعد شيئا ما
من كلّ حدّ زمني، وشيئا فشيئا مفتّتة هي أيضا
بفعل الصّبر الحانق لحبّات البحر الزّرقاء.

[..]

إنّهم ينتظرون
على موجة من العقلانية أخرى،
أو حلم ينبع من حلم آخر، أن تقدرا على رواية ذلك.
على هذه الحال أفقتُ،
مرّة أخرى:
ألبس ثيابي، أجلس إلى مكتبي
ضياء الشّمس بعدُ أكثر نضجا،
نداءات الباعة المتجوّلين بعيدة أكثر،

لاذع أكثر، في الأسواق وفي كلّ مكان،
دفء الغلال والخضروات
على طول الشّوارع ذات العطر الدّقيق عن الوصف،
على حافة البحر، وعلى سفوح البراكين.
كلّ العالم يعمل في عصره القادم.

لكنّ هذا الشيء «الأبيض».

الذي أراني في حروفه الإغريقية،
أراني الحلم، كما هو، الحلم النّذير،
أرانيه وهو يتشبّث بي حتّى أنّه
كان لابسا ثيابه، جالسا إلى مكتبي.
رخام، شمع أو جير،
على الجفون، على أطراف العينين:
هذا البياض الرّومانيّ الجذل، الباروكيّ الولع،
لشمس الحلم هذه.

هكذا كان بياض الشّمس الحقيقي،
هكذا كان بياض جدران المصانع،
هكذا كان
بياض الهباء ذاته (في هذي العشيّات النّاشفة،
مع أنّ المطر كان قد نزل البارحة)،
هكذا كان بياض الثّياب الصّوفية الرثّة،

والسّترات الكمداء والسّراويل المتنسّلة
لهؤلاء العمّال
الذين كان بإمكانهم أيضا أن يكونوا أنصارا:
هكذا كان بياض النّكهة
لهذا الرّبيع الجديد المثقل
بتذكّر كم ربيع مماثل قد دفن منذ قرون

في هذي الضِّياع ذاتها، في هذه القرى ذاتها ـ

التي لا تسأل، يا الله!

التي لا تطلب إلاّ الانبعاث

على هذي الجدران الصّغيرة، على هذي الطّرقات.

على هذي الجدران الصّغيرة، على هذي الطّرقات،

المشبعة بعطر غريب،

حيث كانت تزهر، حمراء، في الدّفء،

أشجار التفّاح، وأشجار الكرز: وهذا اللون الأحمر

كان مصقولا برفق، كما لو أنّه مخمور

بريح بعض الزّوابع الصّيفية، أحمر

هو بالتّقريب بنّي، كرزٌ كما الإجّاص،

تفّاح كما الخوخ، مرّات كان يلمع في غير وضوح

وسط التّواشيح الدّاكنة والكثيفة لورق الشّجر،

اللامتحرّك، كما لو أنّ الرّبيع تأخّر جدّا في المجئ

حتّى يستعذب هذا الدفء

حيث كان العالم يستعيد الحياة،

مضطرما، في أمله العتيق، بأمل جديد.

والرّفرفة، المتّضعة، فوق هذا

كلّه، رفرفة الرّايات الحمراء

الكسولة، يا الله! الرّايات الجميلة،

رايات تلك الفترة ؛ الأربعينات!

مُرفرفة فوق بعضها، كثيفة، بقماشها المحمرّ

في احمرار داكن، كان بالبؤس الصّارخ يمتزج،

بؤس زغب الحرير، وغسيل عائلات العمّال ـ

وبنور الكرز، والتفّاح، في لون البنفسج

من فرط الرّطوبة،

والذي خضّبه شعاع شمس بالدّم،

الأحمر المضطرم، معقودا في باقات ومضطربا،

في الحنان البطوليّ لموسم لا يموت.

حَيويّةٌ قانِطةٌ

[I]

(رواية، في «كورسوس»[1] باللغة «الاصطلاحية» السّائدة، للحدث الماضي: فيوميتشينو، الحصن القديم وفكرة أولى حقيقية عن الموت).

كما في فلم لغودار: وحيدا

في سيّارة تعدو على الطّرقات السّريعة

للرأسمالية اللاتينية الجديدة ـ رجوع من المطار ـ

[هناك ظلّ مورافيا رائقا بين حقائبه]

وحيدا، «سائقا سيّارته *الألفا* روميو»

تحت شمس يتعذّر سردها في أبيات

لا رثائية، لأنّها سماوية

أجمل شموس العام ـ

كما في فلم لغودار:

---

(١) مجموع دراسات جامعية (في موضوع)/ المنهل/.

تحت هذه الشّمس التي تنزف جامدة ووحيدة،
قناة مرفأ فيوميتشينو
قارب ذو محرّك يعود من غير أن يثير انتباها
بحّارة نابولي تغطّوا بخرق الصّوف
حادث طريق، قليل من النّاس حوله...

ـ كما في فلم لغودار ـ إعادة اكتشاف للرّومانسية
من زاوية الرأسماليّ الجديد، صلافة وعنف ـ

يقود سيّارته
على طريق فيومتشينو،

وها هو الحصن (يا له من لغزلطيف،
بالنّسبة إلى السّيناريست الفرنسي،
تحت هذه الشّمس الغائمة جدّا، والعتيقة،

هذا القطار البابوي، بشرفاته،
على خطوط هذي الحقول البشعة وحواجزها،
حقول الرّيفيين الأقنان)...

ـ كما قطٌّ أُحرق حيّا، أنا،
مسحوق تحت عجلة شاحنة،
مُعلّق من طرف صِبيَة بشجرة تين،

لكنّه مازال يحتفظ

بما لا يقلّ عن ستّ

من حيواته السّبع، كما حيّة قد اختُزلت

في ثريد من الدّماء؛

حيّة إلى النّصف مُلتهَمة

ـ الخدّان غائران تحت العينين المنهكتين،

الشّعر منثور بفظاعة على الجمجمة،

السّاعدان نحيلان كما ساعدا طفل

ـ قِطٌّ لا يموت *بِلمَندو*

الذي«وهو يقود سيّارته *الألفا ـ روميو*»

في منطق المونتاج[1] النّرجسي

ينفصل عن الزّمان ويدمج فيه ذاته:

في صور لا علاقة لها

بسأم السّاعات في الصفّ...

بتوهّج العصر البطئ حدّ الموت...

لا يمثل الموت

في اللا ـ تواصل

لكنّه يمثل في الكفّ عن أن نكون موضوع فهم.

وهذا القطار البابوي،

---

(١) اختيار وترتيب مشاهد مصوّرة فوتوغرافيّا لشريط سينمائي/ المنهل/.

الذي لا تعوزه الرّعاية ـ

ذكرى التّنازلات الفظّة للأسياد الأبرياء،

في العمق، كما كانت بريئة

تنازلات الأقنان ـ

تحت الشّمس التي كانت،

عبر القرون

طوال آلاف من العشيّات،

هنا، الضّيف الوحيد،

هذا القطار البابوي، ذو الشّرفات،

الجاثم في مغرس الحور بالسّبخة السّاحلية،

في حقول البطّيخ الأحمر، في الحواجز

هذا القطار البابويّ المدرّع

بالدّعامات ذات اللون البرتقاليّ العذب،

لون روما، المتصدّعة كما أبنية الأترسك أو الرّومان

يوشك أن يكفّ عن أن يكون موضوع فهم.

[II]

(غير ضبابي، في قطعات واضحة، أتقدّم ثانية في مشهد ـ مجرّد من سوابق تاريخية ـ من «صناعة ثقافية») .

أنا عن طوع معذّب... وهي

قبالتي، على الدّيوان:

المشهد ـ عكس المشهد، ومضات سريعة،

«أنتَ ـ فكّرتْ ناظرة إلَي، أعرف،

برازيوديم[1] دوما على طريقة غودار

زد على ذلك خادم ـ إيطاليّ قديم ـ أنتَ، أيّها التّينيسّي[2]!».

الحيّة بكنزتها الصّوفية الصّغيرة

(وصِلٌّ مأمور

في صمت ينشّ المانيزيوم)

ثمّ، عاليا: «ألن تقول لي ما الذي تكتبه الآن؟»:

«أبياتا من الشّعر، أبياتا من الشّعر، أكتب أبياتا من الشّعر!

(١) عنصر فلزّي ثلاثيّ التّكافؤ/ المنهل/ (رمزه بالإيطالية F.H وبالفرنسية (P.R) .

(٢) إشارة إلى الأديب الإنقليزي تينيسيّ وليامز/ المترجم/ .

(غبيّة ملعونة،

أكتب أبياتا من الشّعر لا تفهمها بما أنّها

لا تملك أيّة فكرة عن العروض! أبياتا من الشّعر!)

أبياتا من الشّعر ما عادت ثلاثية المقاطع!

أتفهمين ؟

هذا هو المهمّ: ما عاد يوجد البيت ثلاثيّ المقاطع!

عدتُ *بلا زيادة أو نقصانإلى المزيج المعقّد!*

الرّأسمالية الجديدة انتصرت، أنا

على الرّصيف

كشاعر، آه [نحيب]

وكمواطن [نحيب آخر]».

والحيّة ماسكة بقلمها *البيك*

«عنوان منجزك؟» «لا أعرف»...

[إنّه الآن يتكلّم بصوت خفيض، كأنّه مرتعب،

عائد إلى الدّور الذي رغّبته المحادثة،

المقبول بها، في القيام به: وبما أنّه سرعان ما تقهقر،

فقد بانت تكشيرته،

في مطّة شفتي طفل مدلّل محكوم عليه بالإعدام]

ـ ربّما... «الاضطهاد»

أو «ما قبل تاريخ جديد» §أو ما قبل التّاريخ)

أو...

[وهنا يثور،

يستعيد كرامة الحقد المدني]

«مونولوج عن اليهود»...

[تسقط المحادثة

كما خفضِ الصّوت في عروض البيت ثمانيّ المقاطع الأعرج:

لا شكل له محدّد!]

«و ما القضيّة ؟»

فلنقل إنّها... قضيّة، موتك.

إنّه لا يمثل في غياب التّواصل [الموت]

بل في كونه غير مفهوم...

(لو كانت تعلم، الحيّة،

أنّها فكرة تافهة وُلدت عند العودة من فيومتشينو!)

أنّها تقريبا أشعار غنائيّة وحسب،

حيث إحكام الزّمان والمكان يكمن، وهذا عجيب!،

في رحلة بالسيّارة...

تأمّلات بين ستّين كلم ومائة وعشرين في السّاعة...

في مشاهد بانورامية سريعة، وتحريكات للكامرا

تُنجَز مِن بعدُ أو مِن قبلُ

فوق معالم ذات دلالات، أو مجموعات

بشرية، جديرة بأن تَحُثَّ

على حبّ موضوعي... لمواطن

(أو على استعمال الطّريق...

«آه، آه ـ [هي الحيّة ذات قلم *البيك التي تضحك]* ـ *و*...

من الذي لا يفهم؟».

«الذين ما عادوا إلينا ينتمون».

[III]

الذين ما عادوا إلينا ينتمون!
مسحوبين بنفث جديد للتّاريخ
إلى حيوات أُخرٍ، ومعهم شبابهم البرئ!

أذكر، كان ذلك... لأجل حبّ
كان يجتاح عينيّ وبنطالي البرئ،
والبيت والحقول وشمس الصّباح

وشمس المساء... أيّام... الأحد... آه لا أقدر
حتّى على تلفّظ هذه الكلمة،

كلمة المشاعر البتولة، كلمة موتي (مرئيّا في خندق
بلا ماء مترعا بأزهار الرّبيع،
وسط صفوف من الشّجر المصفوع بهذا الذّهب،

خلف عزبات قليلة الضّياء تجاه سماء صافية مهيبة).

أذكر أنّي في هذا الحبّ المريع
كنت أصيح من العذاب

لأجل أيّام الآحاد حيث وجب أن تضيء

«الشّمس على أبناء الأبناء»!

بكيتُ على سرير كازرسا الصّغير،
في الغرفة التي كانت تضوّع رائحة البول والغسيل
في أيّام الآحاد هذي التي تتوقّد حتّى الموت...

دموع عجيبة! ليس فقط
من أجل ما خسرتُهُ، في هذه اللحظة
من الجمود القاتل للإشراق،

ولكن من أجل ما سوف أخسره! عندما
فتوّات جديدة ـ لا أقدر حتّى على تخيّلها،
شبيهة جدّا بتلك التي كانت تحمل آنذاك

جوارب غليظة بيضاء وأقمصة إنقليزية،
عُزواتها زهريّة ـ أو ألبسة داكنة،
عُرسيّة مصونة بعناية بَنَوية، ـ فتوّات جديدة

كانت تشرع في إعمار كازرسا بالحيوات المقبلة،
دون أن تغيّرها، دون أن تغيّر من أحجارها،
وشمسها التي تكسو الكلّ بعسجد مائيّ محتضر...

في اندفاع مهتاج من الألم القاتل،

كنتُ أحتجّ

كمن حُكم عليه بالأشغال الشّاقة المؤبّدة،

معتزلا في غرفتي،

دون أن يعلم ذلك أحد،

صارخا، والفم مغروز في الأغطية المسودّة

بحرارة المكواة،

الأغطية العائليّة الغالية،

تلك التي كنت عليها أحضن أزهار شبابي.

وذات عصر، أو مساء، صارخا

عدوتُ،

عبر شوارع الأحد بعد المباراة،

نحو المقبرة القديمة، وراء السكّة الحديدية،

لأقترف، وأكرّر، حتّى يسيل الدّم،

الفعل الأعذب في الحياة

أنا، وحدي، على كومة التّراب الصّغيرة،

المكوّنة من قبرين أو ثلاثة

لجنود إيطاليّين أو ألمان

دون أسماء على صُلبان الخشب

ـ مدفونين هناك منذ تلك الحرب.

وبعد ذلك، في الليل، وسط الدّموع المجفّفة،

أقبلت الأجساد المضرّجة لهؤلاء المجهولين
المكسوّين ألبسة رمادية ـ خضراء

أقبلت في جماعات إلى سريري
حيث كنت أنام عاريا ومتعبا
أقبلت تلوّثني بالدّم حتّى الفجر.

كنت في العشرين من عمري، بل في الثّامنة عشرة،
في التّاسعة عشرة... وقرنٌ كان بعدُ قد عبرَ
منذ أن كنتُ أحيا، حياة بأكملها مُتلفةً

في التصوّر المؤلم أنّني
لن أقدر إطلاقا على إعطاء حبّي
لغير يدي، أو لغير أعشاب الخنادق،

عند تَيرَبِ قبر بلا رقيب...
عشرون عاما، ومعها تاريخها البشري،
ودورتها الشّعرية، حياة كانت قد اكتملت.

[IV]

(استعادة للحوار، مع شروحات غامضة لدور الماركسية، الخ).

(آه، لا يعني الأمر بالنّسبة إليّ غير زيارة للعالم)!.

ولنعد إلى الواقع.

[إنّها هنا، سيماؤها قلق في جلاء غير أنّه مسكّن بتربية جيّدة، تنتظر في المشهد «الرّمادي» تبعا لمثال الاتّباعية الفرنسية الجيّد. مشهد ناعم]

«حسب رأيك إذن ـ قالت، متحفّظة،

وهي تعضعض قلم *البيك*ما هي

وظيفة الماركسية ؟» واستعدّت لأن تدوّن

«بـ... لطافة المختصّ في علم الجراثيم... أقول

[إنّي أتمتم، مأخوذا باندفاعات مميتة]

تحريك جموع جديرة بالجيوش النّابوليونية والستالينية...

مع مليارات القطع...

بحيث أنّ...

الطّبقة التي نقول إنّها محافظة

[من الماضي] تضيّعها:

والطّبقة الثّورية، تتملّكها

وهي تعيد بناءها لحظة الانتصار عليها...

إنّني بغريزة البقاء

ماركسي!

نُقلة

بها الموت والحياة مُرتهنان: منذ غابر الأزمنة.

علينا إنجازها في تأنٍّ، كما عندما

يفكّ نقيب في سلاح الهندسة

صمّامَ قنبلة ما انفجرت وأنّه،

للحظة، يمكنه البقاء في العالم

(بأبنيته الحديثة، في الحوالي، تحت الشّمس)

أو أن يمّحي إلى الأبد:

تفاوتٌ لا يُعقل

بين الممكِنَين!

نُقلة

علينا إنجازها في تأنّ شديد، وأعناقنا متصلّبة،

ونحن ننثني متكوّرين على بطوننا

معضعضين على شفاهنا أو مغمّضين أعيننا

كما لاعب الكُرات

الذي، مائجا، يحاول السّيطرة

على مسار ضربته، وعلى تصويبها

نحو حلّ

به ترتهن الحياة عبر العصور».

[V]

الحياة عبر العصور...

وإذن إلى ذاك كان يُلمّح ـ

البارحة...

متشنّجا في الجزء المختصر لعويله ـ

هذا القطار القصي...

هذا القطار الذي كان يئنّ

آسفا، كأنّه فوجئ بوجوده،

(ومنقادا أيضا ـ لأنّ كلّ فعل

للحياة هو جزء بعدُ قد رُسم على خطّ

هو الحياة ذاتها، الواضحة فقط في المنام)

كان هذا القطار يئنّ، وفعل الأنين

ـ الجدّ قصيّ، أبعد مِن الآبينين والشنتوتشيلّي[1]

وكان يتّحد بفعل آخر: اتّحاد طارئ،

---

(١) إحدى مناطق روما.

مريع، ومهتاج
وخاصّ إلى حدّ
أنّه بالكاد يمكن، فيما يجاوز حدّ عينيّ اللتين لعلّهما
مغمضتان، يمكن أن أعرفه...
إنّ فعلي، فعل حبّ. لكنّه ضائع
في شقاء جسد محمول بمعجزة
على الجهد كي يتخفّى، لاهثا محاذيا
سكّة حديدية قاتمة،
في وحل حقل زرعه العمالقة...

الحياة عبر العصور...
كما نيزك
أبعد من فضاء الخرائب الهائلة،
أبعد من أراضي *بني كايتاني أو بني تورلونيا*
أبعد من *التّوسكولان والكاباّنيللي في العالم*
هذا الأنين الميكانيكيّ الذي كان يقول:
الحياة عبر العصور...

و كانت أحاسيسي هناك وكانت إليه تستمع.

كنتُ ألامس رأسا مُشعّث الشّعر، معفّرا
من اللون الأشقر الذي يتوجّب امتلاكه في الحياة
من الشّكل الذي يرغبه القدر

في القماش الخشن ذي البصمة الأمومية:
كنت أرتكب جريمة حبّ،
لكنّ أحاسيسي كانت ترهف السّمع:

الحياة عبر العصور

ثمّ اندثر رأس القدر الأشقر
عبر ثغرة،

في الثّغرة كانت سماء الليل البيضاء،
إلى حين ظهرت، قبالة هذا الرّقعة من السّماء،
عَمرة أخرى، وعنق آخر،
أسود، ربّما، أو أسمر: وأنا
في هذا الكهف النّائيّ في قلب أراضي
بني *كايتاني* وبني *تورلونيا*
وسط الخرائب التي شيّدها عمالقة القرن السّابع عشر
في أيّام عِيدية فائقة الحدّ، أنا
كنت بإحساساتي أستمع...

الحياة عبر العصور...

مرّات عديدة
في الفتحة قبالة بياض الليل الذي كان يندثر
أبعد من طرقات العالم،

أنطلق رأس القدر وبان ثانية،

في عذوبة هي تارة لأمّ جنوبية وطورا لوالد كحولي،

ودوما نفس الرّأس الصّغير المشعّث والمعفّر،

الذي صار بعدُ كئيبا في فتوّة ذات شعبية:

وأنا،

كنت بإحساساتي أستمع

صوت حبّ آخر

ـ الحياة عبر العصور ـ

كان يعلو في السّماء الصّافية.

[VI]

(انتصار فاشي)

كانت تنظر إليّ حزينة.

«وإذن... أنت... ـ [ابتسامة مهذّبة، نهمة،

واعية بهذا النّهم،

مع تباه ـ والأسنان تلمع والعينان ـ

في احتقار طفيف، متحيّر

تجاه ذاته] ـ وإذن لابدّ أنّك رديئ الحظّ جدّا»

«آه (عليّ التّسليم بذلك)

إنّني مرتبك آنستي».

بينما كنت أراجع مسودّة كتابي الشّعري

(الذي هو موضوع حديثنا)

جاءتني الرّؤيا... آه، لو أنّها كانت فقط

من رُكام التّناقضات ـ التّناقضات المطمئنة... لا،

إنّها رؤيا الرّوح المرتبكة...

كلّ إحساس خاطئ يلدُ

يقين الكائن المطلق.

كان إحساسي الخاطئ إحساس... العافية.

غريب! وأنا أقول لكِ هذا

ـ وأنتِ بهذا الوجه العرائسي معدوم الشّفتين

تحديدا أنتِ لاتدركين ـ

أتحقّق في الوقت ذاته

في وضوحٍ سريري

من أنّه أبدا ما كان لي، أنا، أيّ وضوح.

صحيح أنّه مرّات

يكفي لأن نكون في عافية (وواضحين)،

أن نؤمن أنّا كذلك... ومع ذلك

(سجّلي، سجّلي!) فإنّ ارتباكي الرّاهن

هو منتوج انتصار فاشي.

[أنبَاء، غير مراقبة، نزوات

وفيّة بائدة]

انتصار متواضع ثانوي.

ثمّ سهل. كنت وحدي:

مع ذاتي، وأمّ خجولة

مفزوعة، وإرادتي.

كان الهدف إهانة مُهان.

أقول لكِ إنّهم قد أفلحوا،

وحتّى بدون جهد كبير. ربّما

لو أنّهم علموا بأنّ الأمر كان على تلك البساطة

لما كانوا كابدوا ذاك الشّقاء، وبتلك الدّرجة!

(آه، إنّي أتكلّم، كما ترين، بصيغة جمع جنسية: وهُم! يحبّ المجنون المتورّط في شقائه الشّخصي).

أمّا عن نتائج هذا الانتصار،

فهي أيضا ضئيلة الاعتبار: إمضاء له وزنٌ

يغيب عن النّداءات من أجل السّلام.

ثروة *من جانب موضوعي، ليست بالشّيء الكثير*

ومن جانب ذاتي...لنترك هذا جانبا:

لقد أطلتُ بعدُ في وصف آلامي الشّبيهة،

وأبدا ما كان ذلك شفويّا،

بدودة الأرض المهروسة

التي ترفع رأسها الصّغير

وتقاوم في سذاجة كريهة الخ.

انتصار فاشي!

سجّلي، سجّلي: ليعلموا *(هم!) أنّني أعلم ذلك:*

بشعور الطّائر المجروح

الذي يموت في بطء ولا يغفر.

[VII]

لا يغفر!

كانت هناك روح،

بين التي عليها النّزول أيضا إلى الحياة

ـ عديدة، وكلّها متشابهة، يا للأرواح المسكينة ـ

روح بداخلها، في بريق العينين الكستنائيتين،

في الخِصلة المحتشمة والمغطّاة

بتصوّر أُمومي للجمال الذّكوري،

كانت رغبة الموت تضطرم.

وسرعان ما رآها، الذي

لايغفر

رحّب بها، دعاها إلى جانبه،

وكما صانع

في السّماء، هناك في العوالم التي تسبق الحياة،

رتّب يديها على رأسها

وألقى لعنته.

كانت روحا ساذجة وطاهرة،
كما طفل صغير في قربانه الأوّل،
وديع في وداعة أعوامه العشرة
لباسه أبيض، من قماش منتقى
من تصوّر أمومي للرّعاية الذّكورية،
وفي عينيها الدّافئتين كانت تكمن رغبة الموت.

آه، في الحال رآها، الذي
لا يغفر.

رأى المقدرة اللامتناهية على الطّاعة
والمقدرة اللامتناهية على التمرّد:
دعاها إليه،
ـ هي التي كانت تنظر إليه ساذجة
كما ينظر حمل إلى جلاّده العادل ـ وباشر
عليها قدّاسا معكوسا، بينما كان الضّياء من نظرته
يندثر، وظلٌّ من الرّأفة يرتفع.

«ستنزلين إلى الأرض
وتكونين ساذجة ولطيفة، متوازنة وأمينة،
ستكون لك مقدرة على الطّاعة لامتناهية

ومقدرة على التمرّد لامتناهية،

ستكونين سليمة.

لذلك ألعنكِ».

مازلتُ أرى نظرتها

بالرّأفة ممتلئة ـ وبالرّعب الطّفيف الذي نحسّهُ

تجاه من يوحي إليها ـ

النّظرة التي نتبعها،

التي تمضي، دون أن تعلم، نحو الموت،

ووفق ضرورة مجاوزة لمن يعلم ومن لا يعلم،

لا شيء نقول لها ـ

مازلت أرى نظرتها

فيما كنت أبتعد ـ عن الأبديّة ـ نحو مهدي.

[VIII]

(خاتمة جنائزيّة: مع مشهد إجمالي ـ مخصّص لصانعة «الورق» ـ لحرفتي كشاعر، ونظرة تنبّئية على امتداد آلاف السّنين أعمل

في هذا المجال كصانع

ثمّ كانت المقاومة

وأنا

كنت أقاوم بأسلحة القصيدة.

كنت أجدّد المنطق، وكنت

شاعرا مهذّبا.

واليوم ها هو

زمن استحضار الأرواح.

لا أقدر على الكتابة إلاّ متنبّئا

في نشوة الموسيقى

من فرط البذر أو الرّأفة.

* * *

«إذا القياسيّ بعد الآن قد صمد

والمنطق جاوزته الموضة

(وأنا كذلك :

ما عاد مقود الشّعر في يدي)،

فاستحضار الأرواح ماثل

هنا في جلاء

(برغم الغوغائيّة

أبدا

سيّدة الموقف).

هكذا

أقدر على الكتابة في المواضيع والقطارات

وحتّى في النّبوءات ؛

كشاعر مهذّب، طبعا، وعلى الدّوام!»

* * *

«أمّا عن المستقبل، اسمعوني:

سيندفع

أبناؤكم الفاشيون

إلى عوالم ما قبل التّاريخ الجديدة.

أنا سأبقى هنا

كما يكون الذي يتخيّل خسارته

على سواحل البحر

حيث الحياة مجدّدا تبتدئ.

أطلال حضارات عتيقة،

رافينا

أوستيا أو بومباي ـ الأمر واحد ـ

وآلهة تفتح أصدافها، ومسائل قديمة

كصراع الطَّبقات ـ

تنحلّ...

كمتطوّع للحرب مات

قبل أيّار ٤٥،

سأشرع شيئا فشيئا في التفكّك،

في الضّياء المؤلم لهذا البحر،

شاعرا ومواطنا مَنسيّا».

[IX]

(قافية)

«إلهي، وماذا إذن

في أصولك ؟..»

«أنا ؟ ـ [تعتعة، أنا

ما تناولتُ دوائي، بصوت مرتعش،

صوت طفل مريض] ـ

أنا ؟ حيويّة قانطة»

هكذا

أنتزع بلا جدوى بتلات وردة،

الوردة الخاصّة بالرّعب والجنسية،

في الوقت الذي، حقيقة، كان يُطلب

منّي أن أكون النّصير

بلا اعترافات أو دموع.

أَشعارٌ جَديدةٌ عَلَى شاكلةِ الوَردَةِ

آه، كم عشت

قرير العين مثلما الحيوان

وكم بلّغت على الأقلّ الرّسالة التي

عهدوا بها إليّ!

برترولد برشت

جان قدّيسة المذابح.

ما الذي تفعله؟

أنا، مجدّدا أرسم

أشعارا على شاكلة الوردة (٣

أيلول ١٩٦٣)، مفقودون طيّبون من كوكبة نجوم *أريداني!*

جميعهم نزحوا، كما الخطّاف، تاركين البقاع خاوية. وإذن يُطرح

مُعضِل صمتنا. من *باغوتّا*، من *فرّاتّا أربوري*

بسمة غريبة تائهة، بسمة مجنون ينظر إلى مجنون آخر،

لمجرّد أنّ ماغون، المحتفى به جماعيا في مدينة *بولونيا*،

ما عاد يظهر من سنين،

عن حبّ، عن خالص الحبّ الخ.، الخ.، إيطاليا

في غنى عنّا ولكن

ما الذي نفعله نحن

في هذا العالم المعتم؟

في البتلة الثّانية

البتلة العطرة نتأمّل ليونيتّي...

الذي صارخا *آرا فوس بريك*[1] يعيد *أشعارا*

إلى فرّي (بينما فيرّيس في *لومبارديا*)...

(رافينّي... سيزين... مشروعان كبيران مع أيناودي، و، من الحدود

و من الحدود، كما مُصدّق[2] متواضع،

يحضن حلما، فيه ديغول مَلِكٌ،

فيه صفّ من الفرق النّازية الخاصّة،

نقّاد أسلوبيّون هم العفاريت ونحن العدم،

هم أقرب الأصحاب إلى قلبه، الخ...

يضع نهاية لحلمه: جيّد.

يعيد الآثام إلى الآثمين: جيّد.

من محرّر المقالات يعود إلى حجم النّملة

يأخذ القطار السّريع ثانية إلى ميلانو،

إلى روما، وأيناودي، وغرتزتي، وورومانو، الذي قال وداعا

للتليفزيون كي يبدع أشعارا جديدة)...

لكنّ النّملة المجدّة في حفرتها

تعيش وحيدة، وتغنّي

---

(١) Ara vos prec وتعني اللغة الأوكسيتانية/ L'occitan/ : والآن أرجوكم.

(٢) محمّد مصدّق/ انظر آخر الكتاب/.

تماما كما الزّيز. تلك هي

حياته، لكنّها

حياته المعتمة.

في البتلة الثّالثة

البتلة العطرة نتأمّل رُوفرسي

كما راهب في دير

مجنونا صار، يبحث عن دير في الدّير،

حتّى يتبع ثانية طريقا بعدُ قد اتّبع

دون إشارات بيوغرافية، زيز على أرض المقبرة،

يحوّل الحقد إلى كآبة مبهمة ـ على كلّ حال

هكذا كانت حياته، وهذه الحياة

أشعاره شهادة عنها وهذه

فاقدة المعنى

إلاّ في سياقات الألم المعتم.

في البتلة الرّابعة

البتلة العطرة نتأمّل فورتيني

الذي جعله تحقيق نبوءاته أخرس،

ومُلقى به في العماء

من قبل هذا النّظام الأخلاقيّ الذي توقّعه ولكن

على غير هذا الشّكل، على غير هذا الشّكل... ولعلّه

بخصائص الزّيز والنّملة سيقرأ، بدوره، نصوصا جديدة

لنبوءات جديدة، لحجج للإدانة جديدة،

ولعلّني لن أفاجأ إذا كان ماو

المحتفى به في نقوش مغفلة في مِبْوَلات *بورتا رومانا*

قد لقي حسن الضّيافة عند قلب في رومانيته هزيل

و لعلّني لن أفاجأ

إذا كانت *الهرمسيّةقد ازدرعت في بكين*

في منتوج ما عاد اليوم أكثر من فرضية

في قلب كلّ هذه العتمة.

في إحدى البتلات
الأكثر اختفاء، نتأمّل بعد ذلك مورافيا
الذي يرحل للبحث في بعض شواطئ صقلّية ـ مع
غرنوقيّات فائقة أفناها التّاريخ، ليست حمراء،
بل برتقالية، التي تملأ بهذا العنف الفريد والأكمد
منطقة بأكملها
عن التقلّب المأتميّ الإغريقي الذي يطرده من حياته
والذي لا يقدر
عن الاستغناء عنه،
ويحلم كما طفل غريب المزاج
قبالة المشاهد الطّبيعية للأركيولوجيّين الألمان
الميّتين هم أيضا:
إنّه لا يريد، إنّه لا يريد أن يبدع الوصل
بين عقله واضطرابه، إنّه يتركنا لوحدنا نتخبّط
في هذي المسائل الأدبيّة البغيضة والقديمة
قدم الطّوفان،
فيما هو يبني حياته الممتازة
كرجل يعلم دوما، أن يكون خارج العتمة.

أمّا عنّي

فقد هجرتُ موقعي

كجنديّ بلا راتب، كمتطوّع

لا يرغبون فيه: السّينما، الرّحلات، الفضيحة...

كنت أعلم ذلك، في الحلم كنتُ علمتُ بذلك: لكنّني

عند التيقّظ وجدتني على الهامش.

زعماء آخرون كانوا وصلوا،

دون أن يرغبوا ذلك!

أمّا وقد رحل الخطّاف،

فاليوم هم الذين يدعكون السّاحة.

حوّاء المطرودة

تُعوِل من ضحك حوّاء الجديدة؛

وما همّ ذاك؟ الألم الفعليّ هو

إدراك ما يعنيه: أن يكون المرء ثانية عام ٦٣

ما كانه عام ٤٣ ـ طفلا دامع العينين، تلميذا جريئا:

بهذا الشّعر المتساقط والذي صار بلون الرّماد!

وإذا أطردني العالم من عنده، كما جسم غريب،

فإنّ ذلك قد تمّ حسب الأصول التّاريخية

للرأسمالية الجديدة:

كلّ امرئ يصنع زمانه في الحياة، ويتفتّت مع قضاياه.

غير متاح لي أن أعرف أيطاليا الجديدة

المولودة في هذه السّنوات العشر
التي لا تبدو أنّها أكثر من سنة :
هي بعدُ في عام ٦٤ وأنا في عام ٥٤ ،
وكلّ الماركسيين معي ،
متورّطين في الولع بالخوالي.

لأنّني

في هذا الدّرس الجديد للتّاريخ

الذي لا أقدر على التعرّف عليه ـ بما أنّني

ما أعددته، مثيل تلميذ متخلّف

عن الدّرس تُرك جانبا إلى الأبد ـ لا أرى

إلاّ شيئا واحدا: أنّ صورته ستفنى، الإنسان

الذي يظهر واهبا ذاته كاملة لعمله المتواضع،

في صباحات الهند أو إيطاليا، مع

ثور هزيل، أو حصان متعلّق به، في أرض صغيرة

مسوّرة، في حقل صغير، ضائع

في لانهائية ساحل أو واد، يزرع، يحرث أو يجني،

في البستان قرب البيت أو الكوخ،

ثمار الموسم الحمراء والصّغيرة

الموجودة بين الأوراق الخضراء

التي صارت منذ الآن بلون الصّدأ السّاكن

صورة الإنسان... الذي في منطقة *الفريول*...

أو في المناطق الاستوائية... الذي،

شابّا أو عجوزا، يستجيب عندما يُطلب منه

أن يعيد نفس الحركات في السّجن اللامتناهي،

سجن القمح، والزّياتين، تحت الشّمس الفاحشة، أو التي هي

في ربّانية عذراء، معيدا واحدة بعد أخرى

حركات والده، أو بكلام أفضل معيدا

خلق والده على الأرض، في صمت،

أو في شبه ضحكة من تشاؤم، أو من عدول،

إذا ما اختُبر، لأنّه لا مكان في قلبه

لميل آخر غير الدّين.

كنتُ أبكي

لهذه الصّورة

التي من غابر الأزمنة

كنت أراها من عالمنا تندثر

لكنّني جاهلا بالعبارات الجاري بها العمل

في دائرة الممثّلين لهذا العالم

لأقول لهم وداعا كنت أعتمد

«لغة العهد الجديد»

وصِيغ القرن العشرين الجديدة، وأتنبّأ

أتنبّأ بما *قبل التاريخ جديدون إيضاح آخر* ـ

حيث طبقة تصير سلالة خلف دعابة لا ترحم

لأحد البابوات، مع ثورات

في شاكلة الصّليب، كان يقودها متسوّلون

وأغراب زرق الأعين ـ إلى هذه الكاللّيغرامات المزعجة،

كاللّيغرامات تباكيّ البشع

والبورجوازي الصّغير.

تَربيَةُ الإنسَانِ وتَعضِيته

(١٩٦٩ ـ ١٩٧٠)



عَاطِفة ثُمّ الحيَاة

بي عاطفة أعظم من أيّ حبّ

يعرضون فوقه استنتاجات لا يمكن استعمالها ـ

كلّ تجارب الحبّ صارت بالفعل غامضة بفعل هذه العاطفة

التي داخله، متماثلة تتكرّر.

أنا مغلول بهذه العاطفة

لأنّها تحظر عنّي كلّ عاطفة أخرى.

لكنّني حرّ لأنّني على بعض تحرّر من ذاتي.

تفقد الحياة الكثير من نفعها إذ تُختزل في حالة المسرح

أين تتّضح مراحل هذه العاطفة:

وهكذا ضيّعتُ نشوة أنّ لي طرقات خفيّة

أقطعها كلّ مساء

(إلى الرّيح القديمة التي تعلن عن تغيّرات السّاعات والفصول).

ولكن أيّة نشوة في القدرة على القول: «إنّي انقطعت عن السّفر».

كلّ شيء رتيب لأنّه لا يوجد في أيّ شيء سوى بريق الحدقات،

طريقة ما في الرّكض بليغة الإضحاك،

طريقة ما في تلفّظ «باولو» وطريقة ما
في اغتيابه بسبب خضوعه.
لكنّ هذا كلّه مُهدّد بالفزع من أنّ شيئا يتبدّل.
في كلّ حبّ هناك اتّحاد بين الشّخص الذي نحبّه
وشخص آخر: بل إنّ هذا طبيعي. في العاطفة
يبدو ذلك على العكس غير سويّ بالمرّة:
لقد تمّ الاتّحاد على درجة من العمق
ما عاد ممكنا معها إعطاء التّفسيرات أو رمي الأعذار
أو الاغتباط بالمصير الفردي، مهما كان المصير.
إنّ المحبّة التي تُوفّرها مثل هذه العاطفة
في عمق الذّات لا تقود إلى الإحبال أو إلى الحبل،
حتّى لو كان ذلك لمجرّد اللعب؛
ومع ذلك فنحن نرزح تحتها بنفس الشّعور الذي نحسّه
ونحن نسقط في الفراغ ونحن نلقي بالبذار، حين نموت
ونصبح آباء. أخيرا (وكم هي عديدة تلك الأشياء الأخرى
التي يمكن قولها!)،
وبرغم أنّ هذا يبدو عبثا، بالنّسبة إلى مثل هذه العاطفة،
فإنّه بالإمكان أيضا أن نضحّي بالحياة. بل إنّني أعتقد
أنّ هذه العاطفة ليست شيئا آخر سوى تعلّة لمعرفة
أنّنا نملك مقدرة ـ وهي الوحيدة ـ
على أن ننفكّ عن ذواتنا دونما ألم.

نَشيدٌ مُتحضِّرٌ

كانت وجناتهم رقيقة ونضرة
ولعلّها كانت تُباس للمرّة الأولى.
منظورا إليهم من وراء، كانوا حين يستديرون
ليعودوا إلى داخل الجمع الوديع، كانوا
أكثر نضجا، بمعاطفهم وسراويلهم الخفيفة.
من فقرهم ينسون أنّه برد الشّتاء. السّيقانُ
مقوّسة قليلا والياقات مهترئة، كانوا
كما أشقّائهم الكبار، مواطنين هم بعدُ قليلي الاعتبار.
مازالوا، وإلى سنوات عديدة دونما قيمة:
ولاشيء يمكن أن يحدث مّما يُهين عند الذين لا يمكن
أن نحاكمهم. برغم أنّهم يقومون بما يقومون به
في طبيعية لا تُعقل، إنّهم يهبون أنفسهم للحياة؛
وهذه بدورها تطلبهم. وهم لذاك على أقصى التهيُّؤ!
يتعانقون، يستطعمون الجدّة. ثمّ يمضون،
في رصانة كما أقبلوا.

ولأنّهم مترعون بالثّقة

في هذي الحياة التي تعشقهم، فإنّهم

يبنون وعودا صادقة، يرسمون مستقبلا واعدا

من العناق والقبل. ما الذي يمكن للثّورة أن تصنعه ـ

إذا كان لا بدّ من القيام بها ـ عدا هؤلاء؟ قولوا لها هذا:

إنّهم متأهّبون، جميعهم متماثلون

في العناق والقبل ونفس العطر في الوجنات.

لكنّ ثقتهم في العالم، لن تكون هي المنتصرة.

لقد وجب عليها أن تكون مهملة من قبل العالم.

١٢ ـ ١٩٦٩

كتابٌ حُرٌّ

يقظا، لكن على دوام التهوّر

في استقرائي للمواقف السّياسية، المنسية

على عكس مواسم الرّبيع التي كانت تعرض فجأة

(تلك التي لا ننساها) ؛ والتي، حين الأثير

يطوّق الجسد كما الملامسة، يَنصح بالعيش ـ

غرائز، إذا استطعنا القول، على دوام التّماثل

إلى حدّ أنّ نفثة ريح تكفي الجسد المسكين... ـ

عندما الحياة تحبّنا، وعندما

تكون لنا عنها معرفة حيوانية ـ

نحن نقدر أيضا على الكلام لمجرّد أنّنا أحياء ـ

لمَ اليقظة، لمَ دوام التهوّر؟

رياءٌ كان يوحي إليّ، مع هذا، برياء من يبتغي الاشتراك

في حبّ لا حق له فيه ؛

(وجب، مع ذلك، أن نتبيّن، إذا لم يكن الحبّ الذي لا نبادله إيّاه،

عنده حبّا حقيقيّا، لا مجرّد ألم). بالنّسبة

إلى أشهُرِ أيّار القادمة، أتوقّع أوضاعا سياسية أخرى
يكون التدخّل فيها، غير مرغوب فيه؛
إذ هكذا الأمر منذ الآن: لا أبتغي
سافلةَ نهرِ أيّ كان،
ولا أحد يريد أن أتكلّم باسمه، ووفاقنا
في هذا مؤثّر، لكنّ الحاجة إلى الحبّ لها قوّة جوهريّة
لا قدرة لنا على جهلها: تقريبا كما هواء الرّبيع.
لذلك سأتكلّم، لا باسمي، إذ أنّني شاعر الأثير
عندما هذا، شبيها بملامسة لأجسادنا، يجعلنا،
بمجرّد فعل الحياة، نتكلّم
وكم تذرف المعرفة اللاشعورية من دموع،
وكم من السّعادة
في الأعين التي تسترها
لذلك سأتكلّم،
لا باسمي ولا باسم الآخرين،
الذين لا يرونني جديرا بذاك؛
والذين يتجاهلونني.
أخاف الحرّية، التي كانت من الصّمت تأتيني؛
ما كنت لأنجز كتابا واحدا حرّا، ولا بيتا واحدا من الشّعر حرّا
في كلّ مواسم الرّبيع في حياتي -
إذ أنّ الشّعراء، المنذورين لأن يحدسوا الحرّية

في نقيض ما يفعلون، هم شعراء الخير العام، وهم،
دون تواطؤ قد يكونون غامضين.
إنّهم لا يبتغون حقوقا ـ
في المزاح أو في الكبرياء لا شيء يفعلون عدا
طلب العطف من الذي، لو كانوا يرغبون فيه حقّا،
لكان وفّره لهم؛ لكنّهم
أبدا لن يكونوا على رضى، لذلك
سأعلّق في الرّبيع، الذي سنظلّ نذكره،
على المواقف السّياسية، وعلى المظالم الأبدية
ولكن في افتقار إلى العبودية متعذّر إصلاحه.

تَعديلٌ لـ «كتاب حُرّ»

قليلة الشّأن هي الحريّة الحقيقية: إنّها ما نعلم عنها ـ
ليست الحرّية عظيمة إلاّ عند من كان كثير المعرفة،
وبشكل رديئ؛
فإنّ الأخوّة بالقليل من العلم تلتصق
وهكذا يمضي النّاس وتمضي الشّعوب
بعد السّعي الذي غالبا ما يكون مآله الفشل،
إلى هذا القليل من الحرّية
التي كانوا قادرين على السّعي إليها.
وإذن، وجب التّظاهر، ونحن نرتاب من شيء آخر،
ونخشاه، بأنّه على الأشياء أن تكون على هذا الغرار، لأنّنا
إذا سعينا إلى غير ذاك، نكون خُنّا الأخوّة:
والشّقيق الفقير يجهل
مقاضاة شقيقه الغني؛
وسلسلة من الأكاذيب تشرع في الظّهور؛
وذاك الذي يعيش الوضع الأخوي

والتوهّم يعلم أيضا، وكيف لا، أن يكون بلا رأفة ـ

مُهمَلا، في المؤخّرة،

ذاك الذي ما هو بالشّقيق يركض خلف القطيع

مُوهما أنّه يقاسمه العواطف والميول

مُخفيا عينيه أمام نور الحقيقة الذي يضطهده

كما لعنة طوال الحياة

(حتّى إذا كان الأمر لا يتجاوز وهم الحقيقة)

يريد الآخرون قادة، وما حيلته، هو، إذا كان لا يرغب ذلك؟

والقوانين العامّة؟

والمؤسّسات التي تبيح لنا التّفاهم؟

والحسّ المشترك الذي يهبنا المشاركة البريئة في كلّ ذنب؟

وجب القبول بكلّ شيء، بكلّ شيء

لكنّ شيئا يوجد لا نقدر، ولن نقدر أبدا، على إنكاره؛

أو إخفائه، أيّها الطّفل القصيّ والمُتلف

برأفتك تجاه ذاتك ـ غذّ ذاتك،

مع ذلك، غذّ ذاتك بالخير الذي يسمح لك بألاّ تكون حرّا!

كَلمةٌ

هذا الظلّ الواقع من فَوقٍ عليك،

هذا الذي يشعرني به ظلم كلامي،

منذ متى هو قابع في هذه الأمكنة!

إنّه[1] الآن يرغمه على الامتداد، كما في الأشهر

حيث المساءات تهوي كأنّها العواصف

وعبر إقامات الحياة، التي هي جدّ نادرة،

ها هو اختاركِ، معصومة من الخطأ ولا مبالية

(بالنّسبة إلينا، نحن الذين نصدر الأحكام

على طريقة الأطفال)؛ وإنّه

عليكِ قد وقع، وتأثير ذلك أنّكِ

استعدتِ سجيّتك السّحيقة، والتّوازنُ

استقامت حاله، التّوازن المميت، وهكذا

كلّ واحد عاد إلى حيث كان ـ

---

(١) لا أعني به الإله/ بازوليني/.

لمَ كلّ هذا القدر من الإذلال كي نعرف ما هو جدّ بسيط؟
كنتِ لعبة في يد هذا الخبير،
الذي يعطينا هدنات طويلة لكنّه
في النّهاية يدعونا إلى واجباتنا؛ التي لا تكمن
في شيء سوى في العلم أنّه يوجد. لقد حرّككِ
كما خليقة بين عديد الأخريات؛

وأنتِ، متوهّمة أنّك حرّة،
أنتِ اندفعتِ في احتدام عصور أُخَر،
احتدام أخرس؛
على وقع خطو بحّار يقصد البحر ـ متكبّرة
بعدُ أنتِ لكونكِ «فتاة من المدينة»
ومترعة بالقيم العتيقة
تكبّرُ أجيال وأقطار، مع فهم معيّن للسّخرية
مُتعلَّم (أو مؤكَّد) في العالم الشّاسع، أنتِ اندفعتِ
في سذاجة، كما مهرّج يمضي دون خوف إلى واجبه،
مأخوذا بأقداره:
ما كان عندك أنصاف الحلول، صادقة
كانت مشاعركِ، وهائلة:
كانت اللحظة التي يسمح فيها بالحرّية،
بالحرّية كاملة، لأنّه

هو ذاته لا يقدر أن ينكر الحقيقة كما زوجة المجرم
التي تمضي إليه كي تموت ـ
في حركات هائلة لزوجة سعيدة تقدّمتِ،
أنجزتِ كلّ ما عليك القيام به
متهوّرة
كنتِ بعقلكِ الحسوب
الذي لا يفارقكِ، والمسؤول عن هذي المشاعر الجامحة،
وما كنتِ تدركين
أنّه كانت للقصيدة الغزلية
جذور في الوجع المتعذّر
شفاؤه، الماثل هنا على الدّوام في انتظاركِ. الآن
الظلّ الذي كنتُ عنه أتحدّث
عليكِ قد وقع، ظلّ الذي ينسحب

من العالم؛ النُّذور التي كان الإله قد حلّكِ منها،
ذات يوم في *أثينا*، *أوّلا*، *ولكنّه*
كان على الدّوام يحتفظ بكِ؛ عبدة له لاواعية،
ثمّ، كما في احتفال مسارّة [١]، جعلكِ،
في بدء هذا الشّباب الجديد، جعلكِ المستحيل،

---

(١) احتفال كان يقام لإيقاف عضو جديد على بعض أسرار الدّيانات القديمة والجمعيات السرّية الحديثة./ المنهل/.

الذي لا يخيّب الآمال فحسب، ولكنّه
يجعل الذين يحاولونه مضحكين ـ وأنا؟
أنا أدوّن هذا الظلّ؛
أنا أستردّ الواقع المردود إلى نصابه.

٩ أيّار ١٩٧٠

أَثينا

أيّام أثينا

كنّ يضحكن، الصّبايا، عند أبواب البيوت

الصّغيرة والخفيضة والمتماثلة

(كما في المحلاّت الفقيرة في مدينة ريو)؛

هذي البيوت الصّغيرة

كانت مرتّبة بمحاذاة الشّوارع

التي في تلكم الأيّام كانت (ها أنتَ ما عدت تذكر

أسماءها) تعطّر الزّيزفون.

المساءات، كما أغلب الأيّام، كانت سرمديّة

لأنّه كان لا بدّ من احتفال بأكمله (الصّعود إلى غرف النّوم عبر الدّرجات

المغبرة؛ كان ذاك تسلّقا؛ وكان يزيد في ضحك الصّبايا).

في الخارج كانوا يواصلون السّهر،

لأنّ الأثينيّين مهذارون، وبالأخصّ الرّجال،

وخصوصا لأنّ عطر الزّيزفون يبقى في الشّوارع؛

طيلة السّاعات التي لا تجهلها الصّبايا،

لكنّهن لا يبكين لذلك، بل يضحكن، يضحكن فيما بينهنّ
كلّ الحياة ملكٌ لهنّ،
وهذه ترقبهنّ، تلك الحياة شبه السّرمدية.
تتلكّأ الأضواء في الاختفاء،
هناك ما يحثّ على مخاصمة الشّقيقة المحتقرة منذ الأبد،
لأسباب لا تُقال
وتُحفظ في عميق القلب سرّا؛
وأمُّها
كلّ العوائل تعرف أهلها
وتعرف من تكون بين الأخريات ؛
من جوار إلى جوار أثينا كلّها
ماثلة في ليلة لصبيّة
ستكون بدينة،
وهي اليوم مزدهرة، بوجنتين جميلتين،
وشَعْرٍ هو أَولى بجدّاتها القادمات من عمق الأراضي
ولكن لا أحد يعلم ما الذي سيحدث،
إلاّ ربّما، شحّاذ عجوز،
ليس له هناك ما يشغله؛ ليس له عائلة أو جوار
أو يتوهّم أنّ له عائلة وجوارا
وإنْ في بقاع قصيّة، موصولة بمسقط رأس
يظلّ مجهولا إلى الأبد.

أو موصولة بالبحر الأدرياتيكي ذي الشّفافية في ازدياد

هنا، مع ذلك، الليلة من صيف،

إنّها أبدية الشّباب،

المبارزة انتهت بانتصار ـ

القبلة فاشلة

انتصار زهد العذراء؛ أمّا هو

فقد مضى، «طويلا وأشقر»،

مختفيا وراء عطر الزّيزفون

نَعُود إلى البيت،

تتواصل الأصوات مرتفعة في البيوت الأُخرِ؛

أصوات الجيران، المتنبّهة جدّا،

لعلّنا نستمع إلى ضفادع الشّجر من مكان قصي

وبالتّأكيد إلى ريح لطيفة تأتي من البحر

إنّها الحرب؛

وإذا الصّبايا ضحكن فذاك لأنهنّ قدّيسات ـ

قصِيدٌ سِياسِي

النّهوض في الرّابعة صباحا، وما أُغمضَتْ لي عين؛
مأخوذا بعزم بريشتي[1] لا يقاوم، وإذن،
لبستُ تبّاني الدّاخلي،
في الخارج، أناس!،
كانت السّاعة العاشرة ليلا، و، في الخارج
أيضا، العاشرة صباحا: أمّا هناك
امض، امض، أيّها الرّجل، امض، تعقّب إلهامك؛
التبّان الدّاخليّ، الجوربان
البدلة الدّاكنة، المنصوح بها من أمّ أو زوجة
وإذا كان منخراي سميكَين تحت الجبين العظمي
وإذا كان الشّعر يموج بشكل ردئ، فذاك لأنّي
كنت أتنفّس هواء البحر، هواء البحر!
عجيب. غدا، كنتُ أخمّن ـ الإلهام البرختي

---

(١) نسبة إلى برتولد بريشت/ انظر آخر الكتاب/.

دوما مضاعف ـ وكنتُ مأخوذا ـ

التّلفزيون

هناك، أوّاه أيّها العالم، حيث كانت السّاعة العاشرة صباحا

حيث طفل كان قد قُتل، وربّما ألف: لكن، إلى حدّ الآن،

ما كان فيه ما يشغلني

امض، أيّها الرّجل، امض: امض وبيّن كم أتعبك

لباس تبّانك الدّاخلي

هناك في الخارج، في البرد الجليدي،

حيث الحيوات المجهولة تعلم جيّدا لون الهواء الكابي؛

كانوا متجمّدين؛ ما ناموا

هو *ذا الإنسان! أنا هنا قلبا وقالبا.*

ما الذي تنتظرونه؟ وجهي ـ

إنّهم ما انتخبوا الأرفع منهم مقاما، بل واحدا يشبههم!

للمرّة الأولى في تاريخ الدّيمقراطيات

نعم، نعم؛ ولي سيماؤهم ذاتها:

التي لا تعبّر عن شيء عدا إرادة متواضعة، ولا تخفي

ثقلها البدني

ما أنا برجل السّلطة

ما رغبوا في اختيار رجل رفيع المستوى؛

بل جاهلا مثلهم وله سيماؤهم ـ ما الذي تنتظرونه؟

وجهي المعبّر، لا إراديا، وفي إفراط،
رجلا يتبوّل النّاس معه في المبولة
كما يتبوّلون مع شقيق لهم وإذن
ماذا ينتظر، هؤلاء المغفّلون، ليجهزوا علَي (أو على الأقلّ
ليتفلوا في وجهي)
نافذ هو الإلهام
إنّني أمثل فوق ذاتي مثلما الشّمس فوق القطيع
وإذا كانوا قد انتخبوا رئيسا
لأوّل مرّة، أعيدها، في تاريخ الدّيمقراطيات واحدا من بينهم،
فإنّ الصّحيح أيضا، باختصار،
هو أنّني دون الكثير من بينهم: ولهذا
يحتقرونني كما كلب هجين
نجهل أين يرمي قذراته: وكبورجوازيّ صغير

أنا ما وُلدتُ في المعرفة! كنت قادرا
وفي هدوء على البقاء خارجها كما آبائكم، قادرا أن أكون
أمريكيّا جيّدا ـ
ما الذي دفعني قبيل الفجر الذي يحمل الآن هنا ورقا
وسخا على سطوح أحواض الماء البارد وغير المضياف
إلى ارتداء تبّاني الدّاخلي
هناك حقيقة هائلة

وقلقها هو الذي أبقاني صاحيا، كما قدّيس. الحقيقة
إذن، نحن لا نقدر أن نقولها، وأنتم تعلمون هذا جيّدا
أيّها الأطفال.
ولهذا أنا أصمُتُ: وكلّ ما يأتي
على لساني إن هو إلاّ ثرثرة: الماء وسخ، أفهمكم،
كيف الحال أيّها الصّبيان، طقس جميل، لكنّه بارد،
نهاية الأمر، الخ.
هكذا الحقيقة عندما
بعمق نحسّ بها، تُبين عن ذاتها. وفوق ذلك
هي تحوي كلّ ما هو قابل للمعرفة،
كلّ ما هو طيّب: إنّهم
همُ، المتفوّقون الحقيقيّون[١]، هم الوحيدون
الذين بمقدورهم أن يتحدّثوا عنها... فهل سأقدر، أنا،
محام متواضع حصرته أمّه أو زوجته في ثياب داكنة،
إنّ مرحلة الهجوم الأخيرة ليست مرحلة الهجوم الأخيرة،
والحرب ليست الحرب،
وجنديّ ميّت ليس جنديّا ميّتا؛
هناك حقّا شيء آخر: أعني... هذه الحقيقة.

الحقيقة التي جعلتني أنهض كما *بابا*،

---

(١) مركز الاستخبارات الأمريكية؟/ بازوليني/.

وآتي إلى هنا مُرتعدا، كما آتي

إلى حملة انتخابية، لأنّه بعد ذلك

غدا جرائد وتلفزيون.

أُصدّق كلّ ما يقوله أسيادي، الذين ولدوا في المعرفة،

وأمثالي، الذين في نهاية الأمر انتخبوني كواحد منهم، وإذن،

أيّها الأغبياء،

ماذا تنتظرون كي تجهزوا علَيْ

أو أقلّها أن تتفلوا في وجهي؟

ولكن بما أنّني على غاية الغضب، فإنّ نيكسون

يبدو لنيكسون، حقيقة تذهل حقيقتي وحقيقتكم...

نحن في الجهل متماثلون، أنا وأنتم.

الآن في داخلي تتكلّم رأفة الحقيقة المرسومة بالحروف الصّغيرة

التي يمكن *أن تُروى*

وأنا الذي، هنا، جامدا كما الغبيّ أمامكم

(الماء وسخ، أفهمكم، أهلا، أيّها الصّبيان، طقس جميل

لكنّ البرد قارس قليلا)

أيّها الفتيان البائسون، المتكوّرون، أيّها الذين

لكم اعتبار لأنّ خلفكم العديد من أمثالكم،

أيّها الذين دون الجماعة تفنون؛

أيّها الذين ستسلكون دروبا تؤدّي إلى هناك

من حيث كنتُ رحلتُ؛ معتدّين بالعدد الكبير الذي يجعلكم

على حقّ والذي تعطونه الحقّ،
معتدّين بالثّياب الرثّة والأكياس التي تتكوّرون داخلها كمحترفين
لحماية أنفسكم من قسوة الليل الشّديدة؛
معتدّين أنّكم أسياد لهذا الضّياء الذي يخترق عمق السّماء،
ليعيد إليه اللون،
لون بلا قيمة يصير سماء صافية عتيقة
لأطيار الخطّاف الجائعة
معتدّين بالشّعور الذي تتقاسمونه في تذلّل؛
معتدّين بكونكم مواطنين عاديين شبّانا ومجهولين؛
ومتعلّقين أنتم أيضا، أنتمُ أيضا بحقيقة مرسومة بحروف كبيرة،
تجعل المرء قلقا، تجعله يقظا، لا تخرج من الحلق،
لا يمكن أن تقال. ضياء لا يَبين، هي،
كما ضياء هذه الشّمس في *واشنطون*، يوم *٧ ـ ٥ ـ ١٩٧٠*
وبالفعل أنتم أيضا تلجلجون
نحن كنّا نلجلج، أيّها الأطفال: نتكلّم في كلّ شيء
ولا نتكلّم البتّة، إذ أنّنا لا نتقن قول شيء آخر
وإذن جهل مقابل جهل؛ إذ لَو لَم يكن الأمر
على هذه الصّورة لكان كلامكم
قد علا في هذه الحديقة كما كلام نبيّ في الصّحراء
ولكنت وقعتُ على الأرض بكلّ جسمي الخدّاع جدّا، كما كلب،
على الأرض، فوق الفضلات وجليد المياه المصطنعة،

باكيا على الذين استُغلّوا وقُتلوا،
وناظرا للمرّة الأولى إلى كلّ أموات *الفيتنام*؛
لكنّني أعود إلى بيتي،
وأنتم غدا صباحا ستتكلّمون في التّلفزيون:
لغة أخرى غير الحقيقة أيضا لا يمكن أن تُقال
إذن، عليّ أن أغمزكم، نحن متواطئون
إذن، أيّها الأطفال البؤساء، المتزيّئون في صرامة
حسب أعرافكم، حافظوا على براءتكم
لأنّني أحافظ على براءتي؛ في نسيج داكن
على جسمي ضئيل القيمة
ليس خطؤكم إذا كنتم لا تتقنون الكلام كما الأنبياء الأفذاذ؛
ولن أقع على الأرض
لا يوجد مستغَلّون،
لا يوجد أموات؛
الفيتنامجرّد حلم، والواقع هو وجوب الصّراع
من أجل الأسباب التي يعرفونها؛ ومعرفتهم
هي الرّعاية الواقعة على العالم، بموجبها تاريخه
هو التّاريخ الوحيد الذي ليس له أبدا خيار حقيقي،
أبدا؛ لن تقدروا على مجابهته بغير الدّموع.

١١ ـ ٥ ـ ١٩٧٠

مُلخّصُ «لموجز» «قَصِيد سِياسِي»

الحقيقة التي لا نقوى على قولها نَحسٌ،

الحقيقة التي نقوى على قولها أبّهة: هكذا

تقول المراجع.

في العالم وحدها الحقائق الدّقيقة عن الوصف،

وحدها الجاري بها العمل[1]، وهي بالطّبع تُكتَب

بحرف حاء كبيرة؛ ولأنّ الحقيقة

لا يمكن أن تقال، ترانا نثرثر،

كيف الحال، طقس جميل، برد قارس، أعلم

أنّ هذي المياه الاصطناعية قذرة إلى حدّ.

الحقيقة بحرف حاء صغيرة، الأبّهة، تتأمّل

الحقيقتين المتقابلتين، اللتين تكتبان بحرف حاء كبيرة،

والممثّلين لهما، الذين يتكلّمون *إذن في أمر آخر*:

نكسون وجمع من *الطلاّب*.

---

(١) العالم النّحس/ الشّاعر/.

الوقت فجر، غير بعيد عن البيت الأبيض؛
نزل نكسون *مثلما البابا وسْط أعدائه*:
ولمَ ذلك؟ فلا هو، ولا واحد
من هؤلاء الأعداء كان يقوى على قول لفظة واحدة:
في كلّ شيء تكلّموا ولا شيء قالوا. ولكن
لنتّفق: إنّ الحقيقة التي تكتب
بالحروف الصّغيرة، التي تجرّمهم، ولحالهم ترأف[١]،

(١) هكذا ترك الشّاعر قصيدته متعمّدا عدم إنهائها./ المترجم/.

رِوايَة مُختلفةٌ

كلّ تعبيرة، من الرّأس حتّى القدمين،

مستقيمة، بما يتوجّب على امرأة من الخوف

وآمالها المشروعة؛

مترنّحة وحازمة،

مقدّرة للعواقب ومكشوفة حتّى البطن،

عصفورة قويّة الصّوت

كما صوت نسر ونسر مرتجّ ـ

حليفة هذي السّماء

جزء من كون وحيد ـ

منك تمضي المرأة

التي إلى الجحيم تنحدر

وفي نهار ممطر إلى القمر الجديد ـ

إنّها تترنّم بصوت كما فتاة متعطّشة

للتّقتيل دون إراقة للدّم ـ

فلترحل هذه المرأة، فلترحل إلى هذي الممالك

إنّ أمرها لا يعنيك

فهي ستجد هناك المرأة الأخرى، وإن أمكن فإنّها

سجدها أيضا أكثر نضجا،

ساحرة ملعونة، تنّينا يعيش في المختبرات،

وسنحسّ تجاهه

برعب وغيظ مشروعين ؛ غير أنّكِ بعد ذلك

إلى الأرض عائدة، وحاملة معكِ رائحة ما وراء القبر،

تغنّين ألحانا وضعها فيردي، وصارت من الدّم حمراء،

الذي تُعلّم تجربتُهُ (التي لا يقول عنها كلمة) العذوبة،

العذوبة الحقيقية.

كلّ هذا جيّد، *باريس ملآنة بتجربة هذه الأشياء*؛

وهذا أفضل إذ كان الأمر يعني فتاة ساذجة أصبحت ملِكة؛

جيّد، وهذا له أهمّيته إلى حدّ ما، وبالنّسبة إلى النّفوس

المطهرية؛ فإنّ المهمّ هو، الأب، نعم، هو:

إنّه شخص لا يعرفه

لا يعرف عنه شيئا، أبدا ما رآه،

أبدا ما كلّمه، أبدا ما استمع إليه،

أبدا ما أحبّه، لا يعرف من يكون، لا يعرف إن كان يوجد،

لا يعرف روايته ـ

أنتِ، إذ تبتسمين لي، فإنّكِ إليه تبتسمين!

لكنّني أبدا ما استطعتُ أن أكون هو، لأنّني لا أعرفه،

أقسم لكِ يا ماريا، أنّني لا أمتلك في ذلك أدنى تجربة؛
وهذا عندكِ جدّ عادي!
إنّ الأحكام المتجنّية عليه
هي شرعا مفكّكة؛ إنّ لأمْثَلَتِهِ أشكالا مباركة
حتّى إذا بانت لكِ شخصيةً
وقادرة في الممارسة على جعلكِ تألمين ؛
لا بدّ أنّه راشد، هذا بديهي، وأنتِ
تلامسين منه الرّجل النّاضج بالعين أو بالخيال؛
ولكن ما الذي يعنيه هذا كلّه؟
أي نعم، إنّهم أشقّاؤك الذين يشترطونه،

الذين يمسكون بكِ هنا، والصّدر منتصبا،
أو منطويا بفعل عذاب النّغم الذي تنشدينه
قبالة سماء باريسية يجليها من كان يعرفها
ورحل مع هذه المعرفة، مرهقا بالحقيقة ـ
بالنّسبة إليّ يظلّ هذا الفراغ للكون موجودا إلى الأبد
موجودا إلى الأبد وجسمي يظلّ منجذبا
بالامتلاء حيث الموت قد صار بعدُ الحاكم
(مع أغاني الفقراء والأجراس)
غريبة عنّي المدينة؛ أراها
على الفراغ ترتفع؛

كان قدركِ مختلفا

ومجرورة من قبله، من يدكِ، جعلتِها مدينتكِ؛

لا شيء يفصلكِ عنها، أيّتها الطّفلة الهائلة.

المَلكُ الذي لا يَرغَبُ أن يَكون لهُ صَديق

جذعُكِ

وحده خلف البيانو؛ وعينُكِ

التي تنظر باتّجاه الخارج أو تنظر أسفل

كما لو أنّها تنظر

في دلالة تقليدية عن الشّقاء

ما الذي تكشفين عنه للماء الذي ينساب،

للسّماء التي تنتظر

رُبعَ القمر الأخير،

تجربةَ شيهم، تجربة نبتة الزّعرور[١]، تجربة دابّة،

عينها غمصاء، تنهض أحيانا وتنتصب. إنّها تنتظر؛

والنّبتة في الرّياح الباردة

تتحرّك. في هذه النّظرة يكمن المعنى

أو في هذه الهمسة؛ وإنّها ذكرى

---

(١) الأمر يعني المؤلّف/ بازوليني/.

حقيقية ـ لكنّكِ، وأنتِ تغنّين
أمام رؤوس الشّجر المحجوبة بالضّباب الدّاكن،
أنتِ عالمة بشيء آخر، وجنون أنّك لا تعلمين
أنّ غيرك جاهل بما تعلمين
في الأمر قصّة نسوة
في رؤية هاتين العينين المضطرمتين
اللتين لا تحتملان البقاء راسختين
في الضّياء الذي، لأجل غيركِ، يغمر العالم؛
والذي يخفضهما له على غذائه العشبي؛
في قصّة النّسوة هذه، أنتِ،
من فرط قوّتكِ،
أرسلتِ إلى الجحيم بالمرأة الأكبر
التي كانت تستحقّه جيّدا،
وكما كان مسطّرا في السّماء
وموصوفا من قِبل البشر، احتفظتِ به لذاتك؛
لكنّ «زمن العشب انقضى
بالنّسبة إليه: الآن يبدأ زمن العَلَفِ»[1].
جنونكِ أنّك لم تفهمي (غاضبة من السّماء
حيث تحدث القصص المقدّسة)

---

(١) البيت لشوسر/ بازوليني/.

كم يمكن أن يكون العلف محتقرا، ويا له
من موضوع ردئ داخليّ بالنّسبة إلى ذات رديئة!
أو، لكِ تجربة «الملِك الذي لا يرغب أن يكون له صديق[1]»؛
أنتِ لا ترعين فوق المياه المتوحّلة
ولست نبتة الزّعرور المخذول! فكيف أمكنكِ
نيل كلّ هذي العذوبة؟
عذوبة من يعلم حقّا من هو العدو ـ
كان قريبا منكِ في العالم الحقيقي
وسيّان إن منعتكِ المرأة الأخرى، امرأة الجحيم،
وهي ترسل إليك باللعنات
وببرقيات السّحر المؤذية، من رؤية أقسام المدينة
حيث السّلطة مبدأ، وجعلتكِ
تتحسّرين من السّأم
من فكرة صراع الطّبقات ـ
واقع هو الهذيان ـ ضائعة أنتِ في مرتعكِ
ترفعين العينين وتجابهين الرّؤية دون خوف.

(١) البيت لشوسر/ بازوليني/.

احتِجاجٌ (مُلاحَظات)

لا يمكن التّعبير عنه بالكلمات،

الاحتجاج، وإنّما بالصّرخات، نعم،

وأيضا بالرّايات الصّغيرة؛ أو بالأغنيات؛

جاؤوا يعيدون صنع العالم

وفي احتجاجهم، يعلنون أنّهم أهل لذاك

البأس في الرّجولة، كما في ما مضى

لكن الرقّة كفّت أن تكون

مهما كان الذي من أجله احتجّوا

فلا شيء غير البأس يظهر

حتّى بأس الذين للهزيمة قد نُذروا[1]

كلّ ما يمكن أن نعنيه بالكلمات

إن هو إلاّ بأس خالص ـ لكن

---

(١) من هناك، اعتداديتهم الخاصّة والمؤثّرة/ بازوليني/.

كم من البراءة في حقيقة كوننا لا نعرفه!

وكم وجبَ أن نكون شبّانا لكي نصدّقه!

ولأنّ الحرّية في تنافر مع الإنسان

ولأنّ الإنسان في الواقع لا يرغب فيها مُخمّنا أنّها ليست له،

فكم من الواجبات ابتدعتُ مع التّقدّم في العمر

حتّى لا أكون حرّا!

جيّد، غير أنّ الأكثر

سذاجة من غيرهم، والأكثر جهلا، والأكثر فتوّة،

يبتدعون لأنفسهم منها المزيد

وأكثر، فإنّ أوّل ما يقومون به، إذ يولدون، أنّهم

يتهيّأون لذلك؛

بازدهاء

مُوهمين أنفسهم والآخرين بأنّ الأمر يعني

واجبات ضروريّة لحرّية جديدة.

الواقع أنّ فتى واقعا من العدم، وجديدا تماما،

هو، إن صحّ القول مصنوع ليحتمي من الحرّية الحقيقيّة[١]

إنّه خصوصا فتى يعرف واجباته ويسلّم بها؛

ويُظهر بأس القبول بها،

تَملّقٌ رائع للبشر.

---

(١) التي قد تعيده، ربّما، إلى العدم/ بازوليني/.

عبر الطّاعة، تولد النّعمة دوما من جديد
ويحدث، يحدث... أن نذعن
لواجبات الثّورة، في فعل التّظاهر

مهما كانت بُنية شبكة الواجبات لرجل مُسنّ كثيفة
فإنّ شيئا ما في ذاتها قد تمزّق
وألمحُ فعلا وجه الحرّية الذي لا يطاق؛

وإذ لم يبق لي أيّ بأس أو رعاية حاولتُ عندئذ
أن أقاوم مبتسما، تماما كما العُجّز الذين يعلمون الكثير ـ
لكنّ الحرّية أقوى: إنّها تريد أن تُعاش وإن لوقت قصير ـ
إنّها قيمة تهدّم أيّة قيمة أخرى
لأنّ كلّ قيمة إن هي إلاّ دفاع موجّه ضدّها؛

إنّ البسطاء هم الذين، حقّا، يحسّون بالقيم:
الشبّان
(فيهم، دون غيرهم، على الأصحّ، تكون الطّاعة نعمة)؛
على كتائبهم يعوّل القُوّاد كي يتقدّموا،
على كتائبهم المخلصة والبريئة ـ أيّتها البساطة
أيّتها الفتوّة، أيّتها الصّورتان عن الطّبيعة، إنّه
فيكما الحرّية أُنكِرت

عبر سلسلة لا تنتهي من الواجبات،

الواجبات البريئة

والمخلصة التي، في احتجاجنا نصرخ

بصوت متوعّد طاعتها

إذ أنّ البسطاء والشبّان ذوو بأس[1] وهم بعدُ لا يعلمون

أنّهم على تحمّل الحرّية لا يقدرون.

١٩ نيسان ١٩٧٠

(أفريل عذب الرّقاد)

---

(١) حتّى وإن كانوا قلّة، مع أنّهم كثرة/ بازوليني/.

اسْتِعادَة

لقد رغبت أحاسيسنا في الحبّ الذي لا يعني شيئا آخر غير النّسيان والتخفّي؛

كلّ شيء تحوّل وفق هذي الرّيح ؛

الحاجةُ إلى الحبّ

عرفت ذاتها في المتعة المتعذّر بيانها

وفي العجز الذي كانت تقدّمه مُتعة هذي الرّيح التي كانت

مجهولة المصدر، مجهولة الغاية ؛

لقد بدا أنّه لا شيء آخر كان يوجد في العالم؛

أبدا ما أردنا القبول بأنّها كانت تعلّة، تلك اللطافة النّظرة

في تخفّ، الربّانية في تقلّب، المثبتة

منذ الأزل وإلى الأبد بيقين منتصر،

المنتشرة كما روح بألف شكل غامض باتّجاه عمق البحر الإيجي؛

ما أردنا القبول بها وما كان الأمر كذلك؛

كلّ الحاجة في أن نكون غيرنا

وأن ننتشر بإخلاص

حيث كان يمكن للإنجاز أن يَهزم حتّى الموت ـ

هذا الموت الذي كانت الرّيح فيه تعني أكثر من أيّ شيء آخر

الاستسلام تجاه المستحيل؛

الخيبة اللامتناهية والبائسة؛

القضاء المهين ؛

كلّ شيء كان ينقذف في الرّيح التي كانت تمرّ

كما خاتم لا يجمع ولا يفصل في هذه الجزر اليباب.

الحُضورُ

كان سماويّا هذا الذي قد ضاع

والرّوح العليلة كانت طاهرة.

كان العدم ريحا في تخفّ تبدّل وجهتها،

ولكن، على الدّوام، واعية جدّا بغاياتها.

في العدم الذي كان في حركة

الموحى إليه من فوق

والقلّب من أسفل كما جدول

كان المهمّ على الدّوام حكاية

هي بعدُ من إحدى الوجوه قد بدأت

وكان عليها أن تتواصل: حكايتكِ.

من الذي كان هناك يطلبني؟

مأساة المثول كانت تعاد كلّ صباح، خلف الشّرفات

المغلقة أوّلا

والتي بعد ذلك تفتح كما في كنيسة.

أن تكون الرّيح الربّانية قد عصفت سُدى

أو فقط لأجل الشّهود ـ
ثمّ العادات، هؤلاء الشّقيقات للمأساة ـ
البحر وريحه يجليان مدائحنا الأكثر تأجّجا ـ
فإنّ *هذا المندهش كان* يلاقي
عوائق مرعبة كان عليه أن يقهرها،
وكلّ انتصار كان نصرا هزيلا،
وكان عليكِ أن تبتدئي في الحال
كما نبتة على الدّوام تحتاج ماء.
ورغم ذلك فأنا، لستُ شقيقكِ يا ماريا
أنا أؤدّي وظائف أُخرى، وظائف أجهلها؛
هي غير وظيفة الأخوّة،
على أيّ حال، غير وظيفة الأخوّة المواطئة
القريبة جدّا إلى الطّاعة ولاشعور الرّجال البطولي،
الذين هم أشقّاؤكِ رغم ذلك، لا أشقّائي.
وأنتِ، مذعورة من فكرة أن تكفّي عن الوجود،
بهذا أنتِ عليمة أيضا،
وتتدبّرين أمركِ كي تستغلّي كَونَكِ أُمّا.
تسمحين للطّفلة أن تكون مَلِكَة
أن تفتح النّوافذ وأن تغلقها كما في احتفال مهيب
من قِبل الضّيوف، وخدم البيت، والمتفرّجين من بعيد.
ومع ذلك، يكفي

ألاّ ننشغل بهذه الفتاة لحظة واحدة،

لكي تحسّ أنّها ضائعة إلى الأبد ؛

لا في جزر ثابتة ولكن

في الرّعب من أنّك لن تكوني، الرّيح تمضي

الرّيح الربّانية التي لا تُبرئ،

بل تجعل المرء عليلا كثيرا فأكثر؛

وأنتِ تجهدين في إيقافها،

هي التي كانت تبتغي العودة أدراجها،

لا يوجد يوم، ولا ساعة، ولا لحظة يمكن فيها

لهذا الجهد اليائس أن ينقطع ؛ تتعلّقين بأيّ شيء قادر

على إثارة الرّغبة في تقبيلكِ.

٢٣ ـ ٨ ـ ١٩٧٠

أشعارٌ لَم يَسبِق نَشرُها

(١٩٥٠ ـ ١٩٥١)

[I]

بينما تتشكّل في سكون الحدائق المحترقة
بالشّمس البليلة، في السّماء النديّة
فوق سطح الدّائرة،
صورة قدري الجديد، والشّنيع، والحادّ،
ما الذي أفعله، أنا،
كي لا أستحقّه، كي أكون محميّا،
على الأقلّ في قلبي،
من الشرّ الذي خطّه العالم لي؟
لا أقدر إلاّ أن أرتجف:
وأرتجف، من أعمق أحشائي، أنا المقصي
من طرف العالم الذي لا أقدر أن أكرهه
ولا أن أحبّه، الذي بات آخر الأمر ظلاّ
رائعا، خياليا ـ غير قادر
من الآن إلاّ على محقي،
وأيضا على تعيين حياتي بحياته. ملوّث ولعلّه

بعدُ ما ضاع في طُهري الذي لا عمر له،

وإذن فالعالم لا يعرف إلاّ أن يعاقبني، وأنا،

لا أقدر إلاّ أن أرتجف.

[II]

دون أسباب عديدة تدفعني

إلى مقاومة الذّات في الأرق، كان نومي

أرقا في الحلم. مع طلوع الصّباح

يتغلّف وجهي داخل المرآة الكامدة،

وجهي المنزوف، بسحنة المسلول.

أرتجف... كما حيوان أُطرد من عرينه،

أجهل أين آوي إذا كان العالم يقدر أن يدركني

حتّى في أعماق قلبي. هبة،

أعلم، لكي أصير طينا... ولكن لماذا

قبل أن أضيع؟ لماذا بريئ بلا شفاء؟

عليّ أن أدفع ثمن الأشياء جميعها، بلا شفقة،

أنا بالذّات، أنا الذي لا أجلب

إلى الوعي الصّاحي عدا وجود غامض،

أنا الذي غرّا أضيع في أخطاء

أبدا لا أقدر على الإيمان بها،

أنا الذي أهمل العالمَ رغم أنّي أعلم
كيف أستخلص منه الرّغبات... إنّه ثأرٌ
هذا الذي يهبني الموت، الذي هو عندي أبدي.

[III]

ضمير طاهر يعطي الحياة

للأخطاء التي يمكن أن يقوم بها امرُؤٌ

ما صار بعدُ إنسانا ـ وإذن

محكوم عليه بالبراءة: هذا كلّ ما يمكنني

نيله في طفولتي ممّا هو إنساني...

إنّه يكفّر في تجارب عديمة الرّأفة والجدوى

عن عدم خبرته، المرء الذي يظلّ فيها ملوّثا.

[IV]

الاختلاف الذي صيّرني

مُدهشا بالنّسبة للآخرين

وبألوان قانطة طلَى

حياة هي ليست لي، يصيّرني

أيضا غير حسّاس تجاه الغرائز المشتركة،

و غريبا عن الوظيفة

التي تجعل النّاس عبيدا وأحرارا.

ميّت أيضا

الرّجاء الأليم للعود إليه،

أنا فقط، عبره، ضمير.

أمّا والعالم كفّ عندي أن يكون ضرورة،

فأنا ذاتي بتُّ غير ضروري.

[V]

كلّ يوم هو الأخير

في حيرة الجوّ الصّباحي،

الخانق، في الأصوات الغضّة:

وما نفع أنّك واضح داخل ذاتك

كي تكابد ذلك

على امتداد أوقاتك

إذا أوان الحياة على الدّوام كان الأخير؟

لعلّنا أفرطنا

في مكابدة هذا الأوان

وكذلك في استنفاذه:

لهذا أعيش في أعجوبة رؤيته

كاملا بعدُ.

لا يوجد من يُتقن أفضل منّي

تذوّقه بذاك الهدوء

الطّفولي والأنثوي، ولكن لا أحد

يحسّ أكثر منّي

بذاك السّرور الطّاهر الشّبيه بالحرمات.

[VI]

باتّجاه السّنوات

دائرا كان القمر،

وبقلب بعدُ ما هزّته عاطفة،

كان يرسل بالأضواء أكثر من زجاج النّوافذ،

في عميق الصّمت، كأنّ صمته من تألّمه

لرؤيتي منهزما، وكان في بطء شديد

يتابع السّير في الطّرقات العتيقة.

فما بالك، بزجاج بعض النّوافذ

مُضيئا على الأرض مُلقى به، وبعض الدّروب

والرّيح قد كسحت ترابها العاري.

ولكن في السّماء تكوّم، كما لو أنّ كلّ الأرض ـ

لأنّي مُتعب ـ كما لو أنّ كلّ الأرض متعبة

مستاءة، ولكن في السّماء تكوّم

ذاك الضّياء الهائل، ومن تلقائه

كان الفضاء مكتسحا، وكذلك أصقاعنا؛

فإذا كان إصداءٌ،

إذا كان انعكاس بائس مازال حيّا

فلكي يقول إنّ القمر استدار إلى حيث الحياة منعدمة.

[VII]

بعدُ مضطرمة،

الشّمس الطّالعة

تدفّئ ورق الحائط، والغبار ـ وتغمد النّبتات

بجهر هادئ ومتّقد. إنّها تفيق

في الضّياء الذي وهو يلغي الأخضر،

يهبها صورة أخرى في الجلاء العنيف،

في السّكون الدّافئ الذي يتقدّم الجوّ الخانق والعتيق ـ

وهذا الضّياء الذي يكسوها يبدو كأنّه وجودها ذاته،

حياة مماثلة لحياة البشر، ولكن

كم هي أسعدُ في انتشائها الشّمسيّ النّظِرِ.

أنتظر أن تتكلّم النّبتات ـ المأخوذة

بالبسمة العميقة الفائحة

من الأرض المهمومة إلى الشّمس المهمومة ـ

أنتظر، أنا الجاهل بالكلام، والمختنق واليقظ بالكاد،

بسبب الكثير من الضّياء

والمشاعر المستعارة من الذّهب

الذي هو حياة أصيلة لدى الشّجر،

ذهبٌ، ونضارة، يعبّئان جسمي فرَحا.

وكلّ هذا، إن هو إلاّ

ظلّ اللطافة الجسدية.

[VIII]

أستيقظ والأهداب ملتهبة.
الطّفولة تذبلُ
تحت اللحية الطّالعة خلال الرّقاد،
وتحت جسمي الهزيل، وتُنقّب
مع الضّياء الضّبابي في عينيّ الهالكتين.
هكذا أنتهي في الحريق المعتم لفتوّة
حائدة عن الأزلية؛ هكذا أضطرم،
وغير مُجد أن نكون ـ إذا فكّرنا في الأمر ـ
على غرار آخر، أن نفرض
على الفوضى حدودا: هكذا يسحبني
في غلظة تزداد يوما بعد يوم، بوجه ناشف
في سحنته الطّفولية،
نحو عالم هادئ ومجنون، ثِقلُ
أيّامي التّائهة
في ساعات من البهجة بكماء،
في لحظات من الرّعب خرساء...

[IX]

كما اختلاج الفكرة في الوميض،
فجأة، أرى النّاس
كما همُ. قذرين، وبلهاء، وعاجزين
عن الخروج من ذوبانهم في العالم، عالمهم،
الذي همُ الأحياء داخله... أنا الذي
رأيتُهم، وأنا أُولد، بعدُ قد وُلدوا، أبدا،
ما كنتُ أقدر، مثلما في الحلم، أن أصدّق أنّهم
على مثل هذا الحبور
في عالم، فيه يكتمل النّضج عندهم،
وعلى مثل هذا الارتياح لصدمة الزّمن
حيث يبدو أنّهم ضاعوا؛
وأظلّ كمن صُعق
مِن علمي بأنّني على مثل هذي الشّهرة والاختلاف
وسط جنس خفيّ، فيه، لا في داخلي، يقيم الإنساني.

[X]

شيء ما، كان في الوقت ذاته ألَمًا

وسرورا أصاب شعوري، وكنت مازلت طفلا،

وشوّش كلَّ نظام. ولكن إذا كان وضعي الأليم

يتيه في الحركة

حيث تتيه، قبل الولادة، داخل الحواس، بعد الموت،

وحدانية الكائن، فأيّ وضع يقدر أن يقاوم؟

أرى أنّ وضع الإنسان يمثلُ

على لحاء العالم

لحاء هو عندي، أنا الرّجل الذي،

صار وحده الواقع، مكوّن

من بضعة أغبرة خسيسة: من نفع مطلق،

أكثر بؤسا من الذي للحيوان، هذا الوضع للإنسان

الذي، وهو يجعل

من اللحاء أداته في الدّفاع ضدّ الكوسموس،

فإنّه قد تعلّق بالعالم

ومدنه وأشيائه ولا واعيا أبدع العالم.

[XI]

كنت أركض في الغروب المُوحل،

خلف سلالم مكسورة، وإسقالات خرساء،

عبر شوارع تكسوها المياه،

في رائحة الحديد، وأسمال مدفّأة كانت،

من داخل قشرة من غبار، وسط بيوت التّنك المتداعية

وأنابيب التّصريف، ترفع حيطانا حديثة بعدُ مُقشّرة،

على أرضية عاصمة كابية.

على الإسفلت المُشقّق،

وسط ذرارات عشبة لاذعة من التّفايات

والسّاحات المسودّة بالوحل ـ التي كانت الأمطار

تحفرها في فتور ردئ ـ

كانت أسراب الدرّاجين المتماسكة، وشاحنات الخشب الصارّ،

تضيع من وقت لآخر، في قلب الضّواحي

حيث كانت تبين من مسافة بضع حانات

دوائر من الضّياء الفضّي،

وتحت جدار كنيسة صقيل

كان شبّان، فاسقون، على الأرض منطرحين.

ناطحات السّحاب

الشّعبية، التي بعدُ قد هرمت، والحدائق العفنة

والمصانع المنتفشة بأطيار الكركيّ الثّابتة

كانت تركد في صمت محموم؛

ولكن على بعد أمتار من المركز

حيث الأضواء كانت مجدّدا قرب هذا السّكون تشتعلُ،

كان شارع أزرق إسفلتيّ يبدو غارقا تماما في حياة

عديمة الذّاكرة وكثيفة بمثل ما هي عتيقة.

كان نور الأضواء الثّاقب، برغم ندرته، يلتمع،

والنّوافذ التي بعدُ مفتوحة كانت

في بياض الغسيل المنشور، خافقة بأصوات

من الدّاخل. وعند العتبات

عجائز كنّ يجلسن، ومترعين نضارة

في ثياب العمل الزّرقاء أو في السّراويل القصيرة

في هيئة الأعراس، كان صبية يتمازحون،

ويقبّلون رفيقات لهم أكبر منهمُ سنّا.

كلّ شيء كان من خالص الطّيبة

في هذا الشّارع،

وكان النّاس يقفون مأخوذين بلهفة

من أُطر الأبواب حتّى الرّصيف،
بثيابهم الرثّة، وأنوارهم...

كان يبدو أنّ الإنسان،
وحتّى في عمق مسكنه الحميمي والبائس،
كان يقيم مؤقّتا، كما جنس آخر، وأنّ وضعه،
في تعلّقه بهذه الحارة، حارته،
في هذا الغروب الشّحمي والمعفّر،
ما كان وضعا، بل محطّة غامضة.

وأنّ الذي كان يعبر هذي الطّريق،
مسلوبا من الضّرورة السّاذجة،
ضائعا بفعل العهود المسيحية التي ضاعت
داخل هؤلاء البشر، ما كان إلاّ غريبا.

قصائدُ قصِيرَةٌ لَيليّةٌ

(١٩٥٢ - ١٩٥٣)



[I]

لا عمق له، هذا الفراغ

الذي يفتحه الفصل الجديد،

الخاضع للقوّة المجهولة

التي تنهك العقل،

حين يطلق غرائز حيوانية

مثارة في الفضاءات الجديدة.

ولمّا كنّا نشعر أنّنا على شيء

من الضّرورة، شبيهين بالمشبعين،

فقد كفانا هذا الصّدر من الدّفء

كي تبدو لنا

عديمة الفائدة كلّ علامة

عن وجودنا الذي هو بعدُ

مجهول؛ وقصيّ هو

الزّمن الإنسانيّ الحقيقي.

[II]

إنّه يتّسع

إلى ما لا نهاية له

في ظلام ليلة السّبت

التَّخمُ الذي داخله

كان حضورنا المُتلَفُ

طيّبا: في السّكون

سكون آخر،

وصدى الكوسموس

في صدى الطّريق المحتضر.

متفاقمة بإفراط

إحدى إيماءاتي تنتشر

إلى حيث الإله

تخفّى: ومذّاك رعبٌ

هائل يحتلّ قلبي.

[III]

إذ يكون العيش أكثر قسوة

فهل تكون الحياة كاملة أكثر؟

على الضّفاف المسائية،

ضفاف إحساساتي البكماء، أبكمٌ

هو العقل العتيق

الذي أتعرّف داخله على ذاتي:

طواف داخليّ هو

نَبتُ حراجٍ ضيّق الأنفاس

حيث كلّ شيء طبيعة.

أيّها العمل المضني

أيّها الذي أنت من جوهر غامض

وحدك أنت الذي لا بدّ منه...

وتحملني على مهل

أبعد من تخوم البشر.

[IV]

رقّة غامضة

لشخص عديم الإفادة

من الآن وحتّى الأبد،

طهارة القلب الملوّث...

أحاسيسه مخرّمة

بعد منتصف الليل،

حين إلى غرفتها

تعود صامتة، الفاجرة...

ثمّة ريح

هي فعلا من الحياة

الباطنيّة، أبدا

لا تقع، ورتيبة

تُبادل المشاعر: الآن،

سعيد هو مَن علمَ

(عديم الإفادة، وأيضا،

كما فاجرة

أعود من نزهة

بائسة) لَم أحترق

في روعة بالحياة: طريدة لقوى

تارة حيّة وطورا ميّتة...

الخاتمة

إلَى قارئ لا مُتنبِّهٍ

[I]

إنّ آخر مجموعة شعريّة سلّمتها للنّشر كانت «*أشعار على شاكلة الوردة*»، (١٩٦٤). ستّة أعوام مضت. خلال هذه الفترة، أخرجت عددا مهمّا من الأفلام (*إنجيل متّى* الذي كنت أيّامها في طور إنجازه عند نشر *أشعار على شاكلة الوردة*، ثمّ *طيور كبيرة وأخرى صغيرة*، *وأوديب ملكا*، *ونظريّة*، *وزريبة الخنازير*، *وميديا*): كلّ هذه الأفلام أخرجتها «كشاعر[1]». ولا يبدو لي أنّ الظّرف ملائم لأقوم هنا بتحليل ينصبّ على «الإحساس الشّعري» الذي تثيره بعض اللقطات في أفلامي، وبعض المقاطع في مجموعاتي الشّعرية. إنّ محاولة تحديد معادلة من هذا النّوع أبدا ما أُنجزت، إلاّ بطريقة جدّا غائمة، وبالاستناد إلى المضامين. ومع ذلك فالرّأي عندي أنّه لا يمكن إنكار *أنّ طريقة ما في الإحساس بشيء ما توجد متماثلة مع ذاتها* أمام بعض المقاطع من أشعاري وبعض اللقطات من أفلامي.

---

(١) أعتمد هذه التّعبيرة في دلالتها «التّقنية» الصّرفة/ بازوليني/.

ومع ذلك، فأنا ماقتصرت، منذ عام ١٩٦٤، على كتابة الشّعر بواسطة السّينما: إنّ الفترة التي انقطعتُ فيها تماما عن كتابة القصيدة ما جاوزت العام أو العامين (وكنت خلالها متواصلا في كتابة أشياء أخرى ظلّت غير منشورة أو غير مكتملة): في عام ١٩٦٥ كان عليّ أن أُلازم غرفتي، مريضا، وخلال فترة النّقاهة عدتُ إلى عملي؛ ـ ولعلّ السّبب في ذلك أنّني عدتُ، أيّامها، إلى قراءة *أفلاطون*، بمتعة لا أقدر على وصفها ـ

وشرعتُ أكتب للمسرح: ستّ تراجيديات شعرية، أبدا ما انقطعتُ عن الاشتغال عليها طيلة السّنوات الخمس الأخيرة ـ كنت أحيانا أعود إليها بعد هجرها لعام كامل، أو ربّما أكثر ـ وهي ستظهر قريبا تحت عنوان *كالديروني*.

وبالطّبع، كنت، خلال كامل تلك الفترة، غير قادر على كتابة القصيدة إلاّ ناسبا إيّاها إلى شخصيات معيّنة، كانت بتعبير ما تنوب عنّي.

ولكن بداية من قصائد المناسبات، أو حتّى من القصائد التي كتبتها حسب الطّلب ـ بعد مشروع كتابة أُولى كان الأجدر أن يُمهل ـ «الحزب الشّيوعيّ الإيطالي. إلى الشّباب!» ـ أنجزتُها في الأيّام الأُولى من شهر آذار ١٩٦٨، والتي نَشرَتها بعد ذلك بأيّام قليلة، وبمكر، دون علمي، مجلّة ـ في خريف ذلك العام «عدتُ» ناظم أشعار بالمعنى السّائد للكلمة: وهكذا أنهيتُ مجموعة شعرية جديدة، *تعضية الإنسان وتربيته*، التي ستصدر قريبا جدّا بطلب من النّاشر ذاته الذي يطلب منّي الآن أن أكتب هذا التّقديم لأشعاري «القديمة».

سريعا تمضي الأعوام السّتّة: ولكن إذا ما تذكّرنا أنّ أُولَى المجموعات التي تُكوّن هذه الأنطولوجيا كانت نُشرت في شهر حزيران عام ١٩٥٧ (وأنّ قصيدة *رماد غرامشي*، التي تحمل الأنطولوجيا عنوانها، مؤرّخة بشهر أيّار ١٩٥٤)، وإذن فمسافة الأعوام السّتّة تصبح المسافة التي تتنزّل فيها مرحلة

أدبية وشعرية كاملة (حتّى لو كانت معيشة جزئية، مع الأشعار الأخيرة، في كيفية الانتقال).

سأتكلّم إذن كما لو كنت أتوجّه بالكلام إلى قارئ لا متنبّه. وإنّني لا أعرف، ولا أرغب أن أوفّر له أكثر من بعض الإشارات.

لم أبدأ كتابة القصيدة بنظم *رماد غرامشي*: بدأتُ قبل ذلك بفترة طويلة، وبأكثر دقّة عام ١٩٢٩، في بلدة *ساتشيلي*، وكنت حينها أُدرك السّابعة من عمري، وكنت مسجّلا بالسّنة الثّانية ابتدائي.

كانت أمّي هي التي كشفت لي كيف يَكون الشّعر مكتوبا بصورة ملموسة، لا مُستظهَرا في المدرسة وحسب («الهواء من زجاج...»). ذات يوم، ودون سبب واضح، قرأت عليّ أمّي *سوناتة*[1] كانت كتبتها بنفسها وقالت فيها حبّها لي (ولا أعرف تبعا لأيّة ضرورة على مستوى القافية كانت هذه السّوناتة تنتهي بالكلمات التالية «بالحبّ، أرايتَ، اغتضتُ جدّا جدّا»).

بعد أيّام قليلة كتبتُ أُولى قصائدي: كان الحديث يجري عن «عندليب» وعن «إيراق». وأظنّ أنّني ما كنت أميّز بين عندليب وبرقش، ولا بين شجرة الحور وشجرة البقّ: وفضلا عن ذلك كانت هناك المدرسة (تحت توجيه معلّمتي، *أدا كوستيللا*، من منطقة *توسكانا*، في ذلك الدّرس الذي لا يُنسى، درسُ السّنة الثّانية ابتدائي)، ما كان علينا طبعا أن نقرأ *بترارك*. وإذن لا أعلم أين أمكنني حفظ الأصول كاملة، أصول الكلاسيكيّة والاصطفائيّة والانتقائية اللغوية. والحقيقة أنّني دون أن أعطي أيّ اعتبار لهذا *الفم النّاطق* من دفق *القلب*، أمّي، بدأتُ «انتقائيّا» و«منتخبا» في صرامة.

صرتُ مذّاك أكتب منتخبات شعرية حقيقية: في الثّالثة عشرة من عمري

---

(١) قصيدة إيقاعية من أربعة عشر بيتا/ المنهل/.

كنت شاعر ملحميا (من *الإلياذة إلى اللوزيات* ـ *Les Lusiades* وما أهملتُ التّراجيديا الشّعرية، وما تحاشيت، مع قدوم المراهقة، اللقاء الذي لا بدّ منه مع *كاردوتشي*، و*باسكولي*، و*دانّوتزيو*في مرحلة بدأتْ في مدينة *سكانديانو*التي كنت أتنقّل بينها وبين مدينة ريجيو *إميليا*لمتابعة دروس المرحلة التّحضيرية ـ وانتهتْ في مدينة *بولونيا*، عام ١٩٣٧، في معهد *غالفاني*: في تلك السّنة، قرأ علينا معلّم مساعد ـ *أنطونيو رينالدي*في القسم قصيدة لأرتور *رامبو*.

من عام ١٩٣٧ إلى عام ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣، عشت مرحلة الهرمسيّة، طالبا، بالجامعة، تحت إدارة *لونغي*، ومرتبطا بعلاقات أدبيّة بسيطة مع الشبّان الذين هم في سنّي والذين كانوا منشغلين بهذه الأشياء: ومن بينهم أذكر *فرنشسكو ليونيتي* و*روبرتو روفرسي*؛ وعلى الرّغم من كوننا بؤساء ومنحرفين، أو على الأقلّ، غير مطّلعين على اقتضاءات الوسط المثالية... فحقيقةٌ أنّ الفاشية بالنّسبة إليّ ما عادت «مسلّم بها» منذ ذلك اليوم من عام ١٩٣٧ الذي اكتشفت فيه أشعار *رامبو*؛ ولكن مذّاك كفّت مناهضتي للفاشية عن أن تكون ثقافية صرفة: نعم، وذاك لأنّني كنت أحسّ بالألم في حياتي، الخاصّة.

في ذلك الخريف التجأنا إلى بلدة *كازرسا*، ولقد كان عام ١٩٤٣ من أجمل أعوام عمري: «*شبابي، عشرون عاما بأرض قشتالة*[١]!» كنت أواصل كتابة الأشعار بالفريولية، لكنّني شرعت في كتابتها أيضا بالإيطالية. إنّ الفريولية[٢] في أشعاري كانت تلك التي بات النّاس يتكلّمونها في *كازرسا*(لا تلك التي ابتدعها قاموس *بيرونا*)؛ بينما الإيطالية، بسبب كونها منسوخة عن اللهجة العامية، كانت قد أخذت سمة رومانية وساذجة.

---

(١) أنطونيو ماشّادو/ بازوليني/.

(٢) اللهجة المحكية التي يتكلّم بها سكّان منطقة فريولي (شمال إيطاليا الشّرقي)/ المترجم/.

إنّ اللغة الإيطالية الأدبية ـ هذه اللاتينية، التي، كانت، في تلك السّنوات، من خلال الهرمسيين، ممثّلة خاصّة *بليوباردي*، كانت مع ذلك لا تزال تفرض عليّ تقليدها الاصطفائي والانتقائي، الذي لا يمكن الإفلات منه إلاّ نادرا؛ لذلك كنت أكتبُ أشعارا («دفاتر») كانت تتبع عرق *معدن مركزي*مفتوحا منذ الأبد [...]

في تلك الأثناء، وجدتني في الخدمة العسكريّة لبضعة أيّام من ١ إلى ٨ أيلول ١٩٤٣. وعدت من مدينة *بيزا*إلى بلدة *كازرسا*، مُمَزّقا تماما، منتعلا زوج حذاء غير متجانس، بعد أن عصيتُ الأمر الذي أعطانيه ضُبّاطي بأن أسلّم أسلحتي إلى الألمان (عند شاطئ ترعة، غير بعيد عن مدينة *ليفورني*)؛ وبعد أن قطعتُ حوالي مائة كلم راجلا، وبعد أن أوشكتُ مائة مرّة أن أجد نفسي في قطار قاصدا ألمانيا، عدتُ في الحال إلى كتابة الأشعار بالفريولية والإيطالية، «الرّزنامة الرّيفية لـ: *الفتوّة الجديدة*ولـ: *العندليب*». وذلك لم يمنعني من كتابة تحيا الحرّية على الحيطان، ومن أن أجد نفسي للمرّة الأُولى وراء القضبان، وهكذا صرت أعرف من يكون ممثّلو النّظام. مذّاك ما عاد بإمكاني العيش إلاّ مستترا ومطاردا ـ ومُرَوَّعا تماما، فقد كنت آنذاك مسكونا، بالتّأكيد، بقلق مرضيّ من الموت ـ ومهووسا على الدّوام بفكرة أن أجد نفسي مشنوقا عند عقافة: ذلك كان، على السّاحل الأدرياتيكي، مصير الشبّان الهاربين من الجنديّة أو الذين يعلنون أنّهم ضدّ الفاشية. كان أخي ـ الذي يصغرني بثلاثة أعوام، والذي بدوره أدرك الخدمة العسكرية ـ قد قرّر الذّهاب إلى الجبل للمشاركة في المقاومة المسلّحة؛ كنت أرافقه إلى محطّة القطار (كان يحمل معه مسدّسا مخفيّا في كتاب).

كان عند ذهابه ماركسيّا؛ ثمّ، عاملا بنصيحتي (بصفتي عشت أكثر منه ثلاثة أعوام تحت الحكم الفاشي، وأنّ هذه الأعوام الثّلاثة لا بدّ أنّها علّمتني شيئا

ما)، عبر إلى حزب العمل وإلى فرقة *أوزوب*: قتله شيوعيون تابعون لفرق *المارشال* تيتو، والذين كانوا في ذات الوقت، يعملون على ترسيخ حيازتهم جزءا من *الفريول*. انتهت الحرب، وبدأت، بالنّسبة إليّ، المرحلة الأكثر تراجيدية في حياتي (كنت أواصل كتابة *الفتوّة الجديدة والعندليب*): موت أخي وحزن أمّي الذي يفوق قدرة البشر، وعودة أبي، أسير الحرب: عاد إلينا مريضا، ضجرا، على المستوى الوطني، من هزيمة الفاشية، وعلى المستوى العائلي، من هزيمة اللغة الإيطالية؛ محطّما، شرسا، مستبدّا، مسلوبا من كلّ سلطة، مُدرِكا حالا من الجنون بفعل الكحول، مغرما أكثر فأكثر بأمّي، التي أبدا ما كانت تبادله الحبّ، والتي كانت زيادة على ذلك تتفرّد تماما لحزنها؛ وإلى كلّ هذا ينضاف مشكل حياتي وجسدي. وخلال شتاء ١٩٤٩، أيّها القارئ العزيز، أيّها الذي أنت عندي قارئ لا متنبّه، وتقرأ أنطولوجيات متواضعة منشورة في طبعات زهيدة الأسعار، كنت أبحث صحبة أمّي عن ملجأ في *روما*، كما يحدث ذلك في رواية.[...]

بعد أشهر قليلة من وصولي إلى روما شرعتُ في كتابة «*ذلك الشّيء*» في شكل رواية والذي حمل في ما بعد عنوان *أطفال الحياة*(١٩٥٥) [...].

في روما، عشت، لعامين، عاطلا عن العمل في يأس الذين ينتهي بهم الأمر إلى الانتحار، ثمّ حصلتُ على وظيفة معلّم في مدرسة خاصّة. [...]

قلت ذلك مرّات عديدة، وفي أكثر من حوار... إنّ ما دفعني لأكون شيوعيّا هو صراع الأجراء الفريوليين ضدّ كبار الملاّكين العقّاريين، حالما انتهت الحرب. وقفتُ إلى جانب الأجراء. ثمّ شرعتُ في قراءة ماركس وغرامشي. [...] وإنّني أعي الآن، أن لا شيء تقريبا قد تغيّر منذ صراع الأجراء حتّى الآن، في داخلي وخارجا عنّي. ففي الوقت الذي أكتب فيه هذه المقدّمة إلى قارئ غير متنبّه، أنا أجهد في التّوثيق لإضراب الكنّاسين

في روما(مدوّنة لرواية عن الفضلات)، وليس لديّ شعور أنّ ثلاثين عاما بعدُ قد مرّت. وقد يكون حدس الصّراع الطّبقي عند شبّان ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠ قد أعادنا إلى الماضي، إلى تلك الأيّام العظيمة: وغير مهمّ، هنا، إذا كان الأمر مجرّد وهم. والحاصل أنّ الصّراع الطّبقي ظاهرة لا يمكن أن تنحلّ في ثلاثين عاما، وأنّ خصائصها تبقى ثابتة. [...]

إنّ ما يذهلني في أشعاري ناظرا إليها بعين غريبة، وهو ما لا يوافق الحقيقة ـ هو شعور مُطنب في الحزن مُوهن الهمّة: حزن هو جزء من اللغة ذاتها، حزن هو أحد مكوّناتها القابل أن يُترجَم من حيث الكمّ وبطريقة ما من حيث الكثافة. وإنّ هذا الشّعور (والذي هو تقريبا حقّ) بالتّعاسة متفوّق إلى حدّ أنّ السّرور الحسّي ذاته يجد نفسه فيها لابسا الحداد؛ وكذلك المثالية المهذّبة. وما يذهلني أيضا، وأنا أُعيد قراءة أشعاري، هو إدراكي لسذاجة الاندفاقات التي كنت أستسلم لها: حقيقة كما لو أنّني كنت أكتب لأناس ما كانوا قادرين إلاّ على الإفراط في محبّتهم لي. والآن أدرك لمَ سبّبتُ لنفسي كلّ هذا الارتياب وكلّ هذه الكراهية.

[II]

أختم مُضيفا، في شكل تذييل، نبع ضياء له قيمة رجعية: أعني قصيدة، كتبتها في الأشهر القليلة الماضية عنوانها شرعة (ملوّثة): إنّها لن تساعد على تنظيم قراءة أشعاري، أو على أن توفّر لي بعض التّعاطف ؛ إنّها ترنو بالأحرى إلى إعادة طرح المسألة برمّتها، إذ أنّني، في نهاية الأمر، أرفض، عن وعي وعن غير وعي، كلّ أشكال إخماد الفتن.

شرْعةٌ (ملوّثة)

لقد توجّب أن يبتعد المرء أحيانا عن مقام الواجبات،

في هذا العالم الغربي ـ أن يعود مكلّلا برند الاندماج

عندئذ يصبح نافعا للثّو[1]...

وإلاّ فإنّه إذا تصنّع الرّهبنة (كعلامة احتجاج،

وعنف، وهلمّ جرّا)

يُرمى به (*كلمات غير واضحة بسبب القذرات*)

لقد توجّب عليه الانشغال بدربه

إنّه فقط عندما يص ـــ.. يكون «نافعا» للـ...

ـ أن يرشح أخطاء من أجل علاقات (*كلمة غير واضحة، أنظر أعلى*)

(هذا ما يرغبه العامل الذي يقدّس العائلة)

ـ أناسا كما ينبغي ليضمن الصّراع!

ـ آلافا من الحركات الصّغيرة، يوما بيوم، من الفضائح

للارتقاء إلى الأمجاد التي تنفع حزبا واقعيّا!

---

(١) الكلمات المبتورة من وضع المؤلّف/ المترجم/.

إنّها أشياء تسقط على الرّأس حين تقولها
ـ تصيّرك كائنا بائسا وإذن غير نافع.
ولكن لا بدّ أن يسحب أحدهم بكتفيه البائستين صليبا (*«طز»*
متبوعة بكلمة غير واضحة. انظر أعلى)
أن يضيع المرء من الصّيت لأجل قداسة ملتبسة: عجبا!
ولكن لا بدّ أن يكون أحدهم مغطّى بالقشور،
المنبوذ
الذي يقامر بشحّ ليربح بشحّ أو يخسر بشحّ
يرغب أن يستمتع بمشهد من يربح أو من يخسر بجسامة وبالأحرى من
يخسربجسامة، عالم مُريع
ـ نحن المعنيّون، بما أنّه علينا أن نتغيّر،
وأن نفقد الاعتبار، عند الحاجة، وأن نبالغ في ذلك أيضا
ـ ما كان لدينا الوقت لنكون بالفعل أبناء رديئين
وها نحن قد صرنا آباء رديئين (*كلمات غير واضحة. انظر أعلى)*
مسبّبين لذواتنا جحودا أبويّا من هؤلاء الأبناء القذرين
هذا ما يجب أن يعطي إشباعا لرغبة الموت
الذي ينسبه البعض إلينا حتّى لا ينشغلوا بنا
مرّة أخرى يُعرَّفُ الجِدّ كمظهر للرّجولة
ـ فاقد الرّجولة هو الفتى الخالي من الألغاز والذي يطيع (متسلّحا)
وعلى النّقيض رجوليّ هو الباحث المختـ... والشّابّ المنظِّ...
الشبّان يرتمون، نعم، بكلّ أجسادهم في الصّراع،

ولكن دون أن يأخذوا فعلا بعين الاعتبار ضعفه،
لكأنّه عندهم شيء غير مرغوب فيه وغير ضروري
ـ عندما (*كلمة غير واضحة*) *مِن وَهنِ أجسادهم*
فبدعم كبير من مصفّقين مأجورين عند أكتافهم،
دون أن يكفّوا عن إطلاق مزحات البرلمانيين العجّز!
إنّهم حصرا، أو بالأحرى، علنا سياسيون
وهذا يسبّب ضرورةً تبعاتٍ.
إنّ جسدا (أيّ جسد) مغطّى بالقشور، وعلى الدّوام مصلوبا،
(لا شيء يمكن فعله!) لا نقدر إلاّ أن نسخر منه؛
إنّها قضيّة خاصّة، الأفضل ألاّ نتوقّف عندها، الأفضل أن نصمت
ـ أو، بدقّة، ألاّ نتوقّف عنها وكفى، إذا توفّر لنا الوقت.
وإذن فالخجل الهائل لا يقيم
في الصدّ الذّاتي ولا في عطش الطّهارة
ولكن في كون المرء ملتبسا أو على الأقلّ ممزّقا
بين إغراء الذّات أن تقصي ذاتها والبحث عن النّجاح.
ـ أن لا يكون المرء على أتمّ الحضور، الموجود بلا ضياء، أردت أن أقول،
فذلك،
كما في ما مضى، في عيون البورجوازية غير مقبول
عندما كان العالم واحدا، عندما كان هناك مستقبل إنساني
واحد يهب المجد إلى شاعر مبتدئ متواضع
وإلى ما حلم به من ثورة هذا المبتدئ ذاته...

إنّه، بعد كلّ حساب، تَشوّشُ أحلام
شيء لا أحد يملك أدنى رغبة لا في الحكم عليه فحسب
بل حتّى في اعتباره واقعا (*كلمة غير واضحة*)
حقيقة أنّ الجميع (*كلمة غير واضحة*) *هذا التشوّش في الأحلام*،
لكنّ البعض يقرّ به والبعض ينكره، البعض ينجزه
والبعض ينأى عنه أميالا

في النّهاية يُقبل من يرمي على مائدة القمار (ليخسر) الاعتراف بكلّ هذا
ـ وليس لهؤلاء الشبّان، أولاد الفاجرة، أدنى شبهة في هذا التشوّه في الأحلام،
مع أنّه مازال إلى اليوم حالا راهنا (١٩٦٩)
ـ *إنّهم (كلمة غير واضحة) في هذه الصّورة من الرّجولة كما نفحة من الجدّ*
وليس للنّاس الجدّيين أحلام، بالتّأكيد، وأبدا ما كانت لهم أحلام!
ـ يا لها من أعجوبة! تزنّرني البورجوازية بإكليل من السّنديان،
والطّبقة العاملة تدير هذا الرّأس المكلّل ضدّ البورجوازية.
إنّه بالطّبع أمرٌ طائش وشائن: إلاّ أنّ له مع ذلك وظيفة:
إعمار العالم بالنّاس الضّعفاء وكذلك بالطّاهرين.
ـ «لعلّني قادر على الكلام عن رجل يغمره فرح عظيم
لكنّني أتكلّم عن رجل ضعيف»، فعلا.
ـ أقول هذا لكي أمجّد بأسي:
من عديد الأحلام لم يبق لي غيرُ القوّة.
ـ لا أعرف ما سرّ قراري أن يَكون هذا الذي أكتبه الآن هو القصيد الأخير في
هذه المجموعة الشّعرية المولودة أثناء الهرْجة.

التي أشارك فيها حقيقة كشاعر. لا يوجد أيّ سبب
لأخطّ أسفل هذه الأبيات لفظة

انتهى

ببليوغرافيا بأهمّ منشورات المؤلّف

الأشعار:

ـ أبهى الفتوّة/ ١٩٥٤/.
ـ رماد غرامشي/ ١٩٥٧/.
ـ عندليب الكنيسة الكاثوليكية/ ١٩٥٨/.
ـ روما/ ١٩٥٠ ـ ١٩٦٠/.
ـ ديانة زمني/ ١٩٦١/.
ـ أشعار على شاكلة الوردة/ ١٩٦٤/.
ـ تربية الإنسان وتعضيته/ ١٩٧١/.
ـ الفتوّة الجديدة/ ١٩٧٥/.
....

القصص والرّوايات:

ـ أطفال الحياة/ ١٩٥٥/.
ـ حياة عنيفة/ ١٩٥٩/.
ـ الحلم بشيء ما.
ـ نظريّة/ ١٩٦٨/.
ـ الربّانية ميميزيس/ ١٩٧٥/.
....

المحاولات:

ـ الانفعالات والإيديولوجيا/ ١٩٦٠/.

ـ الشّعر الشّعبي الإيطالي/ ١٩٦٠/.
ـ عطر الهند/ ١٩٦٢/.
ـ التّجريبيّة الهرطوقيّة/ ١٩٧٢/.
ـ كتابات عاتية/ ١٩٧٥/.
ـ الرّايات الجميلة/ ١٩٧٧/.
ـ رواق الموت/ ١٩٨٨/.
....

السّيناريو:

ـ أكّاتّوني/ ١٩٦١/.
ـ أمّي روما/ ١٩٦٢/.
ـ إنجيل متّى/ ١٩٦٤/.
ـ طيور كبيرة وأخرى صغيرة/ ١٩٦٥/.
ـ أوديب ملكا/ ١٩٦٧/.
ـ ميديا/ ١٩٧٠/.
ـ ثلاثية الحياة
(الحجر الصحّي ـ حكايا كونتربري ـ صور من ألف ليلة وليلة)/ ١٩٧٥/
ـ الأب المتوحّش/ ١٩٧٥/.
ـ القدّيس بولس/ ١٩٧٧/.
....

المسرح:

ـ كالديروني/ ١٩٧٣/.
ـ أتراك الفريول/ ١٩٧٥/.
ـ اختلاق/ ١٩٧٩/.
ـ زريبة الخنازير/ ١٩٧٩/.
....

كشف بأهمّ الأسماء الواردة في هذا العمل
(الأعلام والمواقع والأحداث)

الأبينّينو / Appennino/

سلسلة جبال طولها ألف كلم تبدأ من شمال إيطاليا حتّى تصل جنوبها وتعبر خمس عشرة منطقة.

التّراستيفري / Le trastevere/

شارع عصري بروما. قال بعضهم: «هناك طبقة من متساكني روما تدّعي أنّها أرقى بكثير من غيرها من الطّبقات، إنّهم التّراستيفيريّون، إنّهم مقتنعون أنّهم ينحدرون من أصول رومانية».

التّريشنتو / Trecento/

وهو ما يوافق القرن الرّابع عشر في إيطاليا، أي المرحلة التّاريخية التي تسمّى ـ ما قبل الانبعاث ـ (في إيطاليا، يتحدّد عصر الانبعاث أساسا بالقرنين الخامس عشر والسّادس عشر).

التّوسكولانيات / Les tusculanes/

جزء من الأعمال الفلسفية لسيسرون، في هذه الحوارات المفترضة، يحاول صاحبها إثبات لا أخلاقية الرّوح وأنّ السّعادة لا تتأسّس إلاّ على فعل الخير.

التّوبوي / Topoi

تعني، في استعمالها الجاري به حديثا: الأماكن العامّة (الرّاقية غالبا).

الكاالليغرام / Calligramme/

القصيدة التي تمثل على الورقة في شكل رسم؛ غالبا ما يكون في علاقة مع موضوع النصّ، وقد يحدث أن يكون، عمدا، مغايرا للنصّ. ظهر الكالليغرام مع بداية القرن العشرين، وهو ينسب أوّلا إلى الشّاعر الفرنسي «أبولّلينير».

اللويزيات ـ Les Lusiannes/ ظهرت عام ١٥٧٢/ Luis de camoès / لصاحبها لويس دي كاموس

مطوّلة شعرية تتألّف من عشرة أناشيد غير متوازية الفقرات. تحكي المطوّلة تاريخ البرتغال منذ نشأته حتّى عصر الشّاعر. تعتبر هذه المطوّلة كأهمّ أثر في الميراث الأدبي البرتغالي، بسبب ميزاتها الأدبية وأيضا بسبب عمق الشّعور الوطني الذي تنشره.

النّظام الجديد/ Ordine Nuovo/

حركة سياسية يمينية تأسّست عام ١٩٦٠ على يد بينو راوتي ومجموعة من قدماء مناضلي الحركة الاجتماعية الإيطالية (النّيوفاشية). أكثر من عمليّة تنسب إلى هذه الحركة. وقع حلّها من قبل الحكومة الإيطالية عام ١٩٧٣، وكانت آنذاك تعدّ ألفين وخمسمائة مقاوم.

آفي فيروم كوربوس / Ave Verum Corpus/

صلاة كاثوليكية مهداة إلى عيسى عليه السّلام، وتعني باللاتينية، «التّحيّة لك أيّها الجسد الحقيقي». ومرات تعترضنا هذه الجملة مختزلة في «آفي فيروم». ويعود أقدم ظهور لهذه الصّلاة إلى القرن الخامس عشر في سويسرا.

آنييني / Aniene/

نهر يعبر منطقة لازيو (وسط إيطاليا) ويرفد نهر التّيبر الذي يعبر روما.

أخيرون/ Achéronı

إسم لنهر في اليونان يصبّ في البحر الأيوني، إسمه الحديث: فاناريوتيكوس.

في الميثولوجيا الإغريقية، الآخرون هو فرع من نهر ستيكس (في جوف الأرض) كان شارون يعتمده ليسيّر فوقه مركبة تحمل أرواح الأموات إلى الجحيم.

أبيان الإسكندري/ ٩٠ ـ ١٦٠/ Appien d'Alexandrie/

مؤرّخ يوناني، كان حاكما على إحدى ولايات الإمبراطورية الرّومانية أيّام الإمبراطور أنطونان التّقي. من أعماله «التّاريخ الرّوماني» الذي قسّمه بحسب الحروب الرّومانية.

أرتور رامبو/ ١٨٥٤ ـ ١٨٩١/ Arthur Rimbaud/

من أهمّ الأسماء التي تنتسب إليها القصيدة الحديثة في فرنسا، كتب الشّعر باكرا وتركه باكرا، سافر إلى إفريقيا وإلى اليمن، ومات بأحد مستشفيات مدينة مرسيليا.

أريدزو / Arezzo/

إسم مدينة واسم مقاطعة بإيطاليا بجهة التّوسكانا.

أغرو / Agros/

أكبر معرض فلاحي دولي والصّالون المختص بفنون الزّراعة في أوكرانيا، نظّما للمرّة الأولى عام ١٩٨٨.

ألبرتو مورافيا/ ١٩٠٧ ـ ١٩٩٠/ Alberto Moravia/

أصيب في شبابه بمرض السلّ ممّا أجبره على الإقامة لبضعة أعوام في المصحّات. في سنّ العشرين نشر أولى رواياته «اللامبالون» (كتبها في مصحّة بريكسن، شمال إيطاليا). في أعماله: تشريح للعلاقات العاطفية، حسّية كانت أم روحية، متعمّقا (بطريقة متباعدة) الأحوال النّفسية لشخصياته مركّزا على تأثير العادات الاجتماعية على المشاعر. من أشهر أعماله.
«الاحتقار» و«السّأم» و«المرأة الفهد».

ألفا إيريداني/ Alpha Eridani/

هو النّجم الأكثر سطوعا في كوكبة نجوم «إيريدان» حيث يوجد في أقصى جنوبها، وهو معروف أكثر باسم «آشرنار» أو «آختّار» (من العربية، آخر النّهر).

أنطونيو غرامشي/ ١٨٩١ ـ ١٩٣٧/ Antonio Gamsci/

كاتب ومنظّر سياسيّ إيطالي، وعضو مؤسّس للحزب الشّيوعي الإيطالي، معروف بدراساته الوافية لقضايا الثّقافة والسّلطة.

أنطونيو لابريوليا/ ١٨٤٣ ـ ١٩٠٥/ Antonio Labriola/

فيلسوف إيطاليّ ذو اهتمامات ماركسية.

أنطونيو ماشادو/ ١٨٧٥ ـ ١٩٣٩/ Antonio Machado/

بدا عليه الميل إلى الشّعر منذ الصّغر. في سنّ السّابعة يفقد والده فينقطع عن الدّراسة ويتوجّه إلى العمل، يباشر أشغالا عديدة (من بينها مهنة التّمثيل) ثمّ يسافر إلى باريس صحبة شقيقه الذي وجد عملا في دار ـ غارنييي ـ للنشر كمترجم، ممّا سمح له أن يتوفّر على علاقات مع بعض الشّعراء هناك... موضوع إجماع على أنّه أحدَ أهمّ الأسماء في الحركة الأدبية الإسبانية ـ جيل ٩٨ ـ «إنّه يجمع بين الحلم الحزين المرهف والإلهام الأرضي».

أوجينيو مونتالي/ ١٨٩٦ ـ ١٩٧٥/ Eugenio Montale/

من أشهر شعراء إيطاليا في القرن العشرين (حاز جائزة نوبل للآداب ١٩٧٥).

إرّيكو مالاتستا/ ١٨٥٣ ـ ١٩٣٢/ Errico Malatesta/

داعية ثوريّ إيطالي ظلّ طيلة حياته يدعو للفوضوية.

إلسا مورنتي/ ١٩١٢ ـ ١٩٨٥/ Elsa Morante/

روائيّة إيطالية، قضّت طفولتها في أحياء روما الشّعبية، بدأت في نشر أقاصيصها وهي في سنّ الثّالثة عشرة. وفي سنّ الثّامنة عشرة قرّرت التفرّغ للكتابة بعد أن هجرت الدّراسة والأهل. من أعمالها «كذب ورقية» و«حكاية»...

بارثينون/ Le Parthénon/

لغة، الكلمة تعني«إقامة العذارى». وهي تعني أيضا المعلم المقام على إحدى قمم أثينا، بُني في عهد الحاكم بيركليس ودام بناؤه أحد عشرة عاما (٤٤٧ق.م ٤٣٦ق.م) احتاج بناؤه إلى مئات من الصنّاع ـ الفنّانين (ما كانت التّفرقة قد وجدت

بعد بينهما) قام الرسّام والنحّات فيداس بتزيينه. قيل إنّ بيركليس اقترح أن يدفع ثمن كلفته من ماله الخاصّ مقابل أن يسمّى باسمه لكنّ أعيان أثينا رفضوا اقتراحه حتّى يظلّ منتسبا إلى المدينة ورجالها.

باولو روفرسي/ ١٩٤٧ - ...../ Paulo Roversi/

بدأ مصوّرا، كمراسل صحفي، في سنّ العشرين، ثمّ «اكتشف باريس ودور الأزياء» وأُبهر بهما: صار مصوّرا بالعديد من المجلاّت الشّهيرة في فرنسا والعالم.

بلوط/ ٢٥٤ق.م - ١٨٤ق.م/ Plaute/

مؤلّف كوميدي لاتيني ينحى في كتاباته منحى الأديب الإغريقي السّاخر؛ أرسطوفانيس.

برترولت برخت/ ١٨٩٨ - ١٩٥٦/ Bertrolt Brecht/

كاتب دراما ومخرج وناقد مسرحي وشاعر ألماني من أهمّ الأسماء المؤسّسة للمسرح المعاصر، رفض النّازية واضطرّ للهجرة إلى الولايات المتّحدة الأمريكية طيلة الحرب العالمية الثّانية. من أهمّ أعماله: زيارة السيّدة العجوز، والأمّ شجاعة...

بيترو لونغي/ ١٧٠١ - ١٧٨٥/ Pietro Longhi/

رسّام إيطالي من مدينة البندقية، من عائلة غير بعيدة عن عالم الفن؛ كان والده يعمل في صناعة الفضّة، وأخوه، مؤرّخ فنّي ورسّام في فنّ البورتري.

بييرو ديللا فرانشسكا/ ١٤١٢ - ١٤٩٢/ Piero della Francesca/

«كان يتقن فنّ الرّسم المنظوري، ومردود الضّياء، ومعالجة الألوان. يعتبر من أهمّ العلامات للانبعاث الإيطالي».

بنشيو/ Pincio/

احدى هضاب روما بشمال الكينيرال، والمطلّة على ميدان مارس، خارج روما العتيقة، وإذن هي لا تنتمي إلى هضاب روما السّبع.

بولس (القدّيس)/ Saint Paul/

كان اعتناقه العقيدة المسيحيّة قد تمّ على الطّريق إلى دمشق على إثر سقوط. كان حينذاك عدوّ المسيحيّين. لكنّه عندما أصيب بالعماء بعد هذا السّقوط، غيّر سيرته، واعتنق المسيحيّة. ورغم أنّه ما عرف المسيح، فقد كان أكبر متحمّس لهذا الدّين الذي كان يضطهده. بعد أن صار مبشّرا بالإنجيل أصبح يجوب التجمّعات المسيحيّة. سُمّيت نصوصه «بالرّسائل». كان كاتبا لامعا، والمؤلّف الأكثر إطنابا في العهد الجديد.

بيترو فيرّي/ ١٧٢٨ ـ ١٧٩٧/ Pietro Verri/

فيلسوف ومفكّر إقتصادي ومؤرّخ وكاتب إيطالي.

بيرسي بيشي شيللي/ ١٨٢٢ ـ ١٧٩٢/ P.B.Shelly/

شاعر وسياسي إنغليزي. كان في طفولته ومراهقته موضوع تهكّم دائم من قبل رفاقه بسبب وهنه النّاتج عن أمراضه، وذلك ما يفسّر، ربّما، شغفه المبكّر بالدّراسة والبحوث العلمية. أطرد من المعهد بسبب كتاباته «المتجرّئة على المقدّس». انشغل بالسّياسة. «أجبرته كتاباته المتجرّئة على السّياسيّين، على التشرّد عبر انقلترا لتحاشي غضب حكّام الولايات». من أشهر أعماله «ثورة الإسلام»/ ١٨١٨/ . اهتمّ أيضا بالتّرجمة ونقل إلى الانقليزية بعضا من أعمال غوته وأفلاطون. مات غريقا خلال رحلة بحرية بين ليغورن وسبيزيا. يُعتبر أحد أهمّ الشّعراء الغنائيّين في تاريخ انقلترا.

بينيديتو كروتشي/ ١٨٦٦ ـ ١٩٥٢/ Benedetto Croce/

كاتب وفيلسوف وسياسي ومؤسّس الحزب الليبراليّ الإيطالي.

تفّاحة آبي/ Pomme d'Api/

في بعض المصادر، يُرمز بها إلى تفّاح الجنّة. (أمّا الموجودة اليوم، فهي تفّاحة صغيرة الحجم، حمراء في جهة منها، مسطّحة في شكل نجمة خماسية الزّوايا).

توماس ستيرن إيليوت/ ١٨٨٨ ـ ١٩٦٥/ T.S.Eliot/

شاعر وكاتب تراجيديا وناقد حداثي أمريكي المولد، إنقليزي الجنسية. من أشهر أعماله «الأرض اليباب».

جان بول بلمندو/ ١٩٣٣.../ J.P.Belmondo/

ممثل سينمائي ومسرحي، لعب أدوارا رئيسية في عدّة أفلام لجان لوك غودار: «اللهث تعبا»، و«المرأة هي المرأة»، و«بييرّو المجنون».

جان لوك غودار/ ١٩٣٠ ـ ...../ Jean - Luc - Godard/

سينمائي فرنسي ـ سويسري، هو أيضا ممثّل، مدير مونتاج، كاتب حوار، منتج، سيناريست... زعيم حركة «الموجة الجديدة»، سينمائي مقاوم، تطوّرت أثاره بدءا من السّنوات ٨٠ ـ ٩٠ نحو «الكوللاج الشّعري»، الغنيّ بالإحالات والولاءات لأسياد التّاريخ في الرّسم والموسيقى. شخصيّة بارزة في تاريخ السّينما الفرنسية والعالمية.

جانيكول/ Janicolo/

هضبة تحيط بروما، تعتبر ثامنة الهضاب، علوّها ١٤٦ مترا، تسمّى أيضا فاتيكانوس.

جمهورية سالو / République de Salô/

وتدعى أيضا الجمهورية الشّعبية الإيطالية، كوّنها موسلليني في وسط إيطاليا وشمالها يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٤٣ في مناطق محميّة بالجيش الألماني.

جياكومو ليوباردي/ ١٧٩٨ ـ ١٨٣٧/ Giacomo Leopardi/

«كاتب» أخلاقي، شاعر وفيلسوف إيطالي.

جيانفرانكو كونتيني/ ١٩١٢ ـ ١٩٩٠/ Gianfranco Contini/

أديب واستاذ في الفيلولوجيا، والأدب الفرنسي، والأدب الإسباني، وكان عضوا في أكثر من أكاديمية علمية.

جوفراي شوسر/ ١٣٤٣ ـ ١٤٠٠/ Geoffry Chaucer/

كاتب ومفكّر، وديبلوماسي، وشاعر إنقليزي، من أشهر أعماله «حكايات كَنتوربري» يعتبر عند البعض «أب الشّعر الإنقليزي».

جيوزوي ألسّندرو ميكّلي كاردوتشي/ ١٩٠٧ ـ ١٨٣٥/ G.A.M Carducci/

شاعر إيطالي. كان أوّل إيطالي ينال جائزة نوبل (١٩٠٦). كان مؤثّرا جدّا على الحياة الفكرية في إيطاليا طيلة النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر.

جيوزيبّي زيغاينا/ ١٩٢٤.../ Guiseppe Zigaina/

من منطقة فريولي، رسّام وصاحب محاولات فكريّة ذات شهرة.

جيوزيبّي فورتونينو فرنشيسكو فردي/ ١٩٠١ ـ ١٨١٣/ G.F.F Verdi/

موسيقار رومانسي إيطالي، أحد أعلام الأوبرا الإيطالية تجاوزت شهرته حدود موطنه، صاحب رؤيا سياسية مستقبلية، تقول بوجوب الوحدة الإيطالية، وهو يظلّ مع غاريبالدي وكافور، إحدى الوجوه العلامات في تاريخ الوحدة الإيطالية.

جيوفانّي باباني ١٨٨١ ـ ١٩٥٦/ Giovanni Papani/

كاتب وروائيّ إيطالي، اشتهر أساسا بروايته «رجل منته».

جيوفانيّ باسكوني/ ١٩١٢ ـ ١٨٥٥/ Giovanni Pasconi/

شاعر إيطالي مختصّ في الشّعر القديم.

جيوفانيّ جنتيلي/ ١٨٧٥ ـ ١٩٤٤/ Giovanni Gentile/

فيلسوف إيطالي، مثالي، من أنصار الهيغليّة الجديدة، قريب من بينيديتو كروتشي، يعرّف بنفسه على أنّه «فيلسوف الفاشية»، كتب الجزء الأوفر من مؤلّف موسلليني «المذهب الفاشي».

دومينكو فرّاتا/ ١٩١٤ ـ ١٨٤٧/ Domenico Ferrata/

رجل دين مسيحي إيطالي تولّى الإشراف على العديد من الكنائس في أوروبا، كلّفه البابا ليون XIII بمتابعة سياسة الوفاق مع الجمهورية الثالثة بفرنسا.

روبرتو روسلليني/ ١٩٠٦ ـ ١٩٧٧/ Roberto Rossellini/

مخرج سينمائي وتلفزي إيطالي، لعلّه أهمّ أسم يؤرّخ به لسينما «الواقعية الجديدة». من أهمّ أفلامه «فريسة اللذّة» و«روما مدينة مفتوحة».

رودولفو غراتزياني/ ١٨٨٢ ـ ١٩٥٥/ Rodolfo Graziani/

ماريشال إيطالي برز في الحرب العالمية الثّانية، وقبل ذلك كلّف بإحباط الثّورة في ليبيا، ثمّ بإحباط الثّورة في أثيوبيا ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦، «فجازاه» موسلليني بأن عيّنه حاكما لها.

روبرتو روفرسي/ ... ـ ١٩٢٣/ Roberti Roversi/

كاتب وشاعر وصاحب مكتبة، عمل مديرا لجريدة ـ الصّراع الدّائم ـ.

رومانو برودي/ ١٩٣٩/ Romano Prodi/

مفكّر اقتصادي وسياسيّ إيطالي منخرط في اتّحاد أحزاب وسط اليسار، وهو رئيس شرفي للحزب الدّيمقراطيّ الأوروبي.

ريفييرا/ Riviera/

إسم السّاحل الممتدّ على الحدود الفرنسيّة الإيطالية.

ريناتو غوتّوزو/ ١٩١١ ـ ١٩٨٧/ Renato Guttuso/

رسّام إيطالي، أصيل صقليّة، كان يمثّل الواقعية خلال فترة الحكم الفاشي. تطوّع إلى جانب الشّيوعيّين في مقاومة النّظام الفاشي. لكنّه في أعماله الفنيّة يعلو على كلّ اعتبار «سياسي» ضمن هُويّة صقليّة تمثل خارج كلّ روح جهوية.

سرسي/ Circé/

آلهة إغريقية تنسب إليها قدرات في مجاليّ السّحر والمسخ.

غابريلي دانّوتزيو/ ١٨٦٣ ـ ١٩٣٨/ Gabriele D'Annuzio/

أديب إيطالي، أحد أبطال الحرب العالمية الأولى في إيطاليا، من طبقة النّبلاء، قادته مسيرته السّياسية إلى مساندة موسلليني. وإليه ينتسب، أكثر من غيره مذهب ما قبل الرّمزية في إيطاليا.

غوته/ ١٧٤٩ ـ ١٨٣٢/ J.W.Goethe/

شاعر وروائي وكاتب درامي وعالم ألماني، من أشهر أعماله «فاوست» و«آلام الشّاب فارتر».

غوفريدو ماملي/ ١٨٢٧ ـ ١٨٤٩/ Goffredo Mameli/

شاعر إيطالي، مفرط في إحساسه الوطني، وأحد وجهاء الرّيزورجيمنتو (عصر الانبعاث الإيطالي الثّاني، أو عصر الولادة الجديدة، الذي يتحدّد سياسيا بالفترة ما بين ١٨٤٨ ـ ١٨٧٠)، كان والده قائدا للبحرية في مملكة سردينيا. في سنّ العشرين ألّف النّشيد الوطني الإيطالي؛ *نشيد الإيطاليّين*، المعروف في إيطاليا بنشيد *ماملي*، مات وهو يحاول مع المقاومين فكّ الحصار عن روما عام ١٨٤٩.

غارزانتي/ Garzanti/

دار نشر للكتب، إيطالية، مختصّة في المعاجم والأنسيكلوبيديات والكتب الموازية لبرامج التّدريس.

غوليلمو بيتروني/ ١٩١١ ـ ١٩٩٣/ Gulglielmo Petroni/

شاعر إيطالي، شارك في المقاومة ضدّ موسلليني، ودخل السّجن، من تجربته تلك، كتاب «العالم سجن» الذي وفّر له شهرة ومكانة في عالم الأدب الإيطالي.

ناتاليا جنسبورغ/ ١٩١٦ ـ ١٩٩١/ Natalia Ginsburg/

شاعرة وأديبة إيطالية، كتبت في العلاقات العائلية، وفي السّياسة والفلسفة.

فرانك فورتيني/ ١٩٩٤ ـ ١٩١٧/ Franc Fortini/

صاحب محاولات فكريّة وناقد أدبي وشاعر إيطالي، يعتبر من الشّخصيات المهمّة في المشهد الثّقافي لحركة النّوفوتشينتو.

فرنشيسكو بتراركا/ ١٣٧٤ ـ ١٣٠٤/ Francesco Petrarca/

بحّاثة وشاعر إيطالي. يُعتبر مع دانتي أحد أهمّ المؤسّسين لعصر الانبعاث في إيطاليا.

فرنشيسكو ليونيتي/ ...... ـ ١٩٢٤/ Francesco Léonetti/

كاتب وواحد من أشهر الشّعراء حضورا في الرّاهن الثقافي الإيطالي.

فلافيوس كونستنتينوس/ ٣٠٦ ـ ٢٧٤/ Flavius Constantinus/

هو الإمبراطور الرّابع والثلاثون. وهو أوّل إمبراطور يعتنق المسيحية، ويكون بذلك: العلامة على الكفّ عن ملاحقة المسيحيّين.

فيتوريو دي سيكا/ ١٩٠١ ـ ١٩٧٤/ Vittorio de Sica/

مخرج وممثّل إيطالي في المسرح والسّينما، من أشهر أفلامه «سارق الدرّاجة» و«الزّواج على الطّريقة الإيطالية»...

فيديريكو فيلليني/ ١٩٢٠ ـ ١٩٩٣/ Federico Fellini/

سينمائيّ إيطالي، من أشهر أفلامه «الطّريق»و «ساتيريكون» و«روما فيلليني» و«الحياة العذبة» و«ثمانية ونصف»...

فيليبّو توماسّو مارينتّي/ ١٨٧٦ ـ ١٩٤٤/ Filippo Tomasso Marinetti/

أديب إيطالي، مؤسّس مذهب «المستقبلية» أو «الاستقبالية». من أشهر أعماله «الملك بومبانس».

فيليبو دي بيزيس/ ١٩٥٦ ـ ١٨٩٦/ Filippo de Pisis/

اسمه الحقيقي فيليبّو تيبرتيللي، رسّام وكاتب إيطالي، أحد أكبر الأعلام في فنّ الرّسم الإيطالي في النّصف الأوّل من النّوفيتشنتو، شرع في الرّسم بعد أن نشر، عام ١٩١٦ مجموعة أشعار.

كارافاجيزمو/ Caravagismo/

تيّار في فنّ الرّسم ظهر في الفترة الباروكية التي ظهرت [illegible] أواخر القرن السّادس عشر.

كتاب باروخ/ Le livre de Baruch/

ينسب إلى باروخ بن نيرية، يحتوي على نبوءاته المنشورة في بابل. لا يعترف اليهود والمسيحيّون البرتستنت بشرعيته.

كرسرسا وفريولي/ Casarsa et Friuli/

مدينة معروفة بكرومها الجيّدة، تقع في شمال إيطاليا الشّرقي (على بعد ستّين ميلا من مدينة البندقية) في قلب منطقة فريولي، المحاطة بسلسلة من الجبال الصّخرية، والتي تفتح على البحر الآدرياتيكي.

كنيسة القيامة/ Eglise de la Réssurection/

بناها مسيحيّو المشرق بالجزء العتيق ببيت المقدس. هي الحرم المقام حول المكان المفترض أنّه مكان صلب المسيح والذي به دُفن والذي منه انبعث.

لاريوست/ ١٤٧٤ ـ ١٥٣٣/ L'Arioste/

شاعر إيطالي، صاحب المطوّلة الشّعرية»رولان المهتاج«التي كتبها خلال ثلاثين عاما (٤٦ نشيدا ـ ٣٨٧٣٦ بيتا)، يصنّف مع تاسّي وبوكّاتشيو من أعظم شعراء إيطاليا.

لاسيوم/ Lotium/

أو لادزيو، بالإيطالية، منطقة بوسط إيطاليا، عاصمتها روما.

لوكّينو فسكونتي/ ١٩٠٦ ـ ١٩٧٦/ Luchino Visconti/

أحد أشهر مخرجي السينما الإيطالية لفترة ما بِعد الحرب. من أشهر أفلامه «روكّو وأخوته» و«الفهد» و«الموت في البندقية»...

لويدجي إيناودي/ ١٨٧٤ ـ ١٩٦١/ Luigi Enaudi/

أستاذ واقتصادي وصحفي وسياسي إيطالي، أشهر ممثّل للمدرسة الليبرالية في موطنه، تولّى إدارة بنك إيطاليا، ثمّ صار رئيسا للجمهورية الإيطالية (١٩٤٨ ـ ١٩٥٥).

لويدجي بيرانديللو/ ١٨٦٧ ـ ١٩٣٦/ Luigi Pirandello/

كاتب مسرح وشاعر إيطالي (جائزة نوبل ١٩٣٤)

لويدجي كابوانا/ ١٨٣٩ ـ ١٩١٥/ Luigi capuana/

كاتب وناقد أدبي وصحفي إيطالي، من أهمّ المنظّرين لتيّار الحقائقية/ Verismo/

ليتون روزاي/ ١٩٥٧ ـ ١٨٩٥/ Laiton Rosai/

رسّام إيطالي، بدأ متأثّرا بالحركة المستقبلية (١٩١٢)، ثمّ تحوّل إلى الفنّ التكعيبي (١٩١٤).

لويس دي كامويس/ ١٥٢٤ ـ ١٥٨٠/ Luis de Camoès/

فترة شبابه مجهولة قبل سنّ العشرين التي جنّد خلالها (في المغرب حيث فقد عينه)، سافر إلى المشرق وإلى كمبوديا والموزنبيق، ثم بعد أعوام من المغامرات عاد إلى البرتغال وكتب رائعته/ اللوزيات ـ Les Lusiades/ (التي أهداها إلى الملك الشاب سبستيان الذي عطف عليه وأمر له بمنحة متواضعة حتى آخر أيّامه) هو موضوع إجماع على أنّه شاعر القرن السّادس عشر في البرتغال.

ليفنزا/ Livenza/

نهر كبير بشمال إيطاليا الشّرقي (١١٢ كلم) يصبّ في البحر الآدرياتيكي.

ماريو مافاي/ ١٩٦٥ - ١٩٠٢/ Mario Mafai/

رسّام إيطالي، أسّس عام ١٩٢٩ مع جينو بونيتشي وأنطونييتّا رافائيل، مجموعة فنيّة سمّيت «المدرسة الرّومانية».

ماغون/ القرن الثالث قبل الميلاد/ Magone/

كاتب قرطاجي، أنجز كتابا في الزّراعة في ثمانية وعشرين مجلّدا، باللغة الفينيقية، كان بالنّسبة إلى «الفترة الكلاسيكية» إحدى المصادر الهامّة جدّا. ضاع النصّ الأصلي وما بقيت إلاّ شذرات من ترجمات إغريقية ولاتينية.

محمّد مصدّق/ ١٨٨٢ ـ ١٩٦٧/

كان رئيس الوزراء في إيران ـ ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ ـ عُرف بكونه مؤمّم صناعة البترول وهو بذلك يعدّ رمزا لمناهضة الإمبريالية.

نوفتشنتو/ Il Novecento/

تأسّست هذه الحركة (في فنّ الرّسم) في مدينة ميلانو شمال إيطاليا عام ١٩٢٢، وهي تتنزّل في رغبة العودة إلى الواقع، إلى التّقليد، إلى شكلانية في التّصوير غالبا ما تكون ممثّلة للفنّ الرّسمي. وتطوّرت هذه الحركة في السّنوات ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠، وجمعت العديد من الرسّامين والنحّاتين الإيطاليّين في تلك المرحلة برغم كونهم من اتّجاهات ذوقية مختلفة: «كانوا ينادون «بعودة إلى النّظام»، بعد التّجريبيات العميقة للطّلائعيّين (وخاصة المستقبليّين) ويطمحون إلى العودة إلى «صفاء الأشكال»، وأيضا إلى التّناسق في مستوى التركيب...».

مراجع المقدّمة والقصائد المترجمة

Pier Paolo Pasolini

-Bestemmia
/ Tutte le poésie/
(Garzanti Editore 1995)

- Poésies/ 1953 - 1964/
Traduction de José Guidi
(Poésie/ Gallimard 1980)

- Poésies/ 1943 - 1970/
Traduction de Nathalie Castagné, José Guidi, Jean Charles Végliante,
et René de Ceccaty.
(Gallimard 1990).



إشارات

كلّ القصائد مترجمة عن الإيطالية ضمن استعانة كبيرة بالتّرجمات الفرنسية (المثبتة في صفحة المراجع)، باستثناء قصيدتي «أشعار لم يسبق نشرها» و«قصائد قصيرة ليلية» ونصّ «إلى قارئ لا متنبّه»، فقد تمّ نقلها إلى العربية عن الترجمة الفرنسية، وذلك لعدم توفّرها في نسخة «الأعمال الشعرية الكاملة» / Bestemmia/ المعتمدة في هذا العمل. (ولعلّها موجودة في قسم الأشعار المكتوبة باللهجة الفريولية، ولكنّ جهلي الكامل بهذه اللهجة جعلني لا أتبيّن موقعها).

كلّ القصائد ترجمت كاملة؛ باستثناء ثلاثة، حذفتُ منها بعض الأجزاء (المقاطع المحذوفة مشار إليها في أماكنها) وذلك بسبب إفراطها في الطّول: كان إلغاؤها صعبا، وكان الاحتفاظ بها كاملة مخلاً بتوازن الأنطولوجيا... اجتهاد يفرض الاعتذار عنه إذا وجده القارئ غير موفّق.

فضاء خاص

يُهدى هذا العمل إلى نعيمة عمامو وسمير تريمش وأكرم باش طبجي وإحسان بن صالح لما بذلوه من مساعدة، كلّ في مجاله.



الفهرس

تراجيديات

اكتشافُ ماركِس

رَمادُ غرَامشِي
(قصائد قصيرة)

دِيانَةُ زَمَني

الثّراء

مُهانٌ ومُغتاظٌ

قَصائدٌ قَليلةُ الأدَبِ

أشعَارٌ علَى شاكلَةِ الوِرْدَةِ

بِييترُو II

حَيويّةٌ قانِطةٌ

تَربيَةُ الإنسَانِ وتَعضِيتهِ

أشعارٌ لَم يَسبِق نَشرُها

قصائدٌ قصِيرَةٌ لَيليّةٌ





هذا الكتاب

في تربيتي يوجد تقدير عظيم للشّعر؛ لقد نشأتُ، وهذا له دلالته، في ظرف كان الشّعر فيه أسطورة: ما قبل الرّمزية، والهرمسية، الشّعر في معناه المطلق، الشّعر الخالص. إنّني لا أقدر أن أحمل عن هذا الشّعر دلالة لا تكون سامية، ولهذا كان لا بدّ من أن أتنازع مع نفسي، وبسبب أنّ الشّعر كان قد أصبح على مستوى تاريخي أسطورة، فقد كان لا بدّ من إزالة الوهم عنه. ولذلك، وبجهد إرادي، قاومت نفسي وأعدت الشّعر إلى صورته الأدواتية (كأداة)، وأكرّر إنّه جهد خاصّ، صراع تاريخي يومي؛ ولكن يبقى الشّعور بالإجلال تجاه الشّعر كامنا في أعماقي صلبا كما الصّوان.

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة






ISBN 978-3-89930-334-6